فاطمة صوان هيدوس

المرأة
في فكر الإمام السيد موسى الصدر

رسالة ماجستير

دار الأمير

المـرأة
في فكر الإمام
السيد موسى الصدر
رؤاه الفكرية ونشاطه العملي

اسـم الكتـاب: المرأة في فكر الإمام السيد موسى الصدر

اسـم المؤلـف: فاطمة صوّان هيدوس

تنضيد وإخراج: حسن سويدان

تصميم الغلاف: أحمد حمود

الطبعـة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9953-494-47-0

الناشـــر: دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة قانونياً

هذا الكتاب قُدّم رسالة ماجستير في جامعة آزاد الإسلامية - كليّة الفلسفة والإلهيات، ونالت الباحثة تقدير جيد جداً مع توصية بالنشر، وذلك بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٤م

دار الأمير للثقافة والعلوم
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت - لبنان

تلفاكس: 07 29 45 1 961+ ص.ب: 113/5551 الحمرا - بيروت - لبنان
Website: www.daralameer.com E-mail: daralameer@daralameer.com

فاطمة صوان هيدوس

المرأة في فكر الإمام السيد موسى الصدر

رؤاه الفكرية ونشاطه العملي

دار الأمير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة النحل ـ الآية ٩٧

الإهـــداء

إلى مَن إيقاع صوته يجري في أعماق الـروح..

إليك يا موسى الصدر

وكفى.....

شكر خاص

بعد الحمد والثناء لمصدر العلم والمعرفة المطلقة سبحانه وتعالى . .

* أتقدم بالشكر والتقدير إلى أفراد الهيئة الإدارية والتعليمية في جامعة آزاد الإسلامية (مكتب بيروت) الذي كان لي فخر الانتماء إليها خلال سنوات دراستي التي لا تقدر بثمن.

* كما والشكر الجزيل لأستاذي والمشرف على هذا العمل الذي قدَّم لي المعونة والإرشاد الدائم والمتابعة القيمة جانب الدكتور الشيخ «محمد شقير» والدكتورين المناقشين: «خنجر حميّة» و«حبيب فياض».

* وأخص بالشكر زوجي الحبيب الحاج سميح هيدوس الذي قدَّم لي الدعم والتشجيع الدائم مما ساعدني على الاستمرار والمتابعة وكان الزوج والرفيق، إلى جانب اهتمامه بتقديم كل ما يملك من وثائق ومعلومات، ووضعه أرشيفه الخاص بين يديَّ لإغناء الموضوع والاستفادة، لا سيما وأنه أهداني عنوان البحث: «المرأة في فكر الإمام الصدر».

* أولادي «محمد»، «علي»، «زينب» و«موسى» شكراً لكم على صبركم واهتمامكم وثقتكم بي.

* إلى عائلة الإمام الصدر خالص الشكر والامتنان على الجهود والتعاون الذي تمّ بذله لإغناء البحث، كما وأخص بالشكر نجل الإمام الصدر السيد «صدر الدين» على الملاحظات والمعلومات القيّمة والوقت الثمين الذي قدّم في سبيل إتمام وإنجاز هذا المشروع، إلى جانب وضعه إمكانات مركز الدراسات والتوثيق في خدمة البحث.

* كامل الامتنان والتقدير للأخ العزيز الرائد «يعقوب ضاهر» (معدّ موسوعة الإمام السيد موسى الصدر) الذي لم يتوانَ عن تقديم أي مساعدة أو معلومة يمكن الاستفادة منها.

* شكر خاص للصديقة العزيزة د. «فاطمة فرحات» التي رافقت وتابعت بالنصح والاستشارة موضوع هذا البحث.

* وفي الختام أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساهم وقدم العون لإنجاز هذا البحث، من تقديم معلومات ووثائق وملفات ومقابلات دون استثناء.

آن أوان التغيير

بقلم: صدر الدين الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، ٣٥].

للمرأة في فكر الإمام موسى الصدر (أعاده الله) حضورها الفاعل في المشهد الإنساني، تجسّد إيماناً بقدرات المرأة ككائن واعٍ له التأثير الأول والأكبر في بناء المجتمع. ومع الإمام الصدر فُتح للمرأة بابٌ كان مقدّراً أن تبقى خلفه لسنوات طوال، إلا أنه ـ مع غيره من المصلحين الاجتماعيين ـ أخرجها من الدائرة الضيقة التي فُرضت عليها إلى الفضاء الأوسع، وبخطابه ألغى سياسة الإقصاء والتهميش التي لحقت بها في البيئة الاجتماعية.

انطلق الإمام الصدر في معركته لتحرير المرأة من مفاهيم إسلامية

حاول منها أن يصحح ما رسخ ونما في المُخيّلة من تصورات خاطئة عن ظلم الإسلام لها؛ وقد بيّن في محاضرته «المرأة في الإسلام» أنَّ الظلم الذي طال المرأة طيلة عقود من الزمن سببه الجهل والتخلّف وعدم الوعي بدور المرأة؛ فالمجتمع أطّر المرأة في لوحة الإغراء، وحصر نشاطاتها في عالم الجمال والإثارة ما أدى إلى تورطها في هذه المؤامرة. وفي محاضرة أخرى للإمام الصدر شدّد على دور الدين في تشريف المرأة كإنسان، وبيّن انقلاب المجتمع عليها واستجابتها للمغريات المادية في عملية التكييف هذه، يقول متوجهاً إلى النساء: «**دينكنّ دين التحدي، دينكنّ دين الثورة، دينكنّ دين التحرك الدائم والطموح الدائم، دينكنّ دين الخوض في غمار الحياة، ومعارك الحياة. فلا غرو إذا أخذتم من هذه التعاليم، من هذا الماضي زاداً كبيراً وعميقاً فشققتنّ الطريق**».

لم يكتفِ الإمام الصدر بالخطاب الاجتماعي، بل مارس دوره التطبيقي في الواقع حيث سعى إلى إدخال النساء معترك الحياة العملية. فأسس للعمل النسائي إنْ على صعيد الخدمات والعمل الاجتماعي وإنْ على صعيد التدريس الأكاديمي للحِرف الخاصة بالنساء كالخياطة والتمريض وأمثال ذلك. وضمن هذا الإطار الثقافي والاجتماعي والحضاري الذي خطّه الإمام الصدر للمرأة؛ وعبر الرؤية الإصلاحية لمشروع الإمام الصدر للنهوض بالمرأة، قدّمت فاطمة صوان هذا العمل الريادي غير المسبوق من أجل التبصير بالتغيير الذي قام به الإمام، والذي لم يكن له حظ الاكتشاف من قبل، في بحث متكامل زاوجت فيه بين النظري والتطبيق في نهضة الإمام الصدر ذات الأبعاد الإصلاحية.

وليس من باب المبالغة القول أنها سعت إلى قراءة مغايرة وذلك

عندما أسست لفهم المناخ الاجتماعي السائد والديني المترنح المعاصر للإمام الصدر بحيث أضاءت على جوانب من فكره فاتها الباحثون لسبب أو لآخر؛ الأمر الذي وافقها عليه المناقشون الكرام عندما أكدوا أن جانب البحث يتصل بشخصية استثنائية لم تأخذ نصيبها من البحث والتحقيق، شخصية تزاحم الصف الأول من حركات الإصلاح في القرن العشرين في العالم العربي الإسلامي، لكنها ظلت حبيسة أروقة الخطاب الديني.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحركة الإصلاحية التي كان يتبناها الإمام الصدر كانت ترجمة فعلية وممارسة واقعية لإصلاح ديني شامل وقد عبّر عن هذا الإصلاح بقوله: «**متى يتم الإصلاح؟ حينما ينضم إلى الأفكار الصالحة والأهداف المقدسة والتخصيصات الصحيحة أيادٍ طاهرة لا تضرب إلا بأمر الله، ولا تعطي إلا بأمر الله، أو بأمر ما هو من الله الحق والمصلحة العامة**». ومع ذلك فإن غياب اسمه عن خارطة المصلحين الرواد، على الرغم من الدراسات والجهود التي قدمها وتجربته المؤثرة، مرتبط بغياب الاهتمام بالتراث الشيعي على المستوى البحثي والأكاديمي، وهي مهمة ـ كما اتفق السادة في اللجنة المناقِشة ـ منوطة بجهود الطلبة الباحثين. وها نحن نلتقط أولى هذه الجهود بعد فترة طويلة من الصمت الظالم الذي مُورِس بحق شخصية الإمام الإصلاحية، علَّ هذا العمل يكون المنطلق لتأسيس قراءة جديدة للفكر الإصلاحي الذي انتهجه الإمام.

عود على بدء، «المرأة في فكر الإمام الصدر» عنوان عريض حمل لواء الكشف عن جانب من جوانب الشخصية الإصلاحية للإمام الصدر، وتضمَّن عرضاً للمسلك الذي تبناه الإمام لإصلاح الوضع الراهن للمرأة في عصره، والذي كان نتيجة إفرازات اجتماعية ودينية خاطئة؛ وعرض أيضاً

لمشاركته الفاعلة من موقع إدراكه الكامل ووعيه العميق بضرورة تفعيل موقع المرأة كقوة إبداعية تسهم في العملية التنموية القائمة في المجتمع، والتي عدَّ الإمام الصدر المرأة قوام هذه العملية.

ومع ما لمسته من تراكم الجهود النبيلة في لفت النظر إلى هذا الجانب من شخصية الإمام، والتي كان هذا البحث ـ ثمرتها الطيبة التي أتت أُكلها ـ الذي أكدت عليه اللجنة المناقِشة والباحثة على أن الإصلاح كانت خاصية امتاز بها الإمام كونه من «القلة النادرة» التي امتلكت المشروع الرؤيوي المتكامل لإصلاح المجتمع وحققت التغيير بالتجربة، فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم لكل مشارك في هذا العمل بالتقدير الرفيع والاعتزاز.

وأخص بالشكر الباحثة فاطمة صوان التي لم توفِّر جهداً إلا وبذلته كي يرى هذا المشروع النور وهو بأبهى حلة. فمبارك لها هذا القطاف الذي اختصَّت به الإمام الصدر، وهي التي أناختْ يراع الأنثى في محبرة مصلحٍ امتشق الكلمة لاسترجاع عنصرها الإنساني الذي سُلِب منها، ولملمتْ حروف فاطمة ومريم من طيّات دفاتره ليرتسم في الأفق نور يسمو بالمرأة إلى المثال الذي يليق بها كإنسان.

وختاماً، أقرأ «المرأة في فكر الإمام الصدر» فكأني به يقول لأخواتي: إن المجتمع بدأ ينظر إليكنّ نظرة مختلفة عن النظرة الظالمة السابقة، لكن ما استطعنا التوصل إليه من تغيير معاً يعود إلى جهدكنّ في رفع صوتكنّ عالياً. آن الأوان أن تغيّرن نظرتكنّ وأخواتكنّ لأنفسكنّ، وأن تكسبن شخصية وهوية وانتماء في البنيان الاجتماعي.

هذا نداء ينغرس في المدى القريب البعيد... نداء كان الإمام ليكمل إعلاءه مع نداءاته الأخرى المترامية الأبعاد الاجتماعية والحياتية... نداء

نشد ترميم الصورة الحضارية للمرأة وللإنسان وللمجتمع، فكان أن عانى الظلم مرتين: ظلم إهمال ميراثه الفكري، وظلم حرمان المجتمع من حضوره من ٣١/آب/١٩٧٨ إلى اليوم.

وفقكن الله جميعاً، ومَنَّ علينا بعودته مع أخويه سالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صدر الدين الصدر

مركز الإمام الصدر للدراسات والأبحاث

بيروت ٣١/آب/٢٠٠٩

المقدمة

النهضة والإصلاح والتجديد والتغيير، كلها مفاهيم تصدرت عناوين الكثير من مشاريع الحركات الإسلامية التي شهدها العالم الإسلامي في بدايات القرن التاسع عشر، والتي ارتكزت على تفعيل وتوضيح المعارف التي يختزنها الإسلام، واستنطاق النص والخروج من جموده إلى الحرية الفكرية المتعددة الجوانب التي أرادها الدين الإسلامي لتحاكي الواقع المعاش والنهوض به.

وقد قاد هذه الحركات الإصلاحية الفكرية والسياسية والعملية مفكرون مسلمون أمثال السيد «جمال الدين الأفغاني»، الذي أخذ بيد المسلمين لمواجهة الغرب ولدفع الاستعمار من الناحيتين السياسية والفكرية.

وكما في حركة الشيخ «محمد عبده» الذي قام بعملية تغييرية من قلب الواقع الإسلامي معتمداً آليات ومبادئ إسلامية.

إضافة إلى الشيخ «الطهطاوي» الذي عايش تجربة الإسلام النظري ومواطن تطبيقه في العالم الإسلامي، فاعتمد منهجية التوليف والتوفيق. . . وغيرهم من العلماء الذين ساهموا بشكل أساس في رفع سلطة التراث

المطلقة، وتحكيم المفهوم الديني الصحيح بطريقة علمية بتوظيف الكثير من الأدوات العملية التي غلبت على الكثير من الأنماط الاجتماعية.

وقد ظهر في لبنان وبالتحديد في ستينيات القرن العشرين، عالم دين صاحب رؤى تنويرية وتقدّم فكري، اسمه موسى الصدر، ذاك الإمام القائد والرجل المغير الذي انتهج خط الأنبياء والأوصياء لتحرير الإنسان من ألوهية موهومة. ومحرر الفكر من الصنمية والغموض، واضع الأسس القيمية لبناء وطن الانسان بعيداً عن الأهداف الخاصة والمصالح الشخصية.

الإمام «موسى الصدر» حمل هَمَّ المضي نحو تحقيق مجتمع أفضل، فقاد ثورة التغيير الهادئ، والتغيير الإيجابي، فكان منهجه منسجماً مع حركته الفكرية التي انطلقت من روح الإسلام فأخذ كل ما هو جديد، شرط ألاّ يكون مضراً للفرد والمجتمع، محافظاً على الأصالة التي تخدم الحاضر والمستقبل.

كان سعيه الدائم العمل على تكامل المجتمع مستنداً إلى الدين والعلم معاً للوصول إلى رفع كل أنواع الحرمان عن الإنسان، للارتقاء به إلى أعلى مستوياته التي أرادها الخالق له.

ومن صلب حركته أطلق مشروعه الذي يهدف إلى إنصاف المرأة التي تشكل نصف المجتمع، فلم تغب عن ذهنه في مواطن الحرمان. فاهتم بالوضع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للمرأة بتحريك وتفعيل كل ما تملكه من طاقات وقدرات في الوقوف الرسالي ضد التيارات الأيديولوجية الوافدة إلى البيئة الإسلامية، فعمل على توجيه المرأة ودعوتها إلى الإيمان الكامل بإنسانيتها مقروناً بالجهاد الذاتي والخارجي للوصول إلى تأكيد

حقيقة دورها، وهو الاستخلاف في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية دراسة الرؤى الفكرية للإمام السيد «موسى الصدر» لقضايا المرأة ومشكلاتها، بأنه كان أول من وضع خطة عملية ميدانية لمعالجة قضايا المرأة ومعاناتها في لبنان والعالم العربي والإسلامي، مستلهماً من القرآن الكريم المرتبة التي تجعل من المرأة الشريك الوجودي الأصيل للرجل.

وكان ذلك بعد أن اختبر وشاهد ببصيرته النافذة واقعها المرير، والمحنة التي تلازمها على مرّ العصور، وظلم الرجل لها من خلال عدم اعترافه بها ككائن إنساني حيّ، مشارك له في عمارة الأرض، نازعاً منها كل الأدوار التقدمية، مختصراً وظيفتها في دائرة تقديم الخدمات المنزلية.

هذه التجربة التي عاشها الإمام «موسى الصدر» وعاينها عن قرب في أماكن ترحاله، دفعته إلى رسم خطة استراتيجية ثقافية هدفها كشف النقاب عن حقيقة الموقع وطبيعة الدور الفطري والإنساني للمرأة على ضوء القرآن والسنة، مترجماً خطته نظرياً بالمحاضرات والحوارات الفكرية التي أخذ يشحذ ويستنهض فيها قدرات المرأة عملياً عبر بناء المؤسسات التي تهدف إلى مساعدتها وتمكينها من الحصول على حقوقها، وتطوير نتاجها الفكري والعلمي.

---

(١) سورة البقرة/ الآية٣٠.

ولا غلوّ في القول أن للإمام دوراً كبيراً ومهماً في ما نشهده اليوم من نمو واسع لمقدرات المرأة المسلمة، واعتزازها بوجودها ومسؤولياتها الجهادية جنباً إلى جنب مع الرجل متحلية بالروح الإسلامية، ومتمسكة بمبادئها في محاربة الأفكار الوافدة التي أعدمتها ثقتها بقدراتها وكفاياتها الذاتية.

إشكالية الموضوع:

الفكرة الأساسية التي انطلق منها الإمام السيد موسى الصدر في مشروعه النهضوي هي الإنسان، فقاد نشاطاً إصلاحياً متكاملاً مرتكزاً على الإيمان بالله بمعناه الحقيقي لا بمفهومه التجريدي للوصول إلى الكشف عن الإنسان الكامل. وبما أن مشروع الإمام الصدر كان مشروعاً متكاملاً، إذ لا بد من تخصيص جزء من مشروعه لمعالجة قضايا المرأة كونها جزءاً من عملية البناء والتكامل الإنساني ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾[1].

وباعتبار المرأة عنصراً أساسياً في عملية التغيير والتقويم الاجتماعي، انطلقت الدراسة بإطلالة على النظرة الأممية إلى المرأة مروراً بدراسة واقع المرأة في المنظومة الإسلامية، والخلفيات التي تقف خلف الرؤية الدونية للمرأة في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة، ودراسة الأسباب الفكرية والثقافية التي ساهمت في تعطيل دور المرأة، وعوامل نهوضها، وعرض عدد من المعوقات التي تواجهها.

---

(١) سورة الحجرات/ الآية١٣.

دوافع اختيار الموضوع:

الإمام السيد «موسى الصدر» بأفقه الواسع، ونظرته التي انفتحت على كل مكونات المجتمع جعلت منه مدرسة لكل المراحل، مدرسة متجددة مبدعة، وإن دخل الإنسان إلى مدرسته هذه، فإنه لا يقوى إلاّ أن يتدرج وينخرط في صفوفها ومراحلها كافة، وعليه، فقد بذُلت جهود كبيرة للإضاءة والتعرف على الأبعاد الفكرية لمسيرة الإمام السيد «موسى الصدر»، والتي تناولت خطابه السياسي والتنظيمي والعقائدي والاجتماعي والثقافي، لتصور بوضوح وجلاء معاني العمل الذي قام به، والمواقف التي اتخذها وعلاقاته بالجماهير التي عاش آلامها ومعاناتها.

وقد تمحورت الدراسات والأبحاث حول أبعاد المشروع الإصلاحي الذي أسسه الإمام الصدر والذي قدم حركة إصلاحية تهتم بجميع جوانب وجود الإنسان وأهمية دوره في عملية النهوض في المجتمعات وبالاتجاهات كافة. أما موضوع البحث «المرأة في فكر الإمام الصدر» وجدت أنه لم يتطرق إلى دراسته أو البحث في أبعاد رؤيته من قبل الباحثين الأكاديميين أو الاجتماعيين ولم يكشف النقاب عن هذه الرؤية إلاّ بشكل مختصر ومجزأ رغم أهمية الإنجازات التي قدمها الإمام الصدر حول هذا الموضوع.

لذلك كانت هذه الدراسة من أجل الكشف عن كل ما هو جديد يغني واقعنا ومستقبلنا في كل ما أبدعه الإمام الصدر، وذلك من خلال دراسة المحاضرات والمقابلات التي جمعت للإمام، إلى جانب مراقبة وتتبع الخطوات العملية التي أسسها لرفع الحرمان عن المرأة.

منهج البحث:

ويعتمد البحث بشكل رئيسي على المنهج التحليلي، وذلك عبر تحليل نصوص المحاضرات والمقابلات التي أجراها الإمام الصدر بهدف دراسة المفاهيم الرئيسية لفكره ورؤيته تجاه مشكلات المرأة وطرق معالجته لها، وهو المنهج الفلسفي الذي تتداخل فيه كل المناهج العلمية المعروفة، ويمكن القول، إننا سنقوم بمزج وتركيب بين مناهج عدّة، ومنها:

١. **المنهج الاستقرائي**: وذلك من خلال تتبّعنا لمحاضرات الإمام الصدر والآراء والأفكار المنتشرة في الكتب والموسوعات التي جمعت وأرّخت لمسيرته من خلال الرجوع إلى الموسوعات التي وثقت حراكه العام الفكري والإصلاحي والثقافي والسياسي والاجتماعي.

٢. **المنهج التحليلي**: تم استخدامه حينما تمت دراسة المسيرة وشرح الأفكار الرئيسية التي تناولت موضوع المرأة للاستدلال عليها، وإعطائها قيمتها المعرفية المناسبة على ضوء المعالجة الموضوعية.

وقد تم ترتيب هذا البحث من خلال مقدمة وفصول خمسة وخاتمة.

وقد تضمن الفصل الأول إضاءة موجزة حول سيرة الإمام الصدر الذاتية ونشأته وصفاته مروراً بإنجازاته وصولاً إلى ظروف إخفائه. وفي الفصل الثاني استعراض تاريخي حول المرأة قبل الإسلام وقراءات الإمام الصدر لواقعها وظروفها. وفي الفصل الثالث دراسة رؤية الإمام الصدر تجاه المرأة في الإسلام وتأثير الرسالة الإسلامية على نهوضها وتنمية الوعي لديها، وكيفية إشراكها في عملية البناء والتوجيه الإسلامي قولاً

وعملاً. ويمكن قراءة نتاج هذه الرؤية من خلال تقديم الإمام الصدر لنماذج من المرأة في الإسلام التي وصلت إلى أن تكون في كمالها وجلالها وعظمتها قدوة وسيدة لنساء العالمين وذلك في الفصل الرابع. أما الفصل الخامس والأخير فهو تقديم لبعض رؤى الإمام الصدر تجاه الواقع المتردي التي وصلت إليه المرأة جراء تخلفها وابتعادها عن دورها الأصيل الذي ساهم المسلمون في أن تصل إلى ما وصلت إليه. فكانت خطوات الإمام الصدر الفكرية والعملية المستندة إلى الإيمان بدوره ورسالته في الحياة من أجل النهوض بالمرأة ووضع حلول لمشكلاتها ومعاناتها التي واجهتها في القرن العشرين.

أما الخاتمة فهي عرض موجز لما تقدم في هذه الفصول والإشكاليات التي ما زالت تواجه المرأة حتى يومنا هذا، وفي هذا الصدد آمل أن تكون هذه الدراسة إطلالة وإضاءة إلى ما أمكنني التوصل إليه من مسيرة الإمام الصدر لعلّني أساهم ولو بالقدر اليسير بأن أضع بين أيدي الباحثين والمهتمين بواقع المرأة ومشكلاتها مواد هذا البحث لما فيه من قيمة علمية تساهم في نشر فكر ونهج وعمل الإمام السيد موسى الصدر الذي لا يسعني في الختام إلا أن أقتبس من الأديب والشاعر الكبير الأستاذ سعيد عقل والذي كتب في عام ١٩٧٠م واصفاً جهد الإمام في بناء مؤسسات المستقبل قائلاً: «ما أجمل ما هو اليوم نشاط الزارعين، ما أجمل ما سيكون الحصاد، لا أدّعي النبوءة ولكن أتوقع النتائج بحجم الإخلاص وسموّ التوجه والطموح...»، وخَتَم كلامه: «... قد يُقال يوماً كان «موسى الصدر» بحبه وعمله الصامت والبعيد التطلع عطية الله للبنان...».

خافوا حرية فكره وقيمة عطائه، فكان التغييب ١١٢٣٥ يوماً على الإخفاء، والسؤال المطروح ماذا عمِلنا كلٌّ في مجاله في سبيل عودة هذا المفكر الملهم؟ سؤال مسؤولية الجميع الإجابة عليه.

وما توفيقي إلى بالله، وعليه توكلت، وله الشكر في كل حال.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

لمحات من سيرة
الإمام السيد موسى الصّدر

أولاً: نسب الإمام الصّدر

ثانياً: نشأته وعلومه

ثالثاً: صفاته وشخصيته

رابعاً: قدومه إلى لبنان

خامساً: كتاباته

سادساً: منجزاته

سابعاً: إخفاؤه

أولاً ـ نسب الإمام الصّدر[1]:

الإمام موسى الصّدر هو إبن السيد «صدر الدين» بن «إسماعيل» بن «صدر الدين» بن «صالح شرف الدين»، وينتمي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام الإمام السابع من أئمة الشيعة الإثني عشرية.

السيد «صالح شرف الدين»: هو الجد الأول للإمام الصّدر، ولد في قرية شحور (قضاء صور ـ جنوب لبنان) سنة ١٧١٠م (١١٢٢هـ) وأقام فيها، وكان عالماً دينياً جليلاً، وكان يملك مزرعة بالقرب من قرية معركة تسمى «شدغيت»[*]، وفي هذه المزرعة ولد ابنه «صدر الدين».

تعرض السيد «صالح شرف الدين» لإضطهاد «أحمد الجزار»، في إطار حملة الجزار على علماء جبل عامل، وتنكيله بهم، وإحراق كتبهم ومؤلفاتهم في أفران عكا، وسرقة خيراتهم وتدمير منازلهم، مما اضطر السيد «صالح» للإنتقال إلى شحور، ولكن ما لبث جنود الجزار إلا أن قتلوا ابنه الأكبر «هبة الدين» ذبحاً، واعتقلو السيد «صالح» واقتادوه إلى عكا، حيث حكم عليه بالإعدام، ولكنه تمكن من الفرار من السجن،

---

(١) ضاهر، يعقوب، مسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، الطبعة الأولى، بيروت، دار بلال، ج١، سنة ٢٠٠٠، ص٢٧.

(*) مزرعة شدغيت، أصبحت الآن من أحياء قرية معركة، قضاء صور.

واللجوء إلى العراق، وأقام في النجف الأشرف، تبع السيد «صالح» إلى النجف الأشرف أخوه «محمد» الذي اصطحب معه زوجة السيد «صالح» وولديه «صدر الدين» و«محمدعلي».

السيد «صدر الدين»: الجد الثاني للإمام الصّدر، نشأ في العراق متأثراً بوالده، درس الفقه في النجف الأشرف وخلال مدة وجيزة أصبح من جهابذة علماء الدين. ومن العراق انتقل إلى أصفهان وتزوج ابنة المجتهد الأكبر الشيخ «كاشف الغطاء»، وأنجب خمسة علماء عُرفوا بالتقوى والورع من بينهم ولده السيد «إسماعيل» جد الإمام الصّدر.

السيد «إسماعيل صدر الدين»: المعروف بالسيد «إسماعيل الصّدر»، ولد ونشأ في أصفهان، وبعد وفاة أبيه انتقل إلى النجف الأشرف، وهناك تلقى علومه الدينية على يد الإمام «الشيرازي»، وانعقدت له المرجعية العامة للطائفة الشيعية إلى حين وفاته سنة ١٩١٤م (١٣٣٥هـ). أنجب السيد «إسماعيل الصّدر» أربعة أولاد من كبار علماء الدين أولهم «محمد مهدي»، وهو أحد المراجع الكبار في الكاظمية قرب بغداد، وشارك في الثورة العراقية مع ابن عمه «محمد الصّدر» الذي تولى رئاسة الوزارة العراقية في حينه، ومنهم السيد «صدر الدين» والد الإمام السيد «موسى الصّدر»، والسيد «محمد جواد»، والسيد «حيدر».

السيد «صدر الدين الصّدر»: ولد السيد «صدر الدين» في العراق تلقى علومه في النجف الأشرف، وبرع في الفقه والأدب، هاجر من العراق إلى إيران واستوطن خراسان وهناك تزوج من «صفية» ابنة المرجع الديني السيد «حسين القُمي». ومن خراسان انتقل إلى قُم المقدسة تلبية لدعوة المرجع العام الشيخ «عبد الكريم اليزدي» ليعاونه في إدارة الحوزة

العلمية حيث أصبح السيد الصّدر أحد أركانها ومرجعاً معروفاً. وأنشأ السيد «صدر الدين» عدداً من المؤسسات العلمية والدينية والاجتماعية والصحية وهو ما جعله قطباً اجتماعياً ودينياً حيث ترك أثراً ومحطات هامة في خدمة المجتمع والإنسان، وتوفي السيد «صدر الدين» عام ١٩٥٣م. ودفن في قُم المقدسة تاركاً عشرة أولاد: ثلاثة صبيان وسبع بنات، بينهم الإمام «موسى الصّدر».

ثانياً ـ نشأته وعلومه:

ولد الإمام «موسى الصّدر» في عام ١٩٢٨م في مدينة قُم الإيرانية، حيث تلقى في مدارسها الحديثة علومه الإبتدائية والثانوية، وانتسب إلى جامعة قُم الدينية ليأخذ العلم على يد أشهر المراجع، منهم الإمام «الخميني» في الفلسفة، والسيد «سلطاني الطبطبائي»، و«آية الله شريعتمداري» في الدراسات المعمقة. واشتهر الإمام «الصّدر» بأنه كان محققاً، وباحثاً، ومتحدثاً، ومناقشاً مميزاً. واحتل مكانة علمية مرموقة. كما تابع الدراسة الجامعية في جامعة طهران عام ١٩٥٠م حيث نال شهادة الإجازة في الاقتصاد من كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية.

أتقن اللغتين العربية والفارسية، وألم باللغتين الفرنسية والإنكليزية، وأصبح أستاذاً محاضراً في الفقه والمنطق في حوزة «قُم» الدينية.

انتقل سنة ١٩٥٤م إلى العراق، وبقي في النجف الأشرف أربع سنوات يحضر فيها دروس المراجع الدينية، منهم المرجع السيد «محسن الحكيم» والشيخ «مرتضى آل ياسين» والسيد «أبو القاسم الخوئي» وغيرهم من العلماء الكبار. وقد جمع الإمام الصّدر بين العلوم الدينية والعلوم العصرية مما لفت إليه نظر كبار علماء النجف الأشرف.

وجدوا فيه مشروع زعيم دينيّ وزمنيّ، وقد خصّه هؤلاء بالتّقدير والإعجاب، إضافة إلى خلقه الكريم الذي جعل منه عالماً وفقيهاً ونموذجاً أميناً للعالم الفاضل.

إلى جانب دراسته المتواصلة، سواء في مدينة قُم أو مدينة النجف الأشرف تابع الإمام مهمة التدريس فكان مدرساً بارعاً، كما برع في التأليف والكتابة، فأصدر مجلة في مدينة قُم عُرفت باسم «مكتب إسلام»، وكانت تعدّ أكبر مجلّة دينيّة في إيران، كما كان عضواً بارزاً في جمعيّة «منتدى النّشر» النّجفيّة ذات الاهتمامات في إقامة المحاضرات والندوات ونشر الدراسات والأبحاث[1].

تزوج الإمام «الصّدر» عام ١٩٥٥م من كريمة الشيخ «عزيز الله خليلي»، ورزق منها بأربعة أولاد: «صدر الدين» و«حميد» و«حوراء» و«مليحة»، وكسر معهم التقاليد التي تفرض نظاماً قاسياً، فكان مع الزوجة والابن والابنة مدرسة تدرس عبر الأجيال ومثالاً يحتذى به.

ثالثاً ـ صفاته وشخصيته:

الإمام «موسى الصّدر» جامع صفات القيادة الدّينية والسّياسيّة والاجتماعية، ومفّجر الثّورة في أعماق النّاس المظلومة بعد أن حرّك فيهم حبّ التّغيير ورفع الظّلم عن كاهلهم. وقد التزم الإمام الصّدر قضايا شعبه وأمتّه. ومصداقيّته لم تكن أبداً موضع شكّ رغم الإشاعات حوله، وهذا ما تبيّنه مواقفه وممارساته الّتي تترجم بصدق فكره وقناعاته الدّاخلية.

(١) م.س.، ضاهر، يعقوب، مسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، ج١، ص٢٩.

تميّز بقوّته الهادئة، من خلال مواهبه المميّزة. أرغم أخصامه وأصدقاءه ـ على حدّ سواء ـ على توقيره واحترام قدرته على الاستبصار. يلازم التواضع شخص الإمام في علاقاته الخاصة منها والعامة.

كان محباً للمطالعة ومثقّفاً، فقد كان متمكّناً من اللّغة العربيّة كأديب كبير، كما وكثير الاستشهاد بالآيات القرآنية، كان اسمه أمام كلّ محاضرة كفيلاً بأن يجذب النّاس ليملأوا القاعات الّتي يحاضر فيها.

في الحقل السياسي تكمن مواهبه في مقدرته على قيادة الرّجال وفي المقدرة الهائلة على الاتصال بالآخرين.

كسر قاعدة علماء الدّين الذين كانوا محتجبين عن أماكن المسؤولين، لأنّ ما بينهم لا يجمع. ولكنّه كان يرى من واجبه أن يكسر باب الحاكم إذا أقفل دونه ليقول رأيه وينقل أمانيه إلى الناس والمسؤولين.

ترك الإمام الصّدر للآخرين أن يقرأوا فيه احتياجاتهم وضغوطهم وطموحهم، فهو عالم دين يختلف عن الآخرين، ولم يتهيّب الدّخول إلى الكنيسة لإلقاء محاضرة فيها، ولم ينعزل عن علماء الدّين السّنّة. حاول الخروج بطائفته من العزلة التي كانت فيها، وكان في صميم مشاكلها وهمومها، بحركة لم توصم بوصمة التّعصّب إذ تطبع بطابع طائفي. وقد جذبت حركته حولها الإعجاب والتّقدير والتّعاطف كافة، واكتسب بذلك صفة الدّفاع عن حق الإنسان(١).

(١) نعمة، ناصيف، قراءة في سيرة وفكر الإمام الصّدر، بيروت، دار بلال، ١٩٨٨، ص٤٧.

رابعاً ـ قدومه إلى لبنان:

عام ١٩٥٥ زار السيد «موسى الصّدر» موطن أجداده لبنان، وحلّ ضيفاً عند أنسبائه آل شرف الدين في دارة الإمام «عبد الحسين شرف الدّين» في جنوب لبنان. هناك في جبل عامل، في صور ومعركة وشحور تعرف إلى موطن أجداده والتقى أهله، وترك في نفوس كل من اجتمع به أثراً، لا سيما السّيّد «عبد الحسين شرف الدّين» الذي أصبح الإمام مدار حديثه في المجالس ممّا يؤكّد جدارته لأن يخلفه في مركزه بعد وفاته.

فبعد وفاة الإمام «شرف الدّين» نهاية العام ١٩٥٧م تمّت دعوة الإمام الصّدر إلى زيارة لبنان وتسلم مهام السّيّد «شرف الدين» في مدينة صور وفي لبنان.

تريّث الإمام «موسى الصّدر» في القدوم إلى لبنان حتى أواخر العام ١٩٥٩م، وقد حثّه وشجّعه على قبول الدّعوة الإمام السّيّد «البروجردي»، وكان من كبار مراجع الشّيعة في إيران.

لقد كان أمام الإمام الصّدر تجربة جديدة ليست سهلة، عند انتقاله أواخر الخمسينات من المجتمع الإيراني إلى المجتمع اللبناني، خاصة أنّ وقت مغادرة الإمام إيران لم يكن وقتاً هادئاً بالنسبة إلى علماء الدّين، إذ كانت ظروف الحكم آنذاك ظروفاً ديكتاتورية ملكية تتحكم برقاب العباد والعلماء.

كان على الإمام الصّدر أن يبرز قدرته ومهارته على رؤية وتبصّر الواقع الجديد الذي انتقل إليه، لكنّ ذلك لم يكن شاقّاً بالنسبة إلى رجل قياديّ كالإمام الصّدر، برز مع اختصار التاريخ الشيعي الطّويل، ومع معاناة

الطّائفة الأكثر حرماناً وفقراً في بلد تستطيع أن تتخيل كل الأشياء عنه، وتفرد كل أنواع القوة له[1].

خامساً ـ كتاباته:

إن من يطّلع على فكر الإمام الصّدر، لا بدّ أن يقف إزاء أحد كبار علماء الدّين المسلمين، رغم أنه لم يتفرّغ للكتابة والتّأليف بالمعنى التّقليديّ، ولكن ما تركه من محاضرات وندوات ومؤتمرات ومقابلات وتقديمات لمؤلفات تُعدّ من الآثار المهمّة الّتي تدلّ على فكره ونهجه وعلمه.

وقد ظهرت هذه الكتابات أغلبها في حينها، سواء على صفحات الصّحف والمجلات، أو من خلال الكتب الّتي كانت تصدر عن المؤتمرات والمحاضرات والنّدوات الّتي شارك فيها، وقد تمّ جمعها وتوثيقها في موسوعات وكتب ودراسات يمكن تصنيفها على الشّكل الآتي[2]:

أ. كتاب «منبر ومحراب»، ويشمل قسماً من محاضرات الإمام الصّدر في الفترة الزمنية الممتدّة من العام ١٩٦٠م وحتى العام ١٩٦٩م.

ب. كتاب «الإسلام خيارنا لتغيير الواقع المتخلّف»، شمل بعض محاضرات الإمام عن الإسلام، والدّور الذي يلعبه في التّغيير الاجتماعي نحو الأفضل.

---

(١) م.س.، نعمة، تاصيف، ص٣٩.
(٢) م.ن.، ص١٠١.

ج. كتاب «الإسلام دين وحياة،» وضعه الإمام الصّدر بإشراف المرجع السّيّد «محسن الحكيم»، والذي يقع في ستة أجزاء لطلاب المدارس الثانويّة وطلبة العلوم الدّينيّة.

د. كتاب «الإسلام عقيدة راسخة ومنهج حياة»، وهو عبارة عن قسم آخر من محاضرات الإمام وتوجّهاته.

هـ. كتاب مع الاعتذار للإمام «الصّدر»، هو عبارة عن مجموعة من المقابلات الصّحفيّة كان قد أجراها مع الإمام الصّدر الصّحفيّ المصريّ «عادل رضا»، كما نشر ضمن الكتاب ملف قضية إخفاء الإمام الصّدر ورفيقيه والتّحقيقات بشأنها في حينه.

و. كتاب «الشيعة على المفترق، أو موسى الصّدر» تحدث فيه السيد «نجيب جمال الدين» على رحلته مع الإمام وانطباعاته عنه.

إلى جانب هذا، فقد ألقى الإمام مئات المحاضرات في الجامعات والمعاهد العلمية وفي النّدوة اللّبنانيّة، وفي المؤسّسات والمراكز الدّينيّة والثّقافيّة والاجتماعية، والإسلامية والمسيحيّة، وفي مؤتمرات البحوث الإسلامية، اشتملت على مواضيع مختلفة دينية، وسياسية، وتربوية، وثقافية، وإجتماعية وطنية قومية وإنسانية.

وإذا أردنا التوقف عند كل موقف من مواقف الإمام، لكثرت المحطات. ونعجب بالإنجاز يتبع الإنجاز، ونحتار كيف أن رجلاً واحداً استطاع أن يكون أُمّة بذاته، وجامعة بفكره، وشعباً كبيراً بتطلّعاته.

ولأجل الاستفادة من فكره ومتابعة لطموحاته وتحقيقاً لرغبته في الارتقاء الإنساني ونشر العلم والمعرفة وتفعيل دورهما في حياة الإنسان،

وتعزيزاً للتّقارب والحوار بين الأديان والثقافات. ولرفع مستوى الوعي، والتعليم والثقافة، تأسس مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدراسات في بيروت في آب ١٩٩٥م من قبل مجموعة من الباحثين المهتمين بالقضايا المعاصرة برعاية مؤسسات الإمام الصّدر، وإدارة نجل الإمام السيد «صدر الدين الصّدر». وذلك بعد مرور سبعة عشر عاماً على تغييب الإمام الصّدر ورفيقيه. فكان التأسيس حرصاً على إحياء قضية تغييبهم، وتأكيداً على استمرار نهج الإمام الصّدر وتوجهاته وتعميم أفكاره وطموحاته.

وقد أولى المركز اهتماماً خاصاً بجمع وتوثيق النتاج الفكري للإمام الصّدر ونشره ووضعه في متناول الباحثين والمهتمين، كما وجمع المركز الكتب والمقالات والأخبار والمطبوعات والصور والتسجيلات الصوتية والمرئية وتوثيقها وفق أحدث برامج المعلوماتية وبرامج النشر على الإنترنت[١].

كما واهتم المركز بتنظيم المؤتمرات والندوات الثقافية، ورعاية النشاطات الفكرية والإبداعية تجسيداً لإيمانه بأهمية العملية الثقافية في تنمية العلاقات الحضارية بين الشعوب. وقد تم نشر أعمال هذه المؤتمرات تباعاً تحت عنوان مؤتمر «كلمة سواء»[٢] تضمنت بحث مواضيع متنوعة اجتماعية وثقافية وتربوية وسياسية بمشاركة ذوي الإختصاص، إلى جانب ذلك صدرت عن المركز منشورات عدة منها:

(١) E-mail, Imamsadr@dminet, p61.

(٢) راجع إصدارات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدراسات، بيروت، طريق المطار.

أ. الدين وحركات التّحرر.

ب. أحاديث السحر، وهي الأحاديث الّتي كان يلقيها الإمام الصّدر عبر الإذاعة اللبنانية بمناسبة شهر رمضان المبارك.

ج. الإسلام وكرامة الإنسان.

د. أبجدية الحوار وقواعده، للأستاذ «حسين شرف الدين».

هـ. دراسات للحياة.

و. المذهب الاقتصادي في الإسلام.

إضافة إلى ما تقدّم أصدرت حركة «أمل» «مسيرة الإمام السيد موسى الصّدر» وهي موسوعة مؤلفة من إثني عشر مجلداً[1]، (توثيق الحاج «يعقوب ضاهر») احتوت على كل ما قد تم التوصل إليه من حركة الإمام الصّدر التي شملت مختلف المسائل والموضوعات الفقهية، والأخلاقية والإسلامية والاجتماعية. هذا فضلاً عن المحاضرات التي عالج من خلالها موضوعات دينية وثقافية وتربوية وإنسانية وسياسية ووطنية وعربية وعالمية. وقد غلبت عليها الاستقامة في التفكير والعقلانية الهادئة التي ساهمت في تكوين الوعي الاجتماعي والسياسي للمسلمين الشيعة في لبنان، فضلاً عن توثيق وتبويب الاعتصامات والإضرابات التي شارك ودعا إليها الإمام لرفع الظلم والحرمان عن أبناء وطنه وشعبه. يستفاد منها للباحثين والدارسين والمهتمين بنتاج الإمام الفكري والديني والسياسي والإصلاحي والإجتماعي.

---

(١) م.س.، ضاهر، يعقوب، موسوعة الإمام السيد موسى الصّدر، بيروت، دار بلال، ط١، سنة ٢٠٠٠م.

كما كتب الإمام الصّدر تقديمات لبعض الكتب ومنها[1]:

* مقدمة لكتاب «تاريخ الفلسفة الإسلامية» وهو كتاب للمستشرق الغربي الفرنسي الأصل «هنري كوربان».

* مقدمة لكتاب «القرآن والعلوم الطبيعية» تأليف الأستاذ «يوسف مروة».

* «فاطمة الزهراء» للأديب «سليمان كتاني».

* «شرح حديث القدير» «آية الله مرتضى خسروشاهي».

ومن أهم المحاضرات التي عالجها الإمام نذكر منها: الإسلام وثقافة القرن العشرين، الإسلام والتربية المدنية، الإسلام والعبادات، الإسلام والتطور، تأملات حول بعث تعاليم الإسلام، المعاملات الجديدة في ضوء الفقه الإسلامي، الإسلام والمرأة. وغيرها من محاضرات ودراسات لا مجال لحصرها.

سادساً ـ منجزاته:

في بدايات نشاط الإمام الصّدر، نرى سعيه إلى تأطير العمل، والحركة، والناس، ضمن مؤسسات جماعية قائمة على أسس ثابتة وعلمية، تحمل في ثناياها صفة الديمومة واستمرار العطاء والتطور باتجاه الأفضل والأرقى للوصول بالإنسان إلى أعلى المستويات العلمية والثقافية والاجتماعية ليلتحق بمسار التطور والتقدم في الحضارة الإنسانية[2].

---

(١) م.س.، نعمة، تاصيف، ص١٠٢.

(٢) م.ن.، ص١٦٩.

وقد تجاوز الإمام الصّدر في حركته هذه سلوك الاكتفاء بالوعظ والإرشاد، فكانت حياته حافلة بالفكر والعمل متسلحاً بصلابة المبدأ واستقامة الطريق، وكان مؤمناً بأن الرسالة التي يحملها هي الدعوة الحقيقية إلى الإسلام التي تساهم في إصلاح حياة الإنسان الدنيوية وصلة الإنسان بالله وحياة الإنسان بعد الموت.

ويلخّص الإمام الصّدر الهدف من حركته الإصلاحية، ودوره في هذه الحياة، فيقول: «لا أريد إلا الإصلاح، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب»[١].

«لا أحد يقدر أن يحدّد لي دوراً. دوري محدد من الله سبحانه وتعالى، ومن تاريخ وطني وديني ومذهبي»[٢].

ومن إيمانه وعقيدته انطلق الإمام الصّدر في بناء الإنسان وتنمية موارده البشرية على الصعد كافة. مؤكداً أن في كل إنسان فطرة التعلم والاكتساب، وذلك بتأمين المجتمع الملائم لنمو كفاياته وتطويرها، ومن صور ـ التي كانت تعج بالمتسوّلين ـ بدأت رحلة المؤسسات عند الإمام الصّدر من خلال حملته الشهيرة على ظاهرة التسول، وإخضاع المتسوّلين بمساعدة لجنة متخصصة لفحوصات طبية ونفسية، للوقوف على حقيقة أوضاعهم حتى أمّن لهم دخلاً شهرياً. ومن أهم إنجازات الإمام الصّدر على هذا الصعيد[٣]:

---

(١) فضل الله، هادي، فكر الإمام موسى الصّدر الإصلاحي، بيروت، دار الهادي، ص٦٧.

(٢) وليد زهر الدين، حوار صحفي، مجلة كل شي البيروتية، ١٩٧٣/٦/٣٠؛ م.س.، ضاهر، يعقوب، موسوعة الإمام الصدر، ج٣، ص٢٥٧.

(٣) راجع بنوت، جهاد، حركة أمل قصة حركة إصلاحية في بلاد العرب، ط١، بيروت، المركز الثقافي اللبناني، ٢٠٠٨م، ص١٢١.

أ. **جمعية البر والإحسان**: لقد أعاد تنظيم «جمعية البر والإحسان» في مدينة صور، وتولى نظارتها العامة، ومن خلالها نجح في القضاء على ظاهرة التسول والتشرد في المدينة.

ب. **معهد الدراسات الإسلامية**: حوزة علمية في مدينة صور، وهي من المشاريع التي أسسها الإمام تلبية لحاجات الناس إلى كادر متخصص يكون بينهم لنشر الوعي والمعرفة.

ج. **المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى**: بعد وقوف الإمام على أحوال الطائفة الإسلامية الشيعية، ظهرت للإمام حاجة الطائفة إلى تنظيم يرعى شؤونها وأمورها أسوة الطوائف الأخرى، ورغم المعارضة التي واجهت الإمام في إتمام مشروعه، ولكن بجهوده وصبره أتت الدعوة ثمارها وأقر مجلس النواب اللبناني الاقتراح بتاريخ ١٩٦٧م. وفي سنة ١٩٦٩م انتخبت الهيئة العامة للمجلس الإمام موسى الصّدر أول رئيس للمجلس، وأعلن الإمام بعد انتخابه عن برنامج عمله لتحقيق أهداف المجلس من القيام بدور إسلامي كامل فكراً وعملاً وجهاداً.

د. **هيئة نصرة الجنوب**: على أثر العدوان الإسرائيلي على القرى الحدودية الجنوبية، وتكبد الأهالي خسائر جسيمة بأرواحهم وممتلكاتهم، بادر الإمام عام ١٩٧٠م إلى دعوة الرؤساء الدينيين في الجنوب من مختلف الطوائف لتأسيس «هيئة نصرة الجنوب» وتبنت الهيئة مطالب الإمام للعمل على حماية الجنوب وتنميته.

هـ. **مجلس الجنوب**: لم تهتم السلطة اللبنانية بمطالب الإمام بمساعدة الأهالي في الجنوب، فأعلن هجومه عليها وأدى ذلك إلى إضراب عام تجاوب معه الأهالي من الطوائف اللبنانية كلها. وذلك بتاريخ

٢٦/ ٥/ ١٩٧٠. وتحت ضغط التعبئة العامة وحركة الرفض التي حققها الإمام اضطر مجلس النواب للاجتماع وإقرار قانون بإنشاء مجلس الجنوب، مهمته المساهمة في تعزيز صمود الجنوبيين وتعويضهم الأضرار الناجمة عن الاعتداءات الإسرائيلية.

وإلى جانب ذلك ساهم الإمام بتأسيس جمعيات ومؤسسات نذكر منها:

مدينة الزهراء في خلدة[١]، مبرة الإمام الخوئي في صفير ـ الضاحية الجنوبية[٢]، مستشفى الزهراء في بئر حسن، مدينة الصّدر النموذجية في الضاحية الجنوبية[٣]، الجمعية الإسلامية للتخصص والتوجيه العلمي. كما أنشأ العديد من المراكز الاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت في إنماء المنطقة المحرومة. منها مراكز إنتاج السجاد العجمي وتعليم اللغات وغيرها..

و. إرهاصات المقاومة اللبنانية وولادة أفواج المقاومة اللبنانية ـ «أمل»: منذ مجيء الإمام الصّدر إلى لبنان أدرك خطر الفكر الصهيوني على الإنسانية بشكل عام وعلى لبنان بشكل خاص، وذلك بعد نكبة اغتصاب فلسطين، لذلك كان دائماً من الداعين إلى المقاومة الفلسطينية حتى أنه في تلك الفترة أقام العديد من حفلات الإفطار وخلافها، لجمع الأموال للمقاومة الفلسطينية كما أعلن عن جواز دفع الحقوق الشرعية للمقاومين بعد مراجعته المرجعيّة الدينية.

---

(١) حالياً الجامعة الإسلامية ـ لبنان ـ من مؤسسات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

(٢) مبرة الإمام الخوئي، أصبحت فيما بعد إثر إخفاء الإمام، المبرة المؤسسة لجمعية المبرات الخيرية، ومقر المبرة اليوم في خلدة، جنوب بيروت.

(٣) حالياً يعد جزءاً من حي الجامعة في منطقة حي السلم ـ الضاحية الجنوبية ـ وهو عبارة عن مشروع سكني بديل لمساكن للفقراء كانوا قد أشادوها يومها في مكان بناء مجمّع الجامعة اللبنانية.

ونتيجة للتشابك السلبي بين الأنظمة العربية والمقاومة الفلسطينية، أصبحت المقاومة الفلسطينية تعمل ضمن توجيهات بعض الأنظمة، وأصبح وجودها في لبنان وخاصة في منطقة الجنوب بعد اتفاقية القاهرة عام ١٩٦٩م ومحاولة تحويل الجنوب في النصف الأول من السبعينات إلى ما يشبه كيان ذاتي للمقاومة الفلسطينية، وذلك دون الأخذ بعين الاعتبار مصالح لبنان والمصالح المباشرة للجنوبيين الذين حضنوا تاريخياً ـ إثر النكبات المتكررة ـ الشعب الفلسطيني ولاحقاً مقاومته. وحيث أصبحت المقاومة الفلسطينية من خلال بعض فصائلها تعمل دون الالتفات إلى مصالح فلسطين ولبنان. وإثر الاعتداءات الدائمة على جنوب لبنان، وجد الإمام أنه من الواجب إطلاق مقاومة لبنانية تدافع عن أرض الوطن وتحمي أهله دون الارتباط بقضية المنطقة وتعقيداتها، فبدأ التعبئة الخاصة للمواطنين اللبنانيين، وخصوصاً المناطق الجنوبية باتجاه تشكيل مقاومة لبنانية.

ومن خلال مناسبات عديدة كان الإمام يدعو اللبنانيين عامة والجنوبيين خاصة إلى التدريب والتحضير لمقاومة أي عدوان وعدم الاتكال على أحد في الدفاع عن أرضهم. وبدأ فعلياً بإنشاء معسكرات التدريب في البقاع مستفيداً من علاقات خاصة مع حركة «فتح» الفلسطينية وبعض الضباط المتقاعدين من الجيش اللبناني، وتم إنشاء العديد من مراكز التدريب بشكل سري اعتباراً من العام ١٩٧٣م، بالتزامن مع استمرار دعوة المجتمع إلى التدريب. وفي ذكرى مناسبة عاشوراء بتاريخ ٢/ ٢/ ١٩٧٤م، ألقى خطبة في بلدة «ياطر» الحدودية تطرّق فيها إلى الوضع المعاش في الجنوب قائلاً «أنا الشيخ المريض مستعد أن أحمل البندقية

وأقف معكم على الحدود، أنا على استعداد لكل ما يطلب منا. لماذا لا يعطون السلاح للجنوبي كي يدافع عن بلده؟!...»[1].

«إنّ الدفاع عن الوطن ليس واجب السلطة وحدها، وإذا تخاذلت الدولة فهذا لا يعني أن نلغي واجب الشعب في الدفاع عن وطنه...».

لم تخلُ مناسبة من التحذير من الخطر الصهيوني وضرورة مواجهته مع استمرار الإمام في تدريب الشباب بشكل سري، حتى حصل حادث انفجار لغم أثناء التدريب في بلدة عين البنية ـ بعلبك بتاريخ ٥/ ٧/ ١٩٧٥، وهزت هذه الحادثة المفاجئة الأوساط المحيطة بالإمام الصّدر مما دفعه للوقوف على آثار الانفجار، حيث كان من ضمن تخطيطه إعلان ولادة «أفواج المقاومة اللبنانية ـ أمل» في الوقت الذي يراه عملياً وموضوعياً للإعلان. ويقول الإمام أنه فكر ملياً في كيفية مواجهة الحدث، وأثناء مناقشته الأمر مع بعض معاونيه حول التبني أو السكوت، قال يومها: «إنني أمام خيارين»:

١. لا أريد أن يجرني أحد إلى الاشتراك في الحرب الأهلية[2].

٢. لا أستطيع أن أتجاهل دماء الشهداء، والوفاء يقتضي أن أتحرك لأجلها حتى لا تذهب هدراً.

عندها كان قرار الإمام الصّدر بالإعلان عن إنشاء الجناح العسكري لحركة المحرومين ـ أمل، وذلك عبر مؤتمر صحفي عقد بتاريخ ٦/ ٧/ ١٩٧٥م، ومما جاء فيه:

---

(١) جريدة النهار ٣/ ٢/ ١٩٧٤.

(٢) كانت الحرب الأهلية اللبنانية قد بدأت بتاريخ ١٣ نيسان١٩٧٥م.

«... في غمرة الآلام المبرحة، وبكل اعتذار أنعي إلى المواطنين عموماً وإلى أبناء الجنوب الصامد خصوصاً، نخبة من الشباب اللبنانيين الّذين استشهدوا... هذه الباقة الحمراء من أزهار الفتوة والفداء هم طلائع أفواج المقاومة اللبنانية ـ أمل الذين لبوا نداء الوطن الجريح الذي تستمر إسرائيل في الاعتداء عليه...»[1]. وكان يومها الإعلان عن ولادة أفواج المقاومة اللبنانية ـ أمل.

سابعاً ـ إخفاؤه:

تجاه اشتداد المحنة اللبنانية، وتعاظم الأخطار التي تهدد جنوب لبنان بفعل استمرار العدوان الإسرائيلي وممارساته إثر الاجتياح في ١٤/ ٣/ ١٩٧٨م، والتي حالت دون تمكين الدولة اللبنانية من إخضاع هذه المنطقة لسلطتها ورفض إسرائيل الإنسحاب من الشريط الحدودي المحتل، وتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم «٤٢٥» الذي صدر إثر الاجتياح الإسرائيلي، وذلك بهدف خلق واقع جديد يخدم مخططاتها ومؤامراتها في لبنان والمنطقة، وجد سماحة الإمام السيد «موسى الصّدر» أنّ الواجب يدعوه لعرض تطورات الوضع العام في لبنان وحقيقة المخاطر التي تهدد جنوبه. على رؤساء وملوك الدول العربية ذات الاهتمام والتأثير المباشر في معالجة هذه الأوضاع.

وفي هذا الإطار، قام سماحة الإمام بجولة شملت كلاً من الجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، داعياً إلى عقد مؤتمر قُمة عربية

(١) جريدة النهار ٧/ ٦/ ١٩٧٥؛ حركة أمل السيرة والمسيرة، ط١، ج١، ص٨٥، ٢٠٠٦م.

محدودة سعياً لإنهاء محنة لبنان وإنقاذ جنوبه، وهو ما أعلنه الإمام الصّدر بنفسه في حديثه إلى صحيفة «أخبار الخليج» البحرينية، والذي نقلت خلاصته صحيفة «النهار» في ٢٤/ ٧/ ١٩٧٨م[١].

في الجزائر، أجرى سماحته محادثات مع الرئيس «هواري بومدين» ومع قيادات دولة الجزائر والحزب الحاكم «جبهة التحرير الوطني»، وفي إحدى جلسات هذه المحادثات أُشير على سماحته بزيارة ليبيا لما لقادتها من تأثير على مجريات الوضع العسكري والسياسي على الساحة اللبنانية، وأبدى سماحته أن زيارته الوحيدة إلى ليبيا كانت عام ١٩٧٥م للمشاركة في مؤتمر إسلامي عام وأنه مستعد لزيارة ليبيا في حال تم توجيه الدعوة إليه.

وبناءً عليه وبتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٩٧٨م استقبل سماحة الإمام في مكتبه القائم بأعمال السفارة الليبية والذي نقل إليه دعوة لزيارة ليبيا والاجتماع مع «العقيد القذافي».

قبل سماحة الإمام الدعوة متريثاً في تحديد بدء الزيارة لمزيد من المشاورات وبتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٩٧٨م أبلغ سماحة الإمام القائم بالأعمال الليبي رغبته أن تبدأ الزيارة بتاريخ ٢٥/ ٨/ ١٩٧٨م واضطراره أن يغادر ليبيا قبل ١/ ٩/ ١٩٧٨م للاهتمام بزوجته المريضة والتي تعالج في فرنسا والعودة إلى لبنان لمتابعة الأوضاع.

وقد سافر الإمام بتاريخ ٢٥/ ٨/ ١٩٧٨م إلى الجماهيرية الليبية وأقام ورفيقيه ـ في فندق الشاطئ بطرابلس الغرب ـ ضيوفاً على سلطات

---

(١) راجع «الحقيقة لن تغيب»، إصدار مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدراسات، ط٦، بيروت، طريق المطار، ٢٠٠٠، ص٩.

الجماهيرية الليبية. وبمتابعة للإعلام الليبي يومها نرى أنه أغفل أي إشارة إلى قدوم زائرها الرسمي الإمام ورفيقيه إلى درجة أن القائم بالأعمال اللبناني في ليبيا الأستاذ «نزار فرحات»، لم يعلم بوجود الإمام إلاّ عندما اتصل به عضو الوفد المشارك الأستاذ عباس بدر الدين بتاريخ ٢٨/ ٨/ ١٩٧٨م، وذلك وفقاً لمضمون التقرير الصادر عن وزارة الخارجية اللبنانية على أثر إيفاد الوفد اللبناني (السياسي الأمني) للاستقصاء عن وضع الإمام ورفيقيه، وذلك بعد انقطاع أخبار الإمام إثر خروجهم من فندق الشاطئ بتاريخ ظهر ٣١/ ٨/ ١٩٧٨م على أساس موعد للقاء الرئيس الليبي «معمّر القذافي»[١].

حينها أُجريَ الكثير من الاتصالات والمتابعات من قبل الحكومة اللبنانية وقيادة حركة أمل والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى دون أي نتيجة، وبقي النظام الليبي مصراً على موقفه بأن الإمام غادر ليبيا إلى إيطاليا بتاريخ ٣١/ ٨/ ١٩٧٨م على متن طائرة الخطوط الإيطالية (رحلة رقُم ٨٨١).

عندها أجرت السلطات اللبنانية سلسلة تحقيقات إثر إحالة الملف إلى المجلس العدلي وتقاطعاً مع تحقيقات القضاء الإيطالي، أصدر القضاء اللبناني مطالعات في فترات مختلفة تؤكد عدم مغادرة الإمام ورفيقيه ليبيا[٢]. وتحمل السلطات الليبية المسؤولية المباشرة عن مصير الإمام.

مطالعات القضاء الإيطالي في الأعوام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢م وآخرها قرار

(١) م.س.، راجع كتاب الحقيقة لن تغيب، ط٦، ٢٠٠٠م، ص١٠.

(٢) مراجعة ملف التحقيق اللبناني كاملاً، والذي نشر في موسوعة الإمام الصدر، ضاهر، يعقوب، ج١، ص٩٩.

النائب العام في روما «الدكتور سلفاتوري فكيوتي» بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ١٩٨١م، والتي أورد فيها بتفصيل الأدلة على تزوير التحقيقات الليبية المزعومة. كما وأكد قاضي التحقيق في روما الدكتور «دومينيكو نورتروم» بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩٨٢م قراراً قال فيه: «أن التحقيقات الإضافية المعمقة أفرزت أدلة ثبوت متطابقة لا يرقى إليها أي شك في أن الإمام الصّدر ورفيقيه لم يدخلوا الأراضي الإيطالية، وأن أشخاصاً آخرين غير معروفين انتحلوا شخصيات الإمام ورفيقيه».

اعتراف القذافي شخصياً في خطاب الذكرى ٣٣ لثورة الفاتح والذي ألقاه في ٣١ آب ٢٠٠٢ في «سبها»، والذي قال فيه: «أنه دعا «الإمام الصدر» الذي يؤيده ويحترمه إلى حضور عيد الثّورة ثم يختفي دون معرفة السّبب والوجهة»[١].

وبناءً على كل ما ذكر أعلاه، رفعت عائلات الإمام ورفيقيه وبتواريخ مختلفه دعوى قضائية أمام القضاءين اللبناني والإيطالي، وكان آخرها دعوى شخصية ضد الرئيس الليبي «معمّر القذافي» وسبعة عشر مسؤولاً ليبياً متورطين في مؤامرة الاخفاء. وصدرت بناءً عليه مذكرات عديدة لاستدعائهم إلى التحقيق وحسب الأصول المرعية الإجراء وإحالات متعددة من قضاة التحقيق العدليين المكلفين بملف القضية، كان آخرها قرار قاضي التحقيق العدلي الأستاذ «سميح الحاج» تحت عنوان «قرار اتهامي»[*] طلب فيه الاعدام للرئيس الليبي «معمّر القذافي» ومعاونيه المتهمين بناءً على مطالعات عديدة استندت إلى مجموع التحقيقات والمطالعات والإحالات القانونية من المختصين في القضاء اللبناني.

---

(١) جريدة الشمس الليبية؛ بث مباشر للتلفزيون الليبي، ٣١ آب٢٠٠٢م.

(*) صدر بتاريخ ٢١/٨/٢٠٠٨م.

هذا، وما زالت قضية الإمام الصّدر ورفيقيه معلقة في أروقة ضمائر العالم، الذين صمّوا آذانهم عن سماع صوت الحق الذي رفعه «موسى الصّدر» مطالباً برفع الحرمان عن الإنسان وإعطاء كل ذي حق حقه، مناشداً منظمات حقوق الإنسان العمل على تأمين حق المظلوم ومعاقبة الظالم. ولكن شرعة حقوق الإنسان لم تحترم حق الإمام الصّدر في إعلاء صوت الحق، فسجنت حريته، وأرادوا إخماد صوته وإطفاء نور الله الذي أضاءه بجهاده وصبره وعطائه وسيره على خطى الأنبياء وخطى جده رسول الله ﷺ وأهل بيت النبوة الأئمة الأطهار. والذي ارتبطت حركته الإصلاحية مع مبادئهم وتعاليمهم ساعياً بعمله وفكره إلى الوصول إلى تكامل المجتمع مستنداً إلى الدين والعلم معاً، ليصل بالإنسانية إلى أرقى المستويات الّتي أرادها الخالق للبشرية.

خافوا حرية فكره وتطور حركته، وسرعة سلوك نهجه قلوب معايشيه ومحبيه. ولكن غيبوه بجسده وبقي حاضراً في فكره ونهجه وتاريخه مسطراً نموذجاً يحتذى به في الحركات التحررية عبر التاريخ.

ورغم مضي سنوات الظلم والإخفاء ما زالت أصداء كلماته تعم المنتديات الفكرية والمؤتمرات الإصلاحية والإيدلوجيات الصاعدة، تبحر في نهجه وفكره وعلمه للوصول إلى الحرية والكرامة والعنفوان التي خطّ معالمها بحبر الشهادة والفداء سيراً على خطى جده الحسين عليه السلام سيد الشهداء قائلاً: «لا أريد إلا الإصلاح، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب».

وبقيت رسالته خالدة، الرسالة التي أرادها دعوة حقيقية إلى الإسلام. هم أرادوا بإخفاءه أن يمحوا معالمها وحبرها وإطفاء نورها، ولكن الله يأبى

ذلك ورسوله والمؤمنين. فها هي رسالته تسطع نوراً وعلماً ومعرفة تضيء دروب السالكين والمريدين والطامحين إلى الحرية والكرامة. وبقيت أحرفها تنبض علماً ومعرفة كما أرادها وعمل لأجلها حين قال: «**أنا أعتقد أن الرسالة التي أحملها، والتي هي الدعوة الحقيقية إلى الإسلام تساهم مساهمة فعالة في تطوير المجتمعات والأفراد بمقدار ما تساهم في إصلاح صلة الإنسان بالله، وحياة الإنسان بعد الموت. وإني طبقت عملياً هذا المبدأ على نفسي وعلى نشاطاتي وأنا أؤكد أن الدين هو أفضل وسيلة للحياة قبل أن يكون زاداً للآخرة. وهذه الدعوة إلى الله رافقت انسجاماً كلياً في مختلف الطوائف والمذاهب في لبنان، وربما كان للاسلوب أثر فعال في هذا الانسجام، حيث إني كنت أتفهم كل ما في نفس المخاطب السائل أو المستمع من شكوك وأسئلة واعتراض. دون أن أفرض مهابتي ووضعي الخاص عليه، ثم وبعد هذا الإحساس كنت أحاول أن أعالج المشاكل بصورة علمية**»[1].

فمع الإمام الصّدر «نبحر لنتعرف إلى المرأة الإنسان ـ التي نهض بها الإمام يستزيد منها ملحاً للأرض ويقوم إلى الزبد يوزعه هباء ـ نسير معه في ربوع المرأة بحقيقتها، نتشرف معانيها والجهاد معتمدين على القرآن الكريم ـ للتعرف على الإنسان ـ ومن خلال آياته استخلص الإمام تعريفه بأن القرآن يعتبر المرأة مثل الرجل في الحقيقة وفي الذات»[2]، هذه الحقيقة الإنسانية للمرأة التي عمل الإمام لأجل إيضاحها وكشف الغموض عن

---

(١) الإمام الصّدر، حوار صحفي، المرأة والدين، أجرت الحوار «حنان المعلوف»، ملحق جريدة النهار البيروتية، ١٩٦٩/٤/٢٧؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ضاهر، يعقوب، ج١، ص٩٥.

(٢) شرف الدين، حسين، حوار مكتوب محوره موضوع البحث، ٢٠٠٨/١١/١٠.

ماهيتها لاقت صعوبات لا يستهان بها، وذلك لأن مشكلات المرأة كانت مدار آراء مختلفة عند المفسرين والفلاسفة الإسلاميين. كما أن المرأة بذاتها كانت مورد اعتبارات قيمية مختلفة بين رأي فلسفي أو ممارسات فهم خاطئ عند مختلف الشعوب مما جعله في حيرة بالقول: «ان اكتشاف موقف الإسلام تجاه المرأة في هذا الوقت لا يخلو من بعض الصعوبات»[1].

(1) شرف الدين، حسين، منبر ومحراب، كلمات للإمام موسى الصدر، دار الأرقم، ١٩٨١، ط١، ص١٦٤.

الفصل الثاني

المرأة
في السياق التاريخي قبل الإسلام

تمهيد

أولاً: قراءات الإمام الصّدر للمرأة في التاريخ

ثانياً: الفلاسفة والمرأة

ثالثاً: المرأة في الشرائع السماوية قبل الإسلام

تمهيد:

إن حدود مشكلة المرأة تاريخية منذ انطلاقتها، فقضية المرأة ملاصقة لقضايا الإنسان عبر التاريخ، هذا التاريخ الذي يفتقر إلى دراسات معمقّة عن المرأة، ونجد فيه جدلية واسعة حول واقعها عبر العصور القديمة والحديثة، لماذا استسلمت المرأة لهيمنة الرجل، وكيف خضعت له وانقادت كما ينقاد العبد للسيد، هل هي حقاً مخلوق ضعيف وجد لخدمة الرجل وإشباع رغباته؟! وهل ساهمت الأديان والشرائع السماوية في تكريس مظلوميتها عبر التاريخ؟!

انطلاقاً من هذه الإشكالية وغيرها كانت حركة الإمام الصّدر الإصلاحية النهضوية التي اعتمدت على الفكر والعمل على مساعدة المرأة في تطوير ثقافتها ووعيها، والعمل على تعزيز ثقتها بنفسها وبقدراتها، والاهتمام بشؤونها جميعها عن طريق خلق المناخات الملائمة لنمو كفاياتها.

وقد انطلق الإمام الصّدر لمعالجة موضوع المرأة، مؤمناً بدوره كعالم دين يحمل رسالة الأنبياء والأوصياء، وقد رسم دوره وحدده الله سبحانه وتعالى، فبدأ رسالته بشرح وفهم النص الديني في إطاره الحقيقي ومفهومه

الروحي والعقلي وسعى إلى توظيفه في خدمة البشرية جمعاء، وقد رسم لنفسه برنامجاً للتوعية وتربية الإنسان كفرد، والعمل على إيجاد الظروف المجتمعية الملائمة لصيانة هذا الإنسان من الإنحراف، مؤكداً دائماً خلال حركته التغييرية الإصلاحية «إن معالجة أي داء تبدأ بتحديد سبب الداء، والسبيل لإنهاء التخلف إنما هو في معرفة أسبابه»[١].

لذلك، اعتبر أن حركته التغييرية والإصلاحية تجاه المرأة تبدأ بدراسة واقعها عبر التاريخ من خلال دراسة ومطالعة ما كتب عنها وتأثير مشاركتها في بناء وتطور المجتمعات الإنسانية.

وباعتبار أن الباحث المتمكن يجب عليه أن يطلع على موضوعه والإهتمام بجميع جوانبه التاريخية كلّها، وملاحظة الأحداث والقرائن الحالية اللفظية. بدأ الإمام الصّدر قراءة حركة المرأة التاريخية بتأنٍ ودقة، وقد اعتبر أن حدود ما وصل إليه في بحثه التاريخي عن واقع المرأة أن هناك شمولية في التعاطي معها وأنها كانت مظلومة في المجتمعات البشرية القديمة جمعاء، وفي أكثر الشرائع غير الشرائع الإلهية، وفي المجتمعات البدائية الجاهلية قبل الإسلام، إذا كانت المرأة فيها تُملك ولا تملك، تُورث ولا ترث، تُكره على الزواج والخدمة، لا قصاص في قتلها ولا دية[٢].

ولا شك علينا للحفاظ على سير البحث وموضوعيته أن ندخل إلى

---

(١) راجع محاضرة «مبادئ الحضارة في فكر الإمام الصّدر»، مهتدي، محمد علي، ٢٠٠٦، ص٦؛ محفوظات «مركز الإمام الصّدر للدراسات».

(٢) محاضرة المرأة في الإسلام، للإمام السيد «موسى الصّدر»؛ م.س.، ضاهر، يعقوب، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٠.

القراءات التاريخية لحال المرأة وواقعها في المجتمعات والأمم، وتفسير الإمام الموجز لبداية نشأتها الذي بدأ مع بداية الخلق وصولاً إلى تطورها في تاريخ التجمعات، والشعوب، والأمم، وتبيان موقفه ورأيه من هذا التاريخ، محدداً المشكلة وأسبابها، منطلقاً لمعالجتها حسب رؤيته الدينية والإيمانية.

أولاً ـ قراءة الإمام الصّدر للمرأة في التاريخ:

انطلق الإمام الصّدر لتفسير واقع المرأة عبر التاريخ من خلال إيمانه بالإنسان وحريته وكرامته، الإنسان الذي وصفه الإمام بأنه العطاء الإلهي وهدف الوجود وبداية المجتمع والغاية منه، والمحرك للتاريخ.

هذا الإنسان الذي وهبه الله فطرة سليمة وضميراً واعياً هو رسوله الأول، ورسوله الباطن يهديه إلى الحق، ويشعره بأنه جزء من الكون ويشعره بوحدة متكاملة متجانسة بأروع ما يكون[1].

ويصل الإمام الصّدر في وصفه لروعة التكوين واختلافها بأن «الله سبحانه وتعالى قد خلق البشرية كلوحة فنية ذات ألوان مختلفة، يزيد في جمالها اختلاف الصفات والألوان مما يمهد لها سبل التكامل»[2].

واعتبر الإمام الصّدر ان الإنسان من خلال فطرته السليمة التي أوجدها الله فيه، ومن خلال إدراكه بشعوره عاش سعيداً في بداية الخلق، ولكن عندما حاول تفسير ما حوله وتحرك لكشف أسرار الكون، عجز عن

(١) راجع، محاضرة مرجع الشيعة الأول يحج إلى مكة، للإمام السيد «موسى الصّدر»؛ الندوة اللبنانية عام١٩٦٤، النشرة ٥؛ جريدة الحياة البيروتية، ٧/٤/١٩٦٤م.
(٢) م.س، راجع، محاضرة مرجع الشيعة الأول....

ذلك ووقف حائراً خائفاً على مصيره من الضياع، فسيطر عليه جهله وانحنى بغريزة الخوف أمام الكائنات الطبيعية ونحت منحوتات يعبدها فانحرف واتخذ من أخيه عدواً، ومن عضده منافساً، فصنع من نفسه ومن أسرته ومن قبيلته أصناماً عبدها وجعلها آلهة من دون الله الواحد، فكانت الخلافات والصراعات، وعمت الفوضى البشرية، وأصبح الإنسان في أزمة عنيفة هو أوجدها وعانى من النار ما عانى[١].

ويصل الإمام الصّدر إلى الاستنتاج بأن الرجل وعى ذاته بأنه الأقوى بين مخلوقات الله، فأحكم سيطرته على من هم أضعف منه، فاضطهد، وظلم، وعبث بالكون وبمخلوقات الله. وكان من نتائج عبثه هذا اضطهاده «للمرأة» المخلوق الأضعف، والتي كانت بحكم بنيتها التكوينية فجسدها أضعف وأوهن من جسد الرجل، ولشدّة رقتها لا تتحمل المشاق والمتاعب التي يتحملها الرجل.

فخافت من قوته وجبروته فخضعت له، واستسلمت، ولم تحاول رفع الظلم عنها نتيجة لذلك، اعتبر الإمام الصّدر أنه باستسلامها هذا جعل الرجل عبر تاريخ الأمم والشعوب يتطاول ويسن القوانين التي تلائم أهواءه ورغباته، وفرض هذه القوانين على المرأة من مركز السيطرة[٢].

وانطلاقاً من فهمه لتطور تاريخ المرأة ومسيرة حياتها، اعتبر الإمام الصّدر أن المرأة عانت الكثير من التعقيدات التاريخية في حياتها من تعامل الآخرين معها ومن نظرتهم إليها، واضطهادهم لإنسانيتها وتحويلها إلى

---

(١) م.س، راجع، محاضرة مرجع الشيعة الأول....

(٢) راجع، محاضرة المرأة العربية ومعركة التحرير، الإمام السيد «موسى الصّدر»، عن جريدة الحياة البيروتية، ٢٧/٤/١٩٧٠م.

كمية مهملة تغمرها النظرة الدونية، فلا دور لها سوى خدمة الإنسان «الذكر».

وقد أحاط الإمام الصّدر رؤيته التاريخية تجاه المرأة بأن أوجز حياتها في الأمم والحضارات، معتبراً ان حالها واحد في المجتمعات البشرية كافة، فقد سلبت حقوقها الإنسانية. لذا، لا بد لنا أن ندخل في سرد موجز عن تاريخ المرأة في بعض الأمم والحضارات[1].

أ. المرأة عند الرومان:

الرومان، أمة عرفت المجد والرقي في العالم ولمدة طويلة من الزمن، وسنت القوانين والأنظمة في بلادها لرعاية شؤون مجتمعاتها، ولكن هذه القوانين لم تلحظ المرأة بل كانت تميل إلى ظلمها وحرمانها واضطهادها.

ويسهب الإمام الصّدر في سرده التاريخي بأن قوانين روما كرست ألوهية الرجل واعتبرته إله البيت الذي يُعبد، لا يسأل عما يفعل حتى إن أدى فعله إلى قتل المرأة أو بيعها أو إيجارها. ويعطي الإمام الصّدر مثلاً «حول عدم تغير حال المرأة عن العصور القديمة في روما، إذ وجد أن ملك فرنسا في سنة ٥٨٦م. وكان اسمه «فرانسيس» أصدر قراراً اعتبرته أوروبا إنجازاً لها بأنها أعطت المرأة حقوقها، وبلغت مجدها.

قرار «فرانسيس» هذا يقول: «ان المرأة إنسان في خدمة الرجل، يعني إنسان من الدرجة الثانية، وليست إنساناً متساوياً مع الرجل» هذا

(١) محاضرة «المرأة في الإسلام»، للإمام الصّدر؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٦.

الحق بالإنسانية لم يتساو بإنسانية الرجل فبقيت المرأة تحظى بالنظرة الدونية، وهي على شكل إنسان لتسعد الرجل، ولتخدمه، لتؤنسه، ولكن من يسعدها، ما هي حقوقها الإنسانية...»؟![1].

ب. المرأة في بلاد فارس:

لم تكن المرأة في بلاد فارس، افضل حالاً من أخواتها في بلاد الروم، مع أنهم شعب كانت لهم أمجادهم وتاريخ عريق، وساهموا في تطوير البشرية، وحكموا بلاداً كثيرة وسنوا القوانين والأنظمة، ولكنهم كانوا يمقتون النساء، وعندما يتأكدون من عدم إخلاص الزوجة كان عليها الإنتحار. وقد ظل هذا القانون سارياً في عهد «زرادشت» حتى عصر الأكاديين، وفي عهد الساسانيين خفف هذا القانون بحيث صارت المرأة تسجن، وعند تكرار الخيانة لا مفر لها من الانتحار، والرجل له الحرية المطلقة في عدد النساء، وله الحق أن يتصرف لإشباع أهوائه وغرائزه دون أي اعتراض، وأن يتملك المرأة التي يريد فقط لأنه الرجل[2].

ج. المرأة في بلاد الصين والهند:

المجتمع الصيني والهندي كان مزيجاً من الغوغاء والفوضى، وكان الناس فيهما يعرفون أمهاتهم ولا يعرفون آباءهم، ولم يخضعوا إلى قوانين ترعى شؤونهم وتنظم أوضاعهم، وكانت المرأة مملوكة لأبيها بكراً ولرجلها زوجة، ولأولادها أمّا. وكانت تلقى الهوان والذل في مجتمعها وتقدَّم ضحية على نيران زوجها المتوفي، لا يحق لها أن تملك شيئاً، أو

(١) محاضرة «المرأة في الإسلام»، للإمام الصّدر؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص ٣٦٥.
(٢) محمد سلامة عبد الحافظ، ط١، عمان، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩١٤م، ص٧٢.

أن ترث وعليها أن تخضع للزوج الذي اختاروه لها دون حق الاعتراض أو الاختيار أو حتى إبداء رأيها.

وكان يسودهم اعتقاد أن المرأة هي مادة الإثم وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي[١].

د. المرأة في المجتمع اليوناني:

اليونان يُعدّ من أرقى الأمم القديمة حضارة وتمدناً في التاريخ، ولكن المرأة لم يكن لها في مجتمعهم أدنى منزلة أو احترام، بل كانت الأساطير حولها تشيع بينهم بأنها سبب آلامهم ومصائبهم وكل أذية وبلية سببها امرأة. أما منازل العز والكرامة فهي مختصة بالكامل بالرجال[٢].

هـ. المرأة في بلاد ما بين النهرين:

يلحظ التاريخ ما يشبه التكرار لحال المرأة ما بين أمة وأخرى، فهي في العهد السامري تعامل معاملة فظة غليظة لا حرية لها ولا كرامة، وفي العهد البابلي تلقى نظرة احتقار، لا تملك حرية الاختيار أو المشاركة، فقط هي موجود خُلق لإسعاد الرجل وإشباع رغباته.

أما في المجتمع الآشوري، لم تكن أوفر حظاً من سابقاتها، الرجل له الحق أن يملك المرأة، لا فرق بينها وبين الحيوان، لا يحق لها الاعتراض على أوامر الرجل.

وقد كرس قانون «حمورابي» مظلومية المرأة حين أكد أن المرأة تابعة

(١) محمد سلامة عبد الحافظ، م.س.، ص٨٦.

(٢) م.ن.، ص٧٢.

للرجل غير مستقلة بأمور حياتها، وحين تخالف الزوج له الحق أن يخرجها من البيت ويتزوج بأخرى، وإن زادت من إسرافها بالخروج عن طاعة الرجل له الحق أن يرفع أمرها إلى الحاكم ثم يغرقها في الماء[١].

و. المرأة عند العرب في الجاهلية:

المرأة في عصر الجهل والبدائية حالها واحد، إن كان عند العرب أو غيرهم من الشعوب والأمم، فهي مهضومة الحقوق مسلوبة الإرادة، هي أحط من أي سلعة، لا ترث ولا تورث، حقوقها مهدورة، وكرامتها مكسورة، معاناتها كبيرة، حرمانها مستديم.

زواجها يعود إلى أمر وليها إن كان أباً، أو أخاً، أو عماً، المهم أن الرجل يمتلكها، ويزوجها لمن يريد، وليس لها الحق في الاعتراض أو الممانعة. حتى الولد يحق له أن يعتبر أرملة أبيه حقاً له من ميراثه، إن أراد يتزوجها أو يزوجها لغيره.

وكتب التاريخ عن العرب أنهم ارتكبوا أبشع الجرائم بحق الإنسانية، فإنهم كانوا يئدون البنات وهن أحياء مخافة الفقر والفضيحة والعار.

وكان يحيطهم التشاؤم إذا بشروا بالأنثى، وكانوا يُكرهون نساءهم على ارتكاب المعاصي والفساد[٢].

وهكذا استمرت حركة المرأة التاريخية، واحدة عند الأمم والشعوب كافة، تلفها سلسلة من الظلم والمعاناة والسلب لحقوقها الإنسانية. وقد اعتبر

---

(١) م.س.، محمد سلامة عبد الحافظ، ص٦٦.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٥.

الإمام الصّدر ان المرأة كانت ضمن المنظومة التاريخية التي دخلت إليها، وتأثرت بحالها ولحقت بالحركة التاريخية للشعوب، والتي عانت ما عانت من حكم الأقوياء وتسلط السلاطين والملوك والجبابرة الذين حكموا الإنسانية بعادات وتقاليد كان لها الأثر الكبير في جمود الإنسان وتأخره وجهله.

هذا الإنسان الذي اعتبره الإمام الصّدر «هو البطل الوحيد على مسرح التاريخ، هو الذي يكونه ويطوره ويحركه، هو الذي يخلق المجتمعات، ومن خلال عمله يرسم الخطط، ويحدد المسؤولين ويسبب المشاكل والصعوبات[1].

هذا الإنسان هو نفسه الذي كان قد خلق أصناماً يعبدها ويتقيد بالعادات والتقاليد الموروثة، قد رفض واقعه ونظر حوله محاولاً أن يفسر محيطه ويستفيد من تجاربه ويطور تاريخه، هذا التطور الذي نظر إليه الإمام الصّدر بأنه «ليس إلا تفاعلاً بين الإنسان والكون، فالإنسان حاول حسب رغبته وحاجته أن يتطلع على العالم الذي يعيش فيه فيقرأ منه سطراً، فتؤثر هذه القراءة على حياته، وترفع وعيه، وتطور معيشته، وتغير معالم بيئته، ثم يقرأ سطراً ثانياً، وهكذا..»[2] من هنا بدأت فلسفة الإنسان للعالم ولوجوده.

ثانياً ـ الفلاسفة والمرأة:

حركة الكون والإنسان والطبيعة وما خلف الطبيعة كانت مصدر تفكير وقلق وحيرة لدى الإنسان، الذي نظر حوله وأراد أن يفسر ما يجري، وما

(١) محاضرة الإسلام وكرامة الإنسان، للإمام الصّدر، عن مجلة العرفان، بيروت، ١٩٦٧م؛ وجريدة لسان الحال البيروتية، ٨/ ٤/ ١٩٦٧م.

(٢) محاضرة، سيرة «الرسول والأئمة»، للإمام الصّدر، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

يدور في الكون مستعيناً بالفطرة التي لديه وهي حب المعرفة والاكتساب، والبحث في المجهول، هذا البحث والتساؤل اعتبره الإمام «انها الفلسفة التي ظهرت مختمرة ناضجة عند حكماء وعقلاء الشعوب والأمم القديمة والحديثة، الذين خاطبوا العقول لا القلوب»[1]. وكان هدفهم دعوة الناس إلى تحطيم أصنامهم المنوعة، وتحرير الإنسان من أغلاله وقيوده ورفع مستوى المعرفة والوعي، وكل ذلك من خلال نظريات فلسفية تناولت شتى المواضيع الميتافيزيقية والطبيعية، وجميع العلوم والرياضيات حتى خلصت إلى نظريات تساعد على بناء المدن الفاضلة ودروس في تدبير المنزل وعلم الأخلاق، وغيرها من النظريات التي ما زالت حتى اليوم مجال بحث ودراسة، إلى أن أصبحت الفلسفة من أهم نتاج العقل البشري التي تفرعت منها العلوم كافة في العصر الحديث. ولكن يبقى موضوع المرأة ذاته عند الفلاسفة والحكماء، هي أنها أدنى مرتبة من الرجل، لا يحق لها أن تدخل ميادين الدرس والتحصيل، وأن عقلها أضعف من عقل الرجل، ولم تخلق إلاّ لخدمته.

ولتأكيد هذه المرتبة الدونية في فكر وقانون الفلاسفة والحكماء، أورد الإمام الصدر أمثالاً على ذلك بدءاً من حكماء الصيني «كونفوشيوس» الذي ذكر في شرائعه وصيّة للرعية وهي الآتي: («حينما تفتح لك زوجتك الباب فالطمها لطمة، ولا تنسى أنك إذا لم تعلم السبب فهي تعرفه».

أمّا بوذا فيقول: «أنه لا يجوز للمرأة أن تغضب زوجها حتى في صورة خيانته لها، وإذا تزوجت بعد وفاة زوجها تحرم من الجنة».

ولا ننسى نصيب «إبراهما» أحد حكماء الهند الذي أثبت في شريعته

---

(١) محاضرة «محمد رسول الله محطم الأصنام»، للإمام الصّدر، النهج، صور، ج٣، ١٩٦٠م، ص٢٠.

مقولة: «أن المرأة تورث ولا ترث وعليها أن تحرق نفسها مع زوجها بعد الوفاة»[1].

وبالنسبة إلى اليونان ـ مهد الفلاسفة الكبار ـ فإننا نجد في نظرية «أفلاطون» أن النساء أضعف من الرجال جسمياً، وروحياً وعقلياً، وكان يشكر الله أنه خلقه ذكراً لا أنثى. وقد اعتقد «أرسطو» وهو تلميذ أفلاطون أن هناك شمائل وأخلاقاً حسنة بالنسبة للرجال، وعلى العكس بالنسبة للمرأة. وذهب إلى أن التفاوت بين الرجل والمرأة لا ينحصر في الجانب الكمي، فهما متفاوتان من زاوية الكيف أيضاً[2].

وقد تعاقب الفلاسفة بتناولهم موضوع المرأة، من حيث أن الرجل أقوى والمرأة أضعف، والرجل أخشن والمرأة أنعم، وهكذا...

وقد أسهب الإمام الصّدر بشرحه لرؤية الفلاسفة حول واقع المرأة ودورها بأن «الفلاسفة اتفقوا على أن المرأة شيء لا بد منه، ولكن على الرجل أن يعاملها بحذر واجتناب، وان جاءت بالحسنة لا تُشكر، وإن جاءت بالسيئة تؤدب وتُعذب. وهكذا بقيت المرأة منسية في كتب الفلاسفة والحكماء[3]، ولم تلتحق بركب التطور والتقدم[*].

(١) محاضرة، المرأة في الإسلام، ضاهر، يعقوب، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٧.
(٢) م.ن.، ص٣٦٨.
(٣) انظر، أ. الفهرست، تأليف ابن الفرج، محمد ابن أبي يعقوب إسحاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.
ب. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، إبن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. د.ت.
ج. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تأليف جمال الدين بن يوسف القفطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢.
(*) كتب تاريخية وموسوعات أدبية كلها تضم أسماء أعلام الفلاسفة والحكماء والأطباء وأسماء من تركوا=

ثالثاً ـ المرأة في الشرائع السماوية:

اعتبر الإمام الصّدر أن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان في فلوات التاريخ دون هادٍ أو رسول، «فكان رسوله الأول ورسوله الباطن الفطرة السليمة والضمير الواعي، ولكن الإنسان سيطر عليه جهله فانحرف، وبقي أمام مشاكله وأمام الفواصل العازلة لأجزاء الأسرة البشرية بعضها عن بعض، أمام المنازعات والحروب أمام القلق، وبقي أمام هذا كله يفكر في الخلاص»[1].

وتابع الإمام الصّدر، رحلته التاريخيه حول نشأة الإنسان، بأن الله سبحانه وتعالى ساعد الإنسان، وأرسل إليه الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، لتحريره من ألوهيته الموهومة مستشهداً الإمام الصدر بالآية الكريمة من كتاب الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

معتبراً أن رسالات الأنبياء جميعها تنتظمها وحدة لا تختلف إلا

=بصماتهم على صفحات التاريخ. وكلها أسماء رجال برعوا في مجالاتهم وأسسوا لتطور الفكر والمعرفة، ولنهضة الإنسان العلمية، ولكن لا تجد آثاراً لكتابة أو مقالة علمية أو فلسفية تتحدث على المرأة وإنجازاتها ومشاركتها ومساهمتها في تطور العلم ونهضته، بل يمكن الجزم انه لا يوجد كتاب بقلم امرأة من العصور القديمة أرخت فيه لتاريخ النساء أو لنشأتها أو لتطورها، هذا ما يدل على ان المرأة كانت تعاني من شلل فكري وقصور ذهني لم يساعدها الرجال في ذلك الزمن على تفاديه أو إنتشالها من مستنقع الجهل الذي كانت تائهة فيه.

(١) م.س.، ضاهر، يعقوب، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٧.

(٢) سورة البقرة/ الآية٢١٣.

بالأعمار، وأدوار الأعمار في ميزان النشوء والارتقاء، ولا يختلف الأنبياء في مختلف الأدوار والمراحل بجوهر الثورة على الأصنام بكل اشكالها، فهم قادة محررون بأدق معاني الحرية[1].

ويتابع الإمام الصّدر أن الرسل حاولوا مساعدة الإنسان لحل مشاكله ولإرشاده إلى طريق الحق ولإيقاظ ضميره ليعود إلى الصلاح وطريق السعادة، الذي «يبدأ من الإنسان ومن واقعه ومن فطرته التي خلقه الله عليها. الإنسان ذي الإرادة والاستقلال في الرأي والجزء من الأسرة البشرية، والجزء من الكون، والجزء من الماضي، والجزء من المستقبل، والخلقة الممتازة في هذه السلسلة الواسعة الأزلية الأبدية»[2]. معتبراً أن الأنبياء والرسل جندوا الإنسان تجنيداً ليس له نظير، وخلقوا منه طاقة هائلة لا مثيل لها، ونادوا بحرية الإنسان، الحرية من عبودية إنسان آخر، الحرية من عبودية الأشياء، الحرية من النفس، وكانت رسالاتهم في خدمة الإنسانية، فأعلنوا أن التفاوت في الخلق، في الفكر، في الدين، وفي المواهب يجب أن يصرف في سبيل خير الإنسان، وأن يكون وسيلة للتسابق نحو الأفضل.

ولكن، والكلام للإمام الصّدر، «للأسف، الإنسان جعل من الدين مركباً جديداً للخلافات وتعبيراً قوياً عن أهوائه وأنانيته، فأثار بذلك فتناً كبرى ومشاكل وأزمات، جعلته يتعب من ثقل الأعباء التي هي حصيلة أعماله، حاول العلاج واعتبر أن المسؤول عن هذه المشاكل هو الدين،

(١) م.س.، محاضرة، محمد رسول الله...، ص٢٢.
(٢) م.س.، محاضرة، مرجع الشيعة الأول يحج إلى مكة، ص١٧.

وتجاهل أن هذه المصائب وهذا القلق ليست إلا نتائج أعمال الإنسان وبعده عن واقعه الكوني»[١].

واعتبر الإمام الصّدر أن ما حصل في التاريخ باسم الدين ما هو إلا تحريفات للشرائع الدينية، ولرسالات الأنبياء التي هي حصيلة جهل الإنسان وإصراره على جبروته، وعناده وانحرافه، وتفسيره للتشريعات بما يلائم غرائزه وأنانيته وأهدافه. وكانت حصيلة ذلك، استمراره في التسلط على رقاب الضعفاء والمساكين، واستعبادهم وإخضاعهم لجبروته وقوته ولكن بسلاح مختلف عما سبق، سلاح الدين والشريعة، متجاوزاً رسالة الأنبياء والرسل التي أرادها الله أن تكون بخدمة الإنسانية.

وقد لحق المرأة، الظلم نفسه الذي عاشت فيه دهوراً طوال، فحكمها الرجل القوي والضعيف، وأخضعها لسيطرته وسطوته، وجعلها تعبده من دون الله، واستمر باسم الدين حكم الرجال للنساء في العصور القديمة، فزاد جهلها وضعفها واستسلامها لهيمنته، واعترافها به إنساناً دونها وليس لها ثقة بنفسها انها إنسانٍ. وقد أعطى الإمام الصّدر مثالاً على التحريفات التي وقعت في الشرائع السماوية بحق المرأة بأن المرأة عند اليهود ـ الذين غيّروا التوراة وحرّفوها ـ اعتبروا ـ حسب رؤيتهم هم ـ أن البعل مالك للزوجة والزوجة لا ترث، فجعلها تعمل في خدمته فوق طاقتها، حيث جعلها تؤمن باسم الدين ان عليها حق طاعته وأن تعمل في البيت وفي المزرعة.

وفي الوصايا العشر، طبعاً (والقول للإمام الصّدر) أنهم حرّفوا نص الوصايا العشر وعدّت المرأة في عداد الأنعام وأموال الرجل.

---

(١) م.س.، محاضرة، مرجع الشيعة الأول يحج إلى مكة، ص٢٣.

وفي الدعاء الخاص بالزواج، الذي يبدأ بكلمة سبحانك اللهم خالق الكون، أنت الذي خلقت الرجل على صورتك. ـ ولم يقل خلقت الإنسان ـ بل جعلت الرجل على صورتك، ولم يرد في الدعاء أي ذكر للمرأة[١].

وإلى غير ذلك من تحريفات وتفسيرات خاطئة للأديان كان لها الدور الكبير في تدني مستوى الوعي عند المرأة، وإلى اعتبارها مخلوقاً ناقص الإنسانية، فانتهكت حقوقها وسلبت حريتها ونبذت في المجتمعات وتم استغلالها في مواضيع شتى، واعتبرت في بعض الحالات أنها مصدر للهو والاستمتاع، وبقيت مخلوقاً وجد لإشباع رغبات الرجل وتلبية احتياجاته، إن كان باسم الدين، أو في الفكر الفلسفي، أو بحكم العادات والتقاليد التي كانت سائدة.

هذا المسار التاريخي للمرأة، الذي نجده واحداً في المجتمعات البشرية التي تعاقبت عبر التاريخ قبل الإسلام، والذي كان يعمه الجهل والخراب والانحلال، والذي تسبب في ضياع إنسانية المرأة وانتهاك حقوقها وتكريس مظلوميتها. قد فسره الإمام الصّدر في رأي واضح وصريح في نهاية بحثه التاريخي حول المرأة بأن «المرأة في أول الخلق كانت أضعف جسداً من جسد الرجل، فالرجل تغلب عليها بالعنف وسيطر عليها بمنطق الجهل الذي كان يقتضي بأن الحق لمن غلب.

فالرجل سيطر مادياً على المرأة، ثم استغل قوته وتطاول ظلمه، فأكد سيطرته بوضع القوانين، وبالأفكار العامة، وبالعادات، مكرساً مظلومية المرأة في التاريخ»[٢].

---

(١) م.س.، راجع، محاضرة المرأة في الإسلام، ضاهر، يعقوب، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٨.

(٢) م.ن.، ج ١١، ص ٣٦٦.

والمرأة ساهمت في تكريس مظلوميتها حين استسلمت وخضعت وقبلت بهيمنة الرجل على حقوقها وسلبه لمقومات وجودها.

إن هذا الفهم الموضوعي الشامل لتاريخ المرأة وأسباب فشلها وتراجعها عن السير في ركب التطور اعتبره الإمام الصّدر نتيجة حتمية لما كانت تعانيه من ظلم واضطهاد وسلب لحقوقها، قد أدى إلى أن يطرح الإمام دعوة صريحة وواضحة مبنية على الفكر والعمل بأن يعود الإنسان إلى المفاهيم الإسلامية الحقيقية، وأن يعيها ويدركها ويعمل بمحتواها، لتصل المرأة بذلك إلى كمالاتها وحل مشاكلها وإيجاد ماهيتها الإنسانية التي سلبت منها على مدى العصور والدهور. مؤمناً بأن الأديان كافةً التي أرسلها الله سبحانه وتعالى لهداية البشر، والتي ختمت بالرسالة الإسلامية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على قلب خاتم الرسل والأنبياء هي الرسالة الواضحة والصريحة والطريق المستقيم لخلاص الإنسان والبشرية من التيه في المجهول، والجهل والضياع الذي لم يستثن المرأة (الإنسان) من هذه الدعوة، بل كانت هناك دعوة شاملة بأدق تفاصيلها تناولت موضوعات المرأة كافةً الروحية والفكرية والإنسانية والمجتمعية، فلم تكن هناك صغيرة ولا كبيرة إلا اهتم الإسلام بتبيانها وإيصالها. لذلك أسهب الإمام في شرح المفاهيم الإسلامية تجاه المرأة في زمن كان رجالات الدين يزيدون في قُمعها ووأدها باسم الدين الذي طغت عليه مفاهيم التقاليد والعادات الموروثة، فأزاح الإمام الصّدر بخطابه النهضوي الفكري والعقائدي الزيف الذي أُلبس للدين، وأوضح المفاهيم الإسلامية الحقيقية تجاه المرأة.

وهذا ما سنحاول تبيانه في الفصل الثالث بالاعتماد على محاضرات ومقابلات الإمام التي رعت أحوال المرأة ورؤية الإسلام لها.

الفصل الثالث

رؤية الإمام الصّدر
حول المرأة في الإسلام

تمهيد

أولاً: الدين والمرأة

ثانياً: ماهية المرأة

ثالثاً: دور المرأة في الحياة

تمهيد:

عرّف الإمام الصّدر في رؤيته الإسلامية الدينية الفلسفية الاجتماعية الدين الإسلامي بأنه دين التوحيد، وأن الإسلام له طابع خاص في جميع حقوله وتعاليمه جميعها يعطيه ذاتية خاصة ويميزه عما عداه، في الأديان من العقائد الأخرى، وهذا الطابع يعبر عنه بالتوحيد فيسمى الإسلام بـ «دين التوحيد».

معتبراً ان كلمة الإسلام حسب المصطلح القرآني هو التسليم لله رب العالمين، **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**[1].

أي ان الإسلام هو الانضمام والانخراط في سلك جميع من في السموات والأرض والاتحاد معهم في المبدأ والسير والمرجع اتحاداً أزلياً أبدياً.

موضحاً أن الإسلام حسب التفسير القرآني، هو السجود الإرادي للإنسان وتسبيحه وصلواته والتحاقه بركب الكائنات الواحد، الذي هو بمجموع أجزائه ساجد مسبح ومصل لله الواحد في محراب الكون الواحد.

(١) سورة آل عمران/ الآية ٨٣.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٢].

والمجتمع كالجسد الواحد «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الإعضاء بالحمى والسهر»[٣]. والإنسان موجود واحد، بجسمه وروحه وحدة متكاملة متفاعلة. وفي حقل العقيدة والإيمان بأنّ الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن والمبدأ والمنتهى واحد. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٤].

والغاية في السير والعبادة والجهاد هو الله الواحد ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٥]. ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٦].

مستدلاً بذلك على أن الأنظمة الاجتماعية والمالية والمدنية والأخلاقية هي محاولات واضحة لجعلها على قاعدة واحدة تقرب بين الأفراد حتى تجعل من كل واحد بعضاً من الكل، لا فرداً من الكل على

(١) سورة الحج/ الآية ١٨.
(٢) سورة النور/ الآية ٤١.
(٣) حديث شريف/ رسول الله محمد ﷺ.
(٤) سورة البقرة/ الآية ١٥٦.
(٥) سورة البينة/ الآية ٥.
(٦) سورة الأنفال/ الآية ٣٩.

حد التعبير المنطقي. وقد أوجز هذا المفهوم بأن الطابع المميز للإسلام هو الوحدة في الإيمان والتشريع والفن والتفسيرات.

معتبراً «أن الإسلام أعطى صورة جديدة عن الله تختلف عن جميع الصور الأخرى. وإذا كان يمكن تلخيص الإيمان المسيحي بالله بكلمة موجزة هي أن (الله محبة)، يمكن تلخيص الإيمان الإسلامي بالله بأن (الله هو الحق) بما لكلمة الحق من معنى»[1].

والإسلام دعوة وعناية إلهية من الله سبحانه وتعالى لإنقاذ الإنسان من سيطرة الأهواء وعناصره في داخله وفي الخارج. والدعوة شاملة البشر جميعهم، والقرآن يؤكد خلال آيات متعددة وجود الدعوة بواسطة الأنبياء إلى الشعوب.

ورسالة الدين واحدة متصلة الحلقات، والهدف لا يتحقق إلا بتحرير الإنسان من عبادة الذات، ومن التأثر بنزعات الشر، ومن عبادة ما حوله ومن حوله.

ان التحرر من عبادة الذات يحصل خلال الصراع النفسي، وهو أمر ذاتي يخص الإنسان رغم أنه يكلف جهداً كبيراً، وقد عبر عنه الرسول ﷺ بـ «الجهاد الأكبر».

ولكي يصل الإنسان إلى الهدف الذي وجد من أجله، لا بد أن يكون هناك نظاماً عادلاً شاملاً يصل به الإنسان إلى مرتقاه، وذلك من خلال

---

(١) محاضرة «الإسلام، الأصالة، الروحية، شؤون المجتمع المتطور» للإمام الصدر، ألقيت في الجامعة الأميركية ٢٣/٧/١٩٦٦م؛ مجلة العرفان، مجلد ٥٤، تشرين الثاني ١٩٦٦م، محفوظات حركة أمل.

معرفة هذا النظام الذي يتجلى بالإيمان بالتوحيد وشروطه ومستلزماته. هذا النظام أرسله الله منظومة كاملة على رسوله «محمد ﷺ» خاتم الأنبياء وخاتم الرسالات الإلهية.

وقد اعتبر الإمام الصّدر أن دعوة النبي «محمد ﷺ» هي «أعظم ثورة في تاريخ البشرية، وقد حملت رسالته التحررية قيماً ومعاني حررت الإنسان من ألوهيته الموهومة، وحررت الفكر لأول مرة على وجه أفضل في تاريخ البشرية، فشق من حطام الجهل طريق العلم والمعرفة، هذا الطريق الذي هو دعوة للإنسانية إلى طلب العلم ولو بالصين، وبالدأب والمثابرة من المهد إلى اللحد»[1].

لذلك، كان الإسلام يحمل أيديولوجية تغييرية في أسس الفكر البشري أجمع والعمل البشري قبل الإسلام، وتغيير في الرؤية، وتغيير في العقيدة، وتغيير في العمل، وتغيير في الأخلاق.

وفي مفهوم الإمام الصّدر للرؤية الإسلامية الفلسفية والاجتماعية للإنسان أنه «لا يمكن أن يصبح الإنسان الجاهلي إنساناً متكاملاً إذا لم نؤمن له مجتمعاً إسلامياً صالحاً. المجتمع الذي يجعل الكفاءات تنمو، ويصون طاقات الخير ويشرد الشرور ويحافظ على الحقوق والعدالة»[2].

انطلاقاً من هذا المفهوم كانت الخطوة الأولى في سبيل تربية الإنسان ورفع مستواه في جميع حقول التكامل كافة، هي في جعله يشعر بكرامته

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١، ص٤٧.
(٢) م.ن.، ج٢، ص ٤٨٨.

ويهتم بشؤون نفسه. وإلا فسوف لا يعطي لنفسه أي اهتمام ولا يبذل لصلاحها وصلاح وضعه أي نشاط مهملاً حاضره ومستقبله وحتى ماضيه، فنفقد في هذه الحالة إمكانية إقناعه بالسعي والعمل، وإمكانية التأثير عليه في دعوته إلى تحسين أموره وأوضاعه، والتحرك نحو الأفضل، ويبقى خاملاً جامداً لا مبالياً ومفضلاً استمراره في وضعه على تحمل عناء الحركة وأعباء السعي والنشاط[١].

فكان الشعور بالكرامة من الأسس المباشرة لتحديد مقام الإنسان، ولا يمكن للدعوة الإسلامية أن تنجح وهي تتجاهل وضع الإنسان الحياتي والمهانة الكبرى التي كان يعانيها في عصور الجهل والانحطاط.

لذلك كان لا بد للإسلام أن يأخذ بيد المرأة على قدم التكامل مع الرجل لما كانت تعانيه من هضم لحقوقها الإنسانية وإهمال لشؤونها الحياتية وانعدام لكرامتها حتى من أقرب الناس إليها. ومن هدر لقيمتها ودورها في الحياة. فكانت الدعوة الإسلامية إنقاذاً للمرأة من الظلم الذي كانت تعانيه في عصور الجهل والظلم، فرفع مستواها في حقول التكامل، وجعلها تشعر بكرامتها وتهتم بشؤون نفسها من خلال رفع مستوى الوعي لديها، فكانت حركتها النهضوية في العصر الإسلامي ذات تأثير على نجاح الدعوة، وكانت رعاية الرسول ﷺ ودعوته لها للمبايعة والإيمان بالله أثراً مباشراً عليها لصلاح أمرها وخلاصها من العذابات، وحافزاً لها للسعي والعمل لنيل كمالاتها الإنسانية ومساعدتها للإندفاع في المنظومة الإجتماعية الإنسانية المتكاملة.

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١، ص ٢٦٥.

وقد دعا المرأة لأن تخرج إلى الحياة، وتبني مجتمعاً أفضل، وأن تتحدى الماضي والحاضر وأن تستعين بأصالتها الإنسانية في سبيل حركتها وسيرها وسلوكها إلى رضى الله.

والحياة في مفهوم الإمام الصدر الديني هي حركة دائمة نحو الكمال والقرآن الكريم يلخص هذا بقول ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾[1]. أي أنه على الإنسان أن يسير نحو الأفضل وأن يرفض الوقوف والجمود. فعلى المرأة إذاً رفض الوقوف والجمود، والسير للوصول إلى الكمال من خلال الإهتمام بمعرفة نفسها ومعرفة دينها وصلاح أمرها.

والإسلام في رؤية الإمام الصّدر تابع سعيه بتكريم الإنسان وصيانته أمام الانحطاط والانحراف فيقترح إيجاد مجتمع إنساني يتناسب مع واقع الإنسان ويعترف بجميع جوانب وجوده يهيء الجو الملائم لنمو مواهبه وتربية كفاءاته.

والإنسان يتأثر بمجتمعه وانفعالاته الواضحة في أعماله وأخلاقه، وإيمانه بالبيئة التي يعيش فيها. لذا، على المجتمع أن لا يكون شخصانياً، لأن هذا النوع من المجتمعات يتنكر لجانب أساسي من وجود الإنسان، وهو الجانب الاجتماعي من حياته، والمجتمع الشخصاني يجعل الجانب السلبي ينمو وهو يعبر عنها بـ «الأنانية». ويعبر عنها القرآن الكريم بالنفس الأمارة بالسوء. عندها تصطدم الأنانيات وتضطرب الحياة الاجتماعية ويتغلب القوي على الضعيف ويتم استغلاله، ثم يتحول الضعيف إلى آلة فيفقد المجتمع البشري قسماً من طاقاته. لذا، «المجتمع الذي يقترحه

---

(١) سورة البقرة/ الآية١٥٦.

الإسلام هو المجتمع الذي يعترف بوجود الفرد بجميع جوانبه الشخصية والاجتماعية»[1].

فالمرأة فرد من المجتمع، لذا اهتم الإسلام بتربيتها وتعليمها وإعطائها الحرية والإستقلال ضمن ضوابط التعليم والشريعة الإسلامية لتنمو فطرة الخير فيها وتنتصر على نزعة الشر، حينها تصدر عنها أعمال إيجابية لا تتعارض مع حقوق الآخرين، وتنسجم مع مصالح المجتمع وتعمل بأوامر القلب السليم والنفس المطمئنة.

لذلك على المرأة أن تفهم دورها في المنظومة الكونية من خلال تنمية المعرفة وسلوك درب التقوى والإيمان بالله والعمل بما يرضي الله. وأن ترضى بالإسلام ديناً وقولاً وعملاً برسالة خاتم الأنبياء «محمد ﷺ».

«وأن تعي إن الإسلام هو تسليم العقل والقلب والجسد، بفهم الوجود وفهم دورها فيه، والارتباط برب الوجود، والارتياح النفسي له ولكل ما يأمر به، فهو المعطي والمنعم وهو المجزي والمحاسب»[2]. عندها يكون سلوك الإنسان، كل إنسان، دون اعتبار الذكورة والأنوثة منطلقاً من الوعي والمحبة، فيؤتي الثمار الجيدة في الحياة، وهكذا يكون الإنسان قد أدى الدور الذي يرضاه الله. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١، ص٢٧٦.

(٢) محاضرة «الإسلام والتراث» تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١٢، ص٧٥.

(٣) سورة آل عمران/ الآية٣١.

أولاً ـ الدين والمرأة:

الدين عند الإمام الصّدر بصورة عامة موجزة، فطرة الله التي فطر الناس عليها «الدين تعبير صحيح عن هذه الفطرة، وإبراز لها إبرازاً غير متأثر بالعوامل المختلفة الخارجة عن طبيعة الإنسان»[(١)].

والدين في العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي له الأسماء الحسنى، والأمثال العليا، و﴿لم يلد ولم يولد﴾[(٢)].

هذه الدعوة الإسلامية للإيمان بالله الواحد تعطي مفهوماً عن خالق الكون، فالله ليس كمثله شيء، له الصفات الكمالية يتعالى عن كل نقص وحاجة، هو إله للعالمين ليس بينه وبين أي شيء أو شخص أو فئة أو وضع صلة، ولا انتساب لا يزيد ولا ينقص.

والأديان في مفهوم الإمام الصّدر واحدة «كان الناس أمة واحدة»، ويدينون بدين واحد، وإله واحد، والله خالق بالمطلق، فكل ما سواه مخلوق لأنه كمال بقدرته، ومشيئته، وعلمه وحقيقته، وقد عبده الإنسان وهو مؤمن بأن الله خلق الكون مخلوقاً واحداً مشبعاً بالروح والجمال والكمال، منظماً متزناً سائراً نحو أسمى الأهداف، قائماً على أساس الحق والعدل متناسقاً، متجاوياً في أجزائه بعضها مع بعض، ومع الخالق.

وان منعكس الكمال الإلهي على الكون كله وعلى الإنسان بالذات فيُرى الكون والإنسان في أحسن صورة، وأكمل تقويم، وأدق تنظيم، إن هذا الكمال الإلهي يحرر الإنسان من أي قيد عقلي، أو عملي، أو

---

(١) محاضرة الإسلام وكرامة الإنسان للإمام الصدر، ألقيت في الجامعة الأميركية ٨/ ٢/ ١٩٦٧م؛ مجلة العرفان، بيروت، ١٩٦٧م، ص٢٠؛ جريدة لسان الحال البيروتية، ١٩٦٧م.

(٢) سورة الإخلاص/ الآية ٣.

عاطفي، أو اجتماعي» فيجعل منه عبد الله الحر المطلق في شؤون الحياة جميعا، لا سقف أمامه مانع[١].

هذه الحرية التي أطلقها الإسلام جعلت الإنسان يعيش جو العبودية لله في قيامه وركوعه وسجوده، مما أمن له الانفتاح على مسؤولياته في الحياة وعلى كل ما أمر الله به ونهى عنه.

انطلاقاً من هذا المفهوم، نجد الإنسان في الفكر الديني والإصلاحي والفلسفي والاجتماعي والأخلاقي والعملي للإمام الصّدر هو المحور الأساس الذي يرتكز عليه في أي عملية تغييرية إصلاحية تنويرية يريد بها الإصلاح في أمة جده رسول الله ﷺ.

فالإنسان في فكر الإمام الصدر، «له علاقة المخلوقية والاعتراف والإيمان والطاعة والعبادة، وله مع الكون علاقة الخلافة والكشف والتطوير، وله مع الإنسان قضية واجب الإنسان، وحق الإنسان على الإنسان، وله علاقة واجب الإنسان نحو الكون ونحو نفسه والآخرين»[٢].

لذلك نجد أن الإمام حينما تحدث على الإسلام ودعوة الإنسان إلى لإيمان بالتعاليم والشريعة الإسلامية، إنما تؤهل الإنسان بأن يستعين على مجهول الغد بقدر الله بعد أن يؤدي دوره وواجبه في ساحة الحياة. وأن الإيمان لا يقبله الله موروثاً ولا يرضى به تقليداً بل يأمر بتحكم التفكر والتدبر في العقيدة. والإيمان والاعتقاد بالإسلام وأركانه الثلاثة: العقائد، الأعمال، الأخلاق. هذه الأركان تعمل على صناعة شخصية المسلم إنها

(١) م.س.، محاضرة «الإسلام وكرامة الإنسان».

(٢) راجع، مؤتمر كلمة سواء، (بحثاً عن حق الإنسان)، المؤتمر الثالث، مركز الإمام الصّدر للإبحاث والدراسات، بيروت، بئر حسن، ١٩٩٨م، ص١٠٩.

تهيء لكل مسلم قاعدة فكرية تعتبر الأساس والركيزة لإيمانه وعبادته وحقوقه وواجباته ومثله الأخلاقية[١].

لذا، فإن المفهوم الإسلامي الدقيق العميق للإمام يبين أن الإيمان إنما يعرف عند الهزّات وعند المصائب وعند المتاعب، وعند الغضب وعند النصر.

الإيمان ليس مجرد كلمة تقال، ولا صلاة تصلى، ولا صياماً، ولا مظهراً، بل الإيمان الحقيقي هو وقفة الإنسان في ساعة الحرج، في ساعات المصالح المتضاربة، في ساعات المحن والكوارث.

ويقول الإمام إنما الإيمان يحرر الإنسان ويشده نحو الهدف الذي لا نهاية له في سموه، ويرسم لطموحه خطاً طويلاً بدايته المهد ونهايته اللحد «ان معنى الإيمان اللامتناهي هذا هو التحرك الدائم، إذاً الإنسان المؤمن والملتزم عليه أن يتحرك»[٢]. ان ربط الحركة بالرؤية الكونية هي عبارة عن الإيمان بالله أساس العقيدة الإسلامية هو ذلك الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد.

وكل إنسان ـ عظيماً كان أم حقيراً ـ مسؤول عن أعماله وأقواله، وجلة نشاطاته سرها وعلنها. لذلك كان الإيمان باليوم الآخر له آثار متنوعة في شؤون الإنسانية التي تساعد الإنسان من خلال فعل الإيمان باليوم الآخر على التغيير والتطوير نحو الأفضل والقضاء على عوامل اليأس، والخوف والشعور بالإحباط.

---

(١) كتاب الإمام موسى الصدر، الرجل ـ الموقف ـ القضية، مكتبة صادر، ط١، ١٩٩٣م، ص٤١٧.
(٢) م.س.، راجع، مؤتمر كلمة سواء، ص١١٦.

ومن عميق قول الإمام أن الإيمان لكي ينعكس على الإنسان أبعدت الدعوة الإلهية العنصر الذاتي والانتسابات المتنوعة عن ميدان مكاسب الإنسان، حيث إن الناس سواسية كأسنان المشط، بل إن للإنسان من الذي حصلت يداه، وأن ليس له إلا ما سعى[(١)].

من هذا المفهوم تصل إلى أن الدين الإسلامي دعا المرأة كما الرجل إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولم يستثن المرأة من هذه الدعوة بل ان الدين الإسلامي اعتبرها نفس الرجل ومتساويين في الإنسانية، هذه الإنسانية المشتركة التي أقرها الإسلام تحدث عنها الإمام من خلال القرآن فقال: «ان الدين فسرها بأنها نفس الرجل، وأنهما موجود واحد»[(٢)].

وان أصل خلقة الرجل والمرأة من جوهر واحد الذي لا يختلفان فيه، فهما في الحقيقة الإنسانية واحدة حيث يقول الباري عز وجل في كتابه الكريم: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾**[(٣)].

فالإنسان المؤمن في نظر الإسلام هو «رجل» إنسان أو «امرأة» إنسان. فهما في نظر الدين إنسان واحد، والقاعدة الإيمانية مبنية على أساس إنسانيتهما وطريق السعي إلى الوصول إلى طاعة الله والعمل بأوامره والابتعاد عن نواهيه والجهد في الوصول إلى الكمال الإنساني الذي لا

---

(١) محاضرة «رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية» للإمام الصدر، مجلة أمل ورسالة، العدد١٣، ١٩٧٧م، ص٤.

(٢) م.س.، راجع، موسوعة الإمام الصدر، ج٢، ص ٢٧٣.

(٣) سورة النساء/ الآية ١.

يرتبط لا بجنس الإنسان ولا بلونه ولا بعشيرته بمقدار ما يرتبط بالإطاعة والعبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى.

ولكي يبقى الإيمان على صفائه وفاعليته يجب الاهتمام بآثار الدين في العمل الخارجي، فكانت العبادات التي تكرس صفة الإيمان بالله، وتقوى هذه الصفة والأفعال الخارجية تقوي الإيمان بالإنسان[1].

كذلك كانت الدعوة للإيمان بالنبوة لأن لها «مقام الرسالة الإلهية، مقام التكلم مع الله، مقام الإصطفاء، مقام المحبة مع الله، مقام كلمة الله، مقامات هي أشرف شيء لمخلوق على الإطلاق»[2].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[3]. وقد شرح الإمام الصّدر مفهوم النبوة قائلاً أن النبي يتمتع بعناية الله، ووحيه، وتسديده، وبذلك يصبح قوله وعمله سيرة وأسوة حسنة للأمة.

وللرسالة الإلهية مقام إنساني كبير، فهي لا تنزع صفات البشر عن حاملها، مع ذلك يبقى على اتصال بالله، ونقل تعاليمه بكل أمانة، ودون خطأ وتحريف[4].

في سيرة النبي ﷺ، ما يدل على أن الدين دعا المرأة كما الرجل إلى الإيمان بالنبوة والرسالة الإلهية، وكانت أول امرأة آمنت بالدعوة

(١) م.س.، راجع، أمل ورسالة، العدد ١٣، ص٥.
(٢) م.س.، محاضرة ـ الإسلام وكرامة الإنسان، ص٢٠.
(٣) سورة آل عمران/ الآية ١٦٤.
(٤) م.س.، محاضرة ـ الإسلام وكرامة الإنسان، ص.ن.

الإسلامية ونبوة النبي «محمد ﷺ» السيدة «خديجة بنت خويلد عليها السلام» زوجة النبي ﷺ، التي آمنت وأسلمت ودعمت الرسول ﷺ بمالها ونفسها.

أ. مفهوم الخليفة والمرأة:

الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وإنه عالم بالأسماء كلها، مسجود له من جميع ملائكة الله جميعها: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[1].

اعتبر الإمام الصدر أن الخليفة يقوم مقام من استخلفه في التصرف والعلم والحرية، إن هذه الخلافة تعكس استقلال الإنسان وحريته في التصرف على الأرض، وبما استخلف فيه، وسجود الملائكة وهم صفوة الموجودات، ونخبتهم، هو تأكيد على خضوع مختلف الكائنات للإنسان وإطاعتها له. معتبراً ان هذا كله هو أقصى حدود التكريم للإنسان[2].

كما ويقول أن الإنسان، هذا العطاء الإلهي، هذا المخلوق الذي خلق على صورة خالقه في الصفات، خليفة الله في الأرض. الإنسان هذا، هو هدف الوجود، وبداية المجتمع، والغاية منه، والمحرك للتاريخ، الإنسان هذا، يعادل ويساوي مجموعة طاقاته. وبقدر ما يصون الإنسان طاقاته وينميها بقدر ما يكرم عند الله ويخلد[3].

---

(١) سورة البقرة/ الآية٣٠.
(٢) م.س.، راجع، موسوعة الإمام الصدر، ج١، ص٢٠٢.
(٣) م.ن.، ص٢٠٩.

ما يمكن الوصول إليه من خلال شرح مفهوم الخليفة ـ وبما أن المرأة إنسان والرجل إنسان ـ أن على الرجل أن يعمل ليصل إلى درجة الخليفة، والمرأة باستطاعتها العمل والسعي للوصول إلى هذه المرتبة، وأن تكون جديرة بحق في حمل هذه المسؤولية، مسؤولية الخلافة الإلهية. وأن تبقى حرّة، وتفي بالتزاماتها الإنسانية وأن تساهم في حمل الأمانة التي عرضها الله على الإنسان، وفي الآية الكريمة ما يدل على أن المرأة مسؤولة أمام الله في حمل الأمانة إلى جانب الرجل، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1].

وقد قال الإمام الصّدر في ذلك: «أنه مهما كان تفسير الأمانة ديناً أو معرفة أو ولاية، أو شرف مسؤولية مهما كان ذلك فاختصاص حملها بالإنسان تكريم له وإشادة بمقامه العظيم»[2].

فالإنسان عند الإمام الصّدر ـ ذكر كان أم أنثى ـ هو محور الرسالة الإسلامية التي اعتنت بوجوده، ولأنه هو خليفة الله في الأرض، أعطته حرية التصرف، لكن ضمن ضوابط، ودون تمايز وحدود وعلى المستوى الحقيقة الإنسانية في نظر الإسلام فهما يجسدان ماهية واحدة.

---

(١) سورة الأحزاب/ الآيتان ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) م.س.، «محاضرة الإسلام وكرامة الإنسان»، ص.ن.

ب. المجتمع الإنساني والمرأة:

المجتمع كالجسد الواحد في النظرية الإسلامية، «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[(١)].

لم يهمل الإمام، الجماعة الإنسانية، ودور المرأة في تركيبتها ونظمها، فعلى الرغم من تساوي المرأة والرجل في الوحدة الإنسانية والتي هي في الجوهر التكويني، فهذا لا يعني أنه يجب أن يكونا متساويين في الاستعدادات الخلقية، «لأن الوحدة الحقيقية لا تعني وحدة المهام، التي تعتمد على الكفاءات والاستعدادات لكل من الرجل والمرأة، والتفاوت في الأحكام لا يعني التفاوت في الجوهر والذات»[(٢)].

وقد اعتبر الإمام أن المجتمع المثالي يكمن في أن يعطي كل إنسان ما عنده من الكفاءات ويأخذ ما عند غيره، كل عليه أن يقوم بدوره والتزاماته عندها ينجح المجتمع ويتطور ويسير في خطٍ مستقيم.

والإسلام أمّن للمرأة المناخ الملائم لنمو كفاياتها، وذلك خدمة لها وللمجتمع وللجميع. فكان عليها الانضمام والانخراط في سلك جميع من في السماوات والأرض والإتحاد معهم في المبدأ والسير والمرجع. وأن تكون فرداً صالحاً في المجتمع الإسلامي الذي يقوم على مبدأ العمل، والتفاوت بين الأفراد، في الكفاءات والاستعدادات.

إذ لا يمكن أن يقوم المجتمع إذ كان مجموع أفراده جنساً واحداً واستعداداً واحداً، وبناءً عليه فإنّ التفاوت بين الأفراد أمر ضروريّ لتكوين

(١) حديث شريف، رسول الله محمد ﷺ.
(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج٢، ص ٢٧٣.

المجتمعات التي تحكم بينها الروابط والعلاقات المنظمة التي أقرّ عليها الإسلام من خلال المبادئ والشريعة الرافضة لمبدأ التجزئة الإنسانية[1].

كما اعتبر أن التفاوت في الكفاءات يجب أن يكون سبباً للحركة والتعارف وموجباً للتعاون وللتبادل وللتكامل[2]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ويستحيل على البشر أن يعيشوا منفردين لأن بعضهم يكمل البعض الآخر في قضاء الحاجة إلى وسائل العيش، وإلى الدفاع عن النفس، وتحقيق الكمال والإطمئنان والسعادة. لذا فالإسلام عند الإمام الصّدر دعا الرجل والمرأة إلى بناء المجتمع الصالح، والى الانضمام والإنخراط في سلك الحياة والتعاون والتبادل الذي هو مبدأ تكوّن المجتمعات.

فهو يعترف بجميع جوانب وجود الإنسان ورغباته، ثم يحاول تنظيم صلاته بغيره وتنسيق نشاطاته وتعديل رغباته، لكي يلعب دوره الكوني - أي دور خلافة الله في الأرض - فيعيش في جميع جوانب وجوده أفضل عيش وأطيبه وأكثره تمتعاً بالكون.

كما نرى في تفسير الإمام أن الإسلام يعطي صفة الروحية لأعمال الإنسان الصادرة عن باعث سليم، ويصبغ جميع الموجودات بصبغة

---

(١) محاضرة الطائفية والشباب في لبنان للإمام الصدر، اللجنة الثقافية في مدرسة القديس يوسف، عينطورة، جبل لبنان، محفوظات عادل حاطوم؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج٢، ص ٣٥٩.

(٢) م.س.، محاضرة مرجع الشيعة....، الندوة اللبنانية؛ موسوعة الإمام الصدر، م.س.، ج١، ص١٠٥.

(٣) سورة الحجرات/ الآية ١٣.

القداسة. وفي هذا الخط، خط أداء الواجب كل عمل من الإنسان عبادة، وكل حركة منه مقدسة.

ويتطلع الإمام الصّدر من خلال دعوة الإسلام للمرأة في تربية «الأنا». وأن يصبح جميع الأفراد بمنزلة جسم واحد كبير منتشر في كل مكان، وأن تتوزع المسؤوليات على العناصر كما هي موزعة على أعضاء الجسم الواحد[1].

ولا يقف الإمام الصّدر في توزيع المسؤوليات على مجرد التوزيع، بل يؤكد على الكفاءة في تحمل المسؤولية عند التوزيع، لذلك يتابع القول: «فالعين مثلاً لم تستلم مهمة الإبصار بناءً على التعيين أو الانتخاب أو التكليف بل لأنه لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم بما تقوم به العين وهكذا»[2].

من هنا، يمكن القول أن الإمام الصّدر أراد أن يقول أن المهمة الملقاة على عاتق المرأة، والتي هي أعظم مهمة إنسانية على الإطلاق، ولا يمكن للرجل أن يتحملها أو يقوم بمهامها، هي مهمة الأمومة التي يصعب أن يقوم بها الرجل. الأمومة التي تهتم بصناعة الإنسان وتربيته على الأسس والمفاهيم التوحيدية التي أقرها الدين الإسلامي.

ج. مفهوم العبادة والمرأة:

العبادة في المصطلح الإسلامي هي كل عمل يصدر عن الإنسان لأمر الله، لأجل التقرب من الله إطاعة وامتثالاً لأوامر الله تعتبر عبادة.

---

(١) م.س.، محاضرة «الأصالة الروحية والتطور»، مجلة العرفان.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٦٣.

وقد شرح الإمام الصّدر أن العبادة لا تعني عبودية، بل هي تحرر. وعبادة الله تعادل بالمصطلح الرياضي التحرر المطلق، وكلما أكثر الإنسان من العبادة وسلك سبيلها، كلما كان التحرر أوسع. فالعبادة في الإسلام بعيدة كل البعد عن مفهوم العبودية لأن لا عبودية في الإسلام، فعبادة الله تعني التحرر، وعبودية الله تعني السلوك والتحرر نحو العلم والعدل، والقوة والرأفة والصدق والعزيمة، وكل الكمالات التي توصل الإنسان إلى درجة التقرب من الله. فالعبادة ليست صلوات، وصوماً، وحجاً، وزكاة، بل هي أيضاً كل عمل، وكل سعي، وكل حركة تصدر عن الإنسان بداعي التقرب إلى الله فتوصله إلى التحرر عن الكل ما عدا الله[1].

لذا، فالعمل الصالح من أجل خير الإنسان والمجموعة البشرية إنما هو في قيمته من قيمه العبادة والسجود إلى الله. وكما قال الإمام علي عليه السلام: «العبادة سبعون جزءاً أولها العمل».

بالاستناد إلى ما سبق يمكن للإنسان أن يجعل من كلّ أعماله الحياتية عبادات وصلوات وسجوداً واحداً متصلاً بالله من خلال نية القربى في أكله وشربه والالتزام بتعاليم الخالق في حلاله وحرامه ـ وإن كان ذلك قياماً بأداء واجبه الحياتي وخدمة للمصلحة العامة ـ فهو عبادة وصلاة.

وكذلك المرأة المؤمنة العابدة يمكن أن تجعل كلّ عمل تقوم به بقصد القربى إلى الله عبادة. وفي سياق هذا الحديث شرح الإمام الصدر مقولة «مسجد المرأة بيتها» معتبراً أنّها حينما تقوم بخدمات في البيت يُكتبُ لها في كل خطوة سجود، وفي كل سهرة لأجل رعاية طفلها صلاة

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص١٦.

وسجود، وفي كل خدمة لأجل التخفيف عن زوجها صلاة وسجود. فإذاً من الممكن أن تجعل المرأة من حياتها البيتيّة، عبادات وصلوات وسجوداً إذا نوت وأرادت وقصدت ذلك[1].

وإن لم تتزوج المرأة واختارت العمل الاجتماعي أو العلم أو أي خيار آخر بقصد التقرب إلى الله، والتحلي بصفاته، والعمل بأوامره، والابتعاد عن الشرور والمساوئ فهو عبادة وصلاة.

ثانياً ـ ماهيّة المرأة:

شرح الإمام الصّدر المفاهيم الحقيقية للرسالة الإسلامية تجاه «المرأة»، معتمداً في ذلك على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والأئمة الأطهار، نافياً عن الإسلام تهمة تقليل دور المرأة في المنظومة البشرية، معتبراً أن الرؤية الإسلامية الفلسفية والاجتماعية للإنسان هي الإطار الفكري للتصدي لقضايا المرأة عموماً، باعتبار أن الإسلام لم يرسم حدوداً وتمايزاً بين الرجل والمرأة على مستوى الحقيقة الإنسانية، فهما في نظر الإسلام يجسدان ماهية إنسانية واحدة. وهما ليسا شيئين، إنهما شيء واحد، من الخلق نفسه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

وتابع الإمام الصّدر استدلاله على الوحدة الإنسانية للمرأة والرجل مستنداً إلى الآية الكريمة: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١، ص٢٩٦.

(٢) سورة النساء/ الآية١.

لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[1].

فقد اعتمد الإمام الصّدر القرآن الكريم لتحديد شخصية المرأة واستشهاده بالآيات الكريمة لأجل اكتشاف حقيقة الموقف الإسلامي تجاهها، والآيات القرآنية أساساً للبحث عنها، وإطاراً لمعرفة التعاليم الحقيقية لا الخارجية بالنسبة إليها. عندئذٍ فقط نتمكن من فصل العادات عن الأحكام، ومن معرفة الأحكام الثابتة، وتميزها عن الآراء المرحلية»[2].

لذا. فحقيقة موقف الإسلام تجاه المرأة ـ والتي استدل عليها الإمام الصّدر من القرآن الكريم، تشير إلى أنها والرجل، حقيقة واحدة، فهي إنسان، كما الرجل، إذ لا تفاوت بينهما في حقل الإنسانية، فهما مشتركان في الحقيقة، وفي الذات. وهذا يعني المماثلة في الواقع الخلقي، وفي الجوهر والعرض، وفي الصفات والمميزات، وفي الدور والأداء، وفي الحقوق والواجبات ويظهر ذلك جلياً من خلال:

أ. الأولاد:

الاعتقاد بأن الأولاد من الرجل، والمرأة مجرد وعاء لحفظ النسل، أو هي ممر فقط لإنجاب الطفل رفضه الإسلام بآيات واضحة في القرآن الكريم: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ**

---

(١) سورة النحل/ الآية٧٢.

(٢) م.س.، شرف الدين، حسين، منبر ومحراب، مجموع كلمات للإمام الصّدر، دار الأرقم، صور، ١٩٨١، ط١، ص١٦٤.

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صالحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[١]. مؤكداً أن الطفل وليد الأب والأم معاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]. وقد ركز الإمام الصّدر على مدلولات هذه الآيات وأعطاها أهمية كبرى، لأنه ما دام الأب والأم يشتركان في إنجاب الطفل، ويشتركان في تربيته وتقرير مصيره، فهما معاً يكونان الطفل جسمياً ونفسياً، ولهذا أثر عميق في المجتمع، فالمرأة في تفسير الدين إنسان كامل، ولها دور أساس في تكوين الطفل.

ب. الأسرة:

الإسلام رفض مقولة الجاهلية أن الإنسان الذي لم يولد له صبي انقطع نسله وأصبح أبتر. وقد استدل الإمام الصّدر على التغيير الذي أحدثه الإسلام من خلال ولادة البنت في العائلة بشخص النبي «محمد ﷺ»، الذي تمثل بابنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي كان وجودها دليلاً على أن البنت تكفي لبقاء الأسرة.

فالقرآن الكريم يرد على من يقول أن النبي محمداً ﷺ، أبتر من خلال السورة المباركة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٣]. وقد شرح الإمام الصّدر مفهوم السورة ذاكراً أن النبي محمداً ﷺ ليس أبتر، بل عدوه، وأن معه الكوثر، وهي فاطمة

---

(١) سورة الأعراف/ الآية ١٨٩.
(٢) سورة الحجرات/ الآية ١٣.
(٣) سورة الكوثر.

الزهراء، وهذا يثبت أن ما يكفل بقاء الأسرة ليس الصبي فقط بل البنت، فالنبي «محمد ﷺ» قال: أسرتي من فاطمة عليها السلام[١].

ج. عمل المرأة المادي:

الإسلام احترم عمل المرأة، كما احترم عمل الرجل. وقد اعتبر الإمام الصّدر انه عندما يكون هناك تكرار لكلمة «بعضكم من بعض» والتي ترددت في القرآن الكريم في موارد كثيرة من جهة الإنسان ذكراً كان أو أنثى أنهم من بعض، «بعضكم من بعض»، لا يفتخر أحدكم على الآخر، كلكم عنصر واحد، وعملكم وأجركم حسب عملكم وتقاكم.

واحترام العمل الصالح واحد إن كان من ذكر أو أنثى، وفي الآية الكريمة ردّ واضح وصريح: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٢]. ﴿مَنْ عَمِلَ صالحا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

د. عمل المرأة في الحقل الإجتماعي:

الإسلام دين الله، دعوة من الله للناس جميعاً ذكوراً وإناثاً للالتحاق بركب الإيمان دون تمايز بينهم، وقد طلب الرسول «محمد ﷺ» من

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٦٨.
(٢) سورة آل عمران/ الآية ١٩٥
(٣) سورة النحل/ الآية ٩٧.

الناس جميعاً المبايعة، فالدعوة إلى المبايعة تماثل التصويت اليوم، وقد اعتبر الإمام الصّدر أن الشعب كله له حق ممارسة الحقوق الاجتماعية. فنحن نجد أن النبي بايع الرجال لأنه كان حاكماً على المدينة، وبايع النساء أيضاً ولكن بأي طريق؟ يقال أنه وضع وعاءً من الماء وكانت النساء يضعن أيديهن في هذا الماء، ولم يصافحهن لأن المصافحة محرمة، وبهذا بايعهن.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. هذه شروط البيعة التي بايع النساء عليها، والنساء مارسن الحقوق الإجتماعية، وهذا اعتراف من النبي «محمد ﷺ» لهن بحقهن في المشاركة وإعطاء الحكم. ما يدل على أنها إنسان له كامل الحقوق الاجتماعية[2].

هـ. حق المرأة الاقتصادي:

الإسلام يؤكد ويعترف للمرأة بكامل حقوقها، حقها في الكسب، وفي الإحتفاظ بمالها وإرثها: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾[3].

---

(١) سورة الممتحنة/ الآية١٢.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٦٩.

(٣) سورة النساء/ الآية ٧.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[1]. أي لا يوجد أي دليل أو حكم يدل على حجز المرأة من التصرف في أموالها، أو منعها من ذلك بعد الزواج، أو في أن تورث أو ترث.

هـ. دور المرأة في اختيار الزوج:

شرح الإمام الصّدر بأنه لا يحق للأب ولا للأم إكراه البنت على الزواج. لا يجوز لهما الإستبداد. لا يجوز لهما منع البنت من الزواج، ولكن الإسلام أعطى الحق للأب في أن يشارك ابنته في اختيار الزوج في الزواج الأول، ولا يحق للبنت أن تتزوج في الزواج الأول دون رضى والدها. رغم ذلك لا يحق للأب أن يفرض الزواج على البنت ولا أن ترغمها أمها على ذلك. فلها الحق أن تتزوج أو ترفض الزواج، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ﴾[2].

هذا الشرح الذي قدمه الإمام الصّدر لاعتراف الدين بإنسانية المرأة الكاملة، ومشاركتها في تكوين الطفل، وفي استمرارها لحياة الأسرة، والحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية التي اعترف الإسلام بحقها في

---

(١) سورة النساء/ الآية٣٢.

(٢) سورة البقرة/ الآية٢٢٨.

المشاركة، كلها تؤكد أن شخصية المرأة محترمة في الدين، وهي إنسان له كامل حقوق الإنسانية[١].

ز. التفاوت في الأحكام بين الرجل والمرأة:

ان ماهية المرأة الإنسان ووحدتها في الإنسانية مع الرجل لا تعني بالضرورة أن هناك وحدة مهام بين المرأة والرجل. فهناك تفاوت في الكفاءات والاستعدادات التي هي طبيعية في تكوين المجتمعات. وقد تحدث الإمام الصّدر عن ذلك قائلاً: «ان الوحدة الحقيقية لا تعني وحدة المهام، التي تعتمد على الكفاءات والاستعدادات لكل من الرجل والمرأة، والتفاوت في الأحكام لا يعني التفاوت في الجوهر والذات»[٢].

معتبراً أن المجتمع المثالي في أن يعطي كل إنسان ما عنده من الكفاءات وأن يأخذ من صاحب الكفاءة ما عنده من الكفاءات الأخرى. كل يقوم بدوره والتزاماته عندها تنجح المجتمعات وتتطور وتسير في خطٍ مستقيم كل يحترم الآخر ويحترم دوره.

هذا التفاوت هو أصل تكوّن المجتمعات، لأنه لا يمكن أن يقوم المجتمع وهو بمجموع أفراده جنس واحد واستعداد واحد. كلهم رجال أو مجموع أفراده نساء. وكلهم أطباء أو عمال أو فلاحون، «لو كان أبناء مجتمع واحد ذوو كفاءة واحدة، واستعداد واحد، وفقر واحد لا يتكوّن المجتمع»[٣].

والمجتمع في الإسلام يتكون من الأسر، تتفاعل في ما بينها،

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٦٩.
(٢) م.ن.، ج٢، ص٢٧٣.
(٣) م.ن.، ج٢، ص٣٥٩.

وتحكم بينهم الروابط والعلاقات المنظمة كل حسب مجتمعه ومحيطه، بذلك تتكون المجتمعات الكبيرة والصغيرة.

ولكي يكون المجتمع متكاملاً وقوياً، يحتاج إلى أن تكون الأسر متينة وقوية، وأن يكون التركيب بين الأسر قوياً ومتيناً. فلو كانت الأسرة مهزوزة وضعيفة، فالمجتمع يكون ضعيفاً ومهزوزاً، وارتباط الأسر بعضها مع بعض ضعيفاً. كذلك يبرز الاحتياج الكبير إلى أن تكون هناك قوة في الأسر ومتانة في التركيب.

هذا الشكل الاجتماعي والروابط الاجتماعية تحتاج إلى أن يكون هناك تقسيم في الوظائف الاجتماعية والواجبات الاجتماعية، التي عبر عنها الإمام الصّدر أنها من الأسس التي يبنى عليها المجتمع، والتي يمكن أن نقسمها إلى قسمين أو إلى نوعين: نوع يخص الأسرة، والواجبات التي تعود إلى تحكيم الأسرة وقوة الخلية الواحدة. والواجبات الثانية التي تعود إلى تمتين الروابط الاجتماعية وتشابك الأسر بعضها مع بعض، لأجل تكوين المجتمعات. وقد سلمت الواجبات التي تقوي الأسر إلى المرأة، والواجبات التي تقوي صلابة المجتمعات سلمت للرجل.

هذا الدور الكبير الذي أوكلت المرأة بأدائه من الإهتمام بالأسرة واستقامة أفرادها وتربيتهم اعتبرها الإمام الصّدر «خدمة اجتماعية عظيمة، وليست خدمة للرجل، بل هي خدمة للمجتمع. وهذا الدور في تكوين المجتمع وواجبات أحكام الأسرة لا يدل على أن المرأة أقل من الرجل، بل على العكس يمكن أن يكون هذا أهم واجب، واجب عظيم لا يقل عن الواجبات الاجتماعية»[1].

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٧١.

ح. الفروق الجسدية:

لا يمكن أن تنكر المرأة والرجل أن هناك فروقات واستعدادات جسدية أهلت المرأة لتحمل مسؤولياتها والتزاماتها، وقد أورد الإمام الصّدر بعض الفوراق والتفاوت مؤكداً أن هذا لا يدل على أن الرجل أفضل من المرأة، ولا المرأة أفضل من الرجل، إنما التفاوت في الخلق أساس التكوين منها:

* الفرق الجسدي: للمرأة رحم وأعضاء جسدية تهيئها لأن تتحمل أشرف وأعظم دور في هذه الحياة، وهو دور الأمومة.

* المرأة جسدها رقيق ويتمثل ذلك في رقة المفاصل والعظام والعضلات، والمرأة كمعدل طبيعي في العالم كله هي أقصر قامة من الرجل.

* المرأة لديها طبقة شحم تحت الجلد، تجعلها تتحمل الحر والبرد والسهر أكثر من الرجل.

هذه الفروق الجسدية طبيعية في أصل الخلق، والمرأة أضعف من الرجل جسدياً، خلقت لدور يختلف عن دور الرجل، ورفض الإمام الصّدر تفسير هذه الفروقات بعامل الوراثة، لأنه يعتبر الوراثة مشتركة بين الرجل والمرأة.

هذا التفاوت في الخلق ليس تقليلاً لمقام المرأة، وليس تكثيراً لمقام الرجل، إنما استعدادات خاصة، وأمر واقعي له آثاره في الحياة، ولا يعني أن هناك تمايزاً بين الرجل والمرأة على مستوى الحقيقة الإنسانية، بل له صلة بالدور الاجتماعي والإنساني لكل منهما[(١)].

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٦٧.

ثالثاً ـ دور المرأة في الحياة:

أ. المرأة والزواج:

عرّف الإسلام الزواج بأنه عمل مقدس وعبادة كبرى، على الرجل والمرأة أن يدخلا إلى مشروع بناء الأسرة بخشوع واحترام، وأن لا يفكرا أنهما دخلا إلى مشروع بناء شركة مساهمة أو من أجل المتعة الجنسية، أو من أجل الأنس، بل هما عملاً بقول رسول الله ﷺ: «ما بني في الإسلام بناء أحب عند الله من الزواج».

لذا، فإن النبي محمداً ﷺ أراد أن يعطي للأسرة قداسة، ولهذا البناء احتراماً واعتباره من العبادات.

لذا، نجد في شرح الإمام عن التعاليم الإسلامية المعتمدة على بدء تكريم الإنسان «أصل قداسة حاجات الإنسان كلها، فالإسلام يعترف بجميع هذه الحاجات، ويعتبرها نعم الله، ويضع أحكاماً لتوجيه هذه الرغبات، ويعترف أن السعي لتلبية هذه الرغبات بالصورة المشروعة عبادة. فالتجارة والزراعة عبادة، والبناء عبادة، والكد في طلب الرزق الحلال جهاد، والإتقان في العمل عبادة، والزواج عبادة».

ولا يرحب الإسلام بترك تلبية الحاجات وتجاهلها، وفي الحديث الشريف اعتبر الذين يتفرغون للصلات ويتركون السعي لطلب الرزق ممن لا يستجاب دعاؤهم.

وقد اعتبر الإمام الصّدر أن هناك أبنية كثيرة بنيت في الإسلام المساجد، المدارس، المؤسسات، المستشفيات، كلها بنيت في الإسلام، ولكن الزواج أهمها كلها، وعلى كل مسلم ومسلمة، أو أي إنسان يدخل

في الحياة الزوجية، أن يعتبر أنه يدخل في أقدس بناء في الإسلام، كأنه يبني مستشفى أو مسجداً أو مدرسة أو أكثر من ذلك. لهذا البناء قدسية في الإسلام، ولا يحق لأي كان أن يعمل على تهديم الأسرة أو زعزعة أسس الزواج لأن تهديم الأسرة في الإسلام محرم، ويعتبر معصية كأنه يدخل إلى مسجد ويهدمه. لذا، لا يحق للزوج أو الزوجة أن يهدما علاقتهما بتشويش أو إغراء بفساد أو وشاية[1].

ب. قوامة الرجل:

رفض الإمام الصّدر مقولة أن الرجال أهم من النساء، وأن الإسلام أعطى الرجال درجة أولى وللنساء الدرجة الثانية، معتبراً أنه لم يفهم إطلاقاً أن الإسلام فرّق بين الرجل والمرأة في الأحكام والدين بتاتاً، شارحاً أن هناك أحكاماً مختلفة لظروف وكفاءات مختلفة حسب دور كل منهما في هذه الحياة. فالأحكام الفقهية رعت واقع ودور الرجال في المجتمع. كما اهتمت بشؤون المرأة وواقعها في الحياة متسائلاً أنه من خلال الآية الكريمة ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[2] «أي رجال وأي نساء»؟! هل يمكن لأي رجل أن يقول أنه قوّام على النساء في العالم؟ وهل يمكن للرجل أن يعتبر نفسه أشرف من أية إمرأة؟!![3]. والآية الكريمة إنما تدل على القوامة بالنسبة للحياة الزوجية بعد الزواج، الرجال قوّامون على النساء بعد اشتراكهما في تأسيس نوع جديد من الحياة المشتركة، فهما عندما يتزوجان ويتشاركان في أمور الحياة من مأكل، وملبس، وعيش

---

(١) م.س.، راجع **موسوعة الإمام الصّدر**، ج١١، ص٣٦٨.
(٢) سورة النساء/ الآية٣٤.
(٣) م.س.، **موسوعة الإمام الصّدر**، ج١١، ص١٨٣.

مشترك تتشابك الأمور في ما بينهما ويصبح هناك اختلاف في بعض الأمور الحياتية. كمثال على ذلك كيف تربي الأولاد، كيف تدبر أمور المنزل... ويصبح هناك خلاف في الرأي، لذا أوجد علاجاً لهذه المشكلة كي لا تتفاقُم الأمور وتخرب الأسرة ويلحقها الدمار، فهنا يأتي القرآن الكريم ويقول: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا﴾[1].

وقد شرح الإمام انه إذا لم يكن هناك اتفاق مسبق، فالرأي رأي المجموعة، ولكن إذا اختلفا فرأي الرجل أولى من رأي المرأة لأسباب عرضها القرآن الكريم: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. هذه الآية أنزلها الله سبحانه وتعالى في حق الرجل بما أنفق وتحمل مسؤولية إدارة شؤون أسرته.

وهذا لا يدل على انه حاكم مطلق، وسيد البيت، ورب صغير. فالإسلام رفض هذه الأخلاق وقسم الصلاحيات بين الرجل والمرأة وعليهما قبل الشروع في تأسيس الحياة المشتركة أن يتفقا على الأدوار على أن يكون داخل البيت من صلاحيات المرأة وخارج البيت من صلاحيات الرجل. والرجل لا يتدخل في شؤون المرأة إلا حين حصول اختلاف في الرأي. يكون رأي الرجل أولى من رأي المرأة. ويدخل في مثل هذه الحال مستوى الوعي والإدراك للمسؤولية المشتركة بينهما لإنجاح علاقتهما وتربية الأولاد على أسس سليمة مبنية على الإيمان والحب والاحترام[2].

ولكن أيضاً، مع قدسية الزواج وبناء الأسرة، يعتبر الإمام الصّدر أن المرأة مخيرة في الإسلام أن تتزوج أو تمتنع عن ذلك. فالمرأة هي غير

---

(١) سورة النساء/ الآية٣٤.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص١٨٤.

ملزمة، مع العلم أن العزوبة مكروهة في الإسلام بالنسبة للرجل والمرأة على حدٍ سواء، «وشرار موتاكم العزاب»[1].

وبما أنه لا يفرض على المرأة ولا على الرجل الزواج، فبإمكان المرأة أن تختار العمل والخدمات وأن لا تتحمل مسؤولية الزواج والتزاماته.

ويشرح الإمام أنه حينما تختار المرأة الزواج فعليها أن تعرف حقوقها الزوجية التي أقرها لها الإسلام من أنها أولاً: هي غير مجبرة إطلاقاً على الخدمات البيتية بإمكانها أن تتقاضى أجراً عن الخدمات البيتية حتى الرضاعة[2].

ثانياً: ربما أن الإسلام يكوّن المناخ الملائم لتفرغ المرأة للحياة البيتية وللاهتمام بأسرتها وللعب دورها الأسمى في الحياة ـ دور الأمومة ـ لذلك فرض على الرجل الإنفاق حتى لا تحتاج المرأة إلى العمل وتتفرغ لمسؤولياتها والتزاماتها بإدارة شؤون عائلتها[3].

ج. المرأة والأمومة:

الأمومة مسؤولية كبيرة ودور كبير تلعبه الأم على مسرح الحياة، والمزايا الروحية والمادية التي يفترضها الإسلام للأمومة هي مزايا كبيرة، فالأم في الإسلام ليست فقط وعاء وممراً لإنجاب الطفل، بل هي مشتركة مع الرجل في تكوين الطفل وهي مسؤولة عن الطفل طوال فترة الحمل،

---

(١) حديث شريف، رسول الله محمد ﷺ.
(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج٢، ص٥٢٥.
(٣) م.ن.، ج١١، ص٣٧٢.

عليها أن ترعاه أن تؤمن له الغذاء وأن تهتم بصحتها لتحفظه، وأن ترعى وضعها النفسي ليخلق طفلٌ سويّ لا عاهات ولا اضطرابات. كلها مسؤولية الأم، فتربية الفرد منذ نشأته طفلاً مسؤوليتها، عليها أن تهيء الأجواء المناسبة لنموه حتى يصبح إنساناً متكاملاً صالحاً في المجتمع. فالأم تلعب منذ أن يبصر الطفل النور، أدواراً كثيرة، هي المعلم وهي الطبيب، وهي القاضي، وهي الممرضة، و......، والعالم الديني وغير ذلك.

فالأم إذا لم تراع القواعد الصحية في أيام الحمل والولادة والرضاعة يصبح الطفل مريضاً لا علاج له حتى عند أمهر الأطباء. لذا، اعتبر الإمام الصّدر أن توجيه المرأة في الأساس للطفل، هو الأساس لتكوين الكيان الثقافي والكيان الديني عند الطفل.

فالأم الواعية والمثقفة والمتعلمة والمتفهمة لدورها في الحياة، تتمكن من أن تكوّن الشخصية الثقافية والدينية للطفل (إن كان ذكراً أو أنثى) بحيث يتمكن الطفل في المستقبل من مقاومة الانحرافات، بينما إذا كانت الأم جاهلة خائفة وخاضعة ومهضومة الحقوق ومسلوبة الإرادة فكيف يمكن للطفل أن ينجو من هذه الرواسب والصعوبات، وكيف له أن ينمو بشكل طبيعي، ويكون فرداً ناجحاً في المجتمعات[١]؟!.

وقد شرح الإمام الصّدر أن الأم لكي تحافظ على الأسرة وتساهم في تربية أولادها تربية سليمة عليها أن تقوم بالأدوار الآتية[٢]:

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج٢، ص٢٥٢.
(٢) م.ن.، ج١١، ص٣٧١.

* **دور الطبيب**: الأم منذ بداية الحمل، عليها أن تهتم بصحتها من خلال مراقبة طريقة الأكل فلا تزيد أو تقلل، وأن تهتم براحة جسدها فلا تقصر لكي يبصر الطفل النور معافى وسليماً وبصحة جيدة.

وتقوم بالدور نفسه في أيام طفولته. فهذا ما يدل على أن الأم الواعية تنظم حياتها كأم، كي تتمكن من تكوين إنسان صحيح يشارك في الحياة الاجتماعية بصورة قوية وسليمة.

* **دور رجل الدين**: قبل الولادة وبعدها تكون أعمال الأم لها أثراً في حياة الطفل. خشوع الأم، وصلاتها ودعاؤها في أيام الحمل تنعكس على الطفل. وعندما يولد الطفل كل صوت يسمعه، أو منظر يشاهده، وكل جو يعيشه له أثر في تكوينه وتربيته. وعندما يتاح للطفل الكلام، يبدأ بالأسئلة اللامتناهية، والموجهة إلى أمه، فيسأل عن الله، السماء، الأرض، النار، الجنة، عن الموت عن الحياة... أسئلة كلها توجه إلى الأم. فالأم الواعية تتمكن أن تضع الحجر الأساسي في بناء خلق الطفل المؤمن الصالح.

والطفل الذي يتربى على أساس الإيمان، لا ينحرف إلا بصعوبة.

* **دور المعلم**: الطفل حينما يحرك لسانه، يبدأ بالأسئلة متوجهاً إلى أمه عن حقيقة الأشياء: الشمس، القمر، السماء، الضوء، ويسأل عن أشياء كثيرة. الأم الواعية تكوّن حياة الطفل. فالطفل الذي يتعود على الثقافة وعلى المعرفة، وعلى الوعي هو طفل سليم.

* **دور القاضي**: الأطفال يتنازعون في البيت، فسرعان ما يحكّمون الأم في مشكلاتهم، وعليها أن تحكم بالحق ولا تنحاز إلى طفل دون الآخر، لأنها سوف تخلق عقدة في نفس الطفل. وحينئذٍ يتعود على

الباطل، وعلى الظلم، وعلى الانحياز. لذا، على الأم أن تكون صاحبة حق لكي تعوّد طفلها على الاستقامة والصفاء والسلوك المتين.

هذه الأدوار وغيرها اعتبرها الإمام الصّدر «أنها تشكل أهم الأدوار في الحياة التي تساهم في بناء الإنسان وتربيته والتي كلفت بأدائها المرأة الأم. فالإسلام لا يفرض على المرأة الزواج، ولكن إذا استلمت المرأة شؤون الأمومة، واختارت الزواج فعليها أن تتقن عمل صناعة الطفل، صناعة الإنسان، فعلى المرأة ـ بفضل الإسلام ـ أن تقوم بدور صناعة الإنسان، المواطن الصالح من خلال تربية الطفل والعناية به»[1]. على هذا الأساس دور الأم دور كبير جداً. لأن تكوين الأسرة واجب ليس فوقه واجب، ودور الأم في تكوين كل البشر، فما من أحد إلا عنده أم. على خلق كل إنسان مسحة يد الأم، فالأم تشترك في تكوين الطفل. ولكن وحدها تؤثرفي تربية وصناعة الطفل، وحدها تلعب الأدوار كلها في صناعة الإنسان.

د. المرأة والعلم:

دعا الإمام الصّدر إلى تعليم المرأة في المجالات كافة دون تمييز أو تخصيص مع مراعاة الاستعدادات والكفاءات التي تواجهها المرأة، انطلاقاً من التعاليم الإسلامية التي اعتبرت العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. ويحق للمرأة أن تعمل بما تعلمت ضمن الضوابط الأخلاقية والشرعية.

وأكد على أن المرأة المسلمة الملتزمة حينما تخرج لواجب، لضرورة، للتعلم، للشراء أو للبيع، أو لواجبات بيتية أو لواجبات اجتماعية

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج٣، ص٣٤٠.

يجب أن تخرج كإنسان، وليس كأنثى. قائلاً أياً أي كان نوع العمل أو السبب لخروج المرأة من منزلها فعليها أن تكون خارج المنزل مثل الرجل، لا تهتم بالتبرج أو بالأناقة، أو بالإثارة لما له من آثار سلبية على وجودها وقيمتها، معتبراً أن مجرد الإهتمام بشكل المرأة يكون تقليلاً لقيمتها وحقيقتها الإنسانية.

وعلى المجتمع أن يحترم استعدادات المرأة لأي عمل أو علم، وأن لا يتم إجبارها على تسلم وظائف معينة فقط لإثبات المساواة مع الرجل، لأن التفاوت في الكفاءات يحترمه الإسلام. فيمكن أن يكون هناك عمل يتقنه الرجل أكثر من المرأة وأعمال أخرى تتقنها المرأة أكثر من الرجل[١]. فهذا أمر طبيعي ولا ينقص من قيمة إنسانية المرأة ودورها.

هـ. المرأة والحجاب:

اعتبر الإمام الصّدر أن أبرز التعاليم الإسلامية التي حافظت على تنسيق جميع جوانب وجود الإنسان وعدم طغيان ناحية على سائر النواحي، هو ما ورد في الإسلام بشأن المرأة من السعي لعدم طغيان جانب الأنوثة والإغراء على سائر جوانب وجودها، ولهذه الغاية كان من مبادئ الحلال والحرام، أن لا تعمل المرأة للإثارة والإغراء في حياتها الإجتماعية، وفي مجالات العمل والعلم لكي لا تذوب إنسانية المرأة في أنوثتها، وعليه يجب ألا ينظر إليها ولا تنظر هي إلى نفسها من هذا الجانب فقط، حتى لا تحط من مستواها وتفقد جوانب أساسية من وجودها[٢].

(١) حوار صحفي، مجلة الحوادث، ٢٦/١٠/١٩٧٣؛ م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج٣، ص٣٦٧.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٧٨.

وكي لا ينظر إليها في المجتمع على أنها أنثى بل إنسانة، ومن أجل صيانتها وحماية إنسانيتها عالج الإسلام هذه المشكلة الاجتماعية بحجاب المرأة ـ أي ستر مفاتنها ـ وقد لخص الإمام الصّدر منطق الحجاب في عدد من الآيات القرآنية وهي:

أ. **في الكلام**: ﴿. . .فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾[1]. أيتها النساء المؤمنات عندما تتكلمن مع أحد، فلا يكون ذلك بالخضوع والإثارة، وقد شرح الإمام الصدر: «حتى لا تثيروا مرض من في قلبه مرض، أي لا تتجاوزن حدودكن، ولا تثرن، لا تتدللن في كلامكن، أثناء حديثكن مع الآخرين».

ب. **في المشي**: ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2]. وقد فسر الإمام مضمون الآية قائلاً: «أيتها المرأة إن مشيك في الشارع يجب أن لا يكون مغرياً، مثيراً، وكذلك مشيك في المجالس وفي المنازل وفي القاعات يجب أن لا يكون مغرياً ومثيراً»[3].

ج. **في إبداء الزينة**: القرآن الكريم خير دليل على الموقف من إبداء الزينة، فالآية الكريمة الآتية تبرزه ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[4]. وهنا تفسير لطيف من الإمام لهذه الآية بأنه قال: «ان الله سبحانه وتعالى لا يقول استرن زينتكن، بل يقول لا تبدين»، ويقصد في مواقع الزينة مواضع الإثارة، مواضع الجمال، لماذا لا يقول لا تبدينها؟!. لأنك أيتها المرأة إذا

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية٣٢.
(٢) سورة النور/ الآية٣١.
(٣) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٧٩.
(٤) سورة النور/ الآية٣١.

مشيت مشياً مثيراً، أو تكلمت بطريقة أبرزت مفاتنك، حينئذٍ أول شيء يلفت نظر الرجل إليك هو الأنوثة والإغراء، أنوثتك تغطي كل وجودك، أنوثتك تمنع بروز سائر الكفاءات. لأنه عندما تبرز المرأة الأنوثة والإغراء تكون قد منعت الرجل أن ينظر إلى كفاءاتها وتضحياتها أو معاناتها. لا ينظر الرجل في حينها إلى علم المرأة وإلى عملها، وإلى إنسانيتها وإلى أمومتها وجهدها في تربية الأولاد، بل كل ما ينظر إليه مدى تأثير أنوثتها وإغرائها عليه خارج الحدود التي نظمها الله سبحانه وتعالى[1].

فضلاً عن الآيات السابقة، فهناك آيات أخرى فيها إرشاد للمرأة في ما يتعلق بتبرجها ونظريتها إلى الرجل منها: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[2]. ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[3].

فإذاً الإسلام كما عرّفه الإمام الصّدر يريد للمرأة حينما تكون في البيت أن تحافظ على أنوثتها وأن لا تهمل نفسها فلا خطر في هذا، فالحديث الشريف يقول: «جهاد المرأة حسن التبعل». فهي أنثى حينما يكون الرجل ذكراً، هي في البيت لزوجها مثيرة، مغرية، شيقة، سكن وراحة، جمال الحياة، حسب تعبير سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام **«رياحين خلقن لكم»** ويكون هذا في البيت الزوجي.

أما إذا أرادت أن تخرج لواجب، لضرورة، للتعلم، لشراء لبيع، لواجبات بيتية، أو لواجبات إجتماعية، يجب أن تخرج كإنسان، وليس

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ص٣٧٩.
(٢) سورة الأحزاب/ الآية٣٣.
(٣) سورة النور/ الآية٣١.

كأنثى، عليها أن تكون خارج منزلها مثل الرجل، فكما أن الرجل في المحل التجاري لا يهتم كثيراً بالجمال والأناقة والإثارة، على المرأة أن تكون كذلك في المحل التجاري، عليها أن لا تحاول الإثارة أو الإغراء، لأن في هذا متاجرة بالجسد، تقليل لقيمة المرأة، وتنكر لحقيقتها، فعليها أن تكون كما أرادها الإسلام إنسانة كفوءة بإنسانيتها[١].

لذلك فإن المساواة أمام الله، المساواة في الإنسانية، تحصل في ظل عبادة وإطاعة الله سبحانه وتعالى. فالله سبحانه أخذ بيد المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وكانت الدعوة إلى السعي والعمل إلى الوصول إلى الكمالات الإنسانية الواحدة. «فالكمالات الإنسانية تحصل في ظل عبادة وإطاعة الله، والإطاعة والعبادة مشتركة بين المرأة والرجل، فقطع الطريق يكون مشتركاً»[٢].

كما أن الدعوة التي أطلقها الإسلام إلى الإنسانية إلى جانب العبادة والإطاعة والإيمان بوحدانية الله ـ تبدأ من الذات بتحررها وتطلقها من أنانيتها ومن الجهل الذي تعيش فيه ـ فهي دعوة لهما بأن يتحررا من القيد الذاتي والأنانية، و«لأن أثقل قيد يقع في أغلاله الرجل والمرأة على السواء، هو القيد الذاتي. فالإنسان ليس وحده في الوجود، بل هو جزء من المجتمع، وأبعاد وجوده تشمل كل من شارك في تكوينه المادي والمعنوي، لذا أن التصرف بالذات بمعزل عن هذا المفهوم أنانية، والتحرر من الذات هو القاعدة الكبرى (الجهاد الأكبر) فلا يمكن لإنسان لم يتحرر من نفسه أن يتحرر من الآخرين»[٣].

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٣٧٨.
(٢) م.ن.، ج١، ص٣٨١.
(٣) م.ن.

إنه لمن الواضح أن الإمام الصّدر يريد أن يوصلنا إلى أن المرأة في الدين الإسلامي كالرجل في تحمل مسؤولياتها الإنسانية، وعليها أن تبدأ من نفسها فتحررها من التقاليد والعادات الموروثة، التي أثقلت قيودها وأغلالها وساهمت في جمودها وتأخرها، بأن تسعى وتعمل وتبدأ من ذاتها تحررها لتنقذها من العبودية لغير الله.

وقد دعا المرأة إلى أن تؤمن بنفسها وبوجودها كائناً، حراً، مستقلاً، ذا إرادة واعية وكفاية متطورة، تساهم في تطورها حتى تدرك ذاتها الإنسانية من خلال رفع مستوى الوعي لديها، وأن تعي بأنها جزء من المجتمع الإنساني، وعليها أن تشارك في نهضته للوصول إلى المجتمع المثالي.

وقد أوجد الإسلام المناخ الملائم لنمو كفايات المرأة، وذلك خدمة للجميع. واهتم بالكفاءات المتعددة للمرأة ودعاها إلى الإهتمام بتنمية جميع جوانب وجودها الروحية والعقلية والجسدية، وأن لا تتنكر لأي جانب منها. فالنمو في الإنسان يجب أن يكون منسجماً متكاملا[1]، وهذا هو حقيقة الإسلام **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[2].

لذلك اعتبر الإمام أن الرهبنة ليست من الإسلام، ولا من المسيحية، كما يؤكدها القرآن الكريم **﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾**[3] لأن

---

(1) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص٣٧٨.

(2) سورة القصص/ الآية ٧٧.

(3) سورة الحديد/ الآية ٢٧.

الرهبانية تحاول أن تنمي الجانب النفسي وتتنكر للجانب الجسدي، وهذا أيضاً خطر معاكس للخطر الأول إذا حاولنا أن ننمي الجانب الجسدي ونتنكر للجانب النفسي.

على أساس هذا القول فإن الإسلام لم يتعامل مع الرجل والمرأة على أساس الجنس البشري وإنما على أساس الجوهر الواحد، الذي لا يختلفان فيه، فهما في الحقيقة الإنسانية واحدة، ولكن هذه الوحدة لا تعني وحدة المهام. لأن مهام الرجل الإنسانية تختلف عن مهام المرأة فلكل دوره، وقد اعتبر الإمام أن «الوحدة الحقيقية لا تعني وحدة المهام، التي تعتمد على الكفاءات والاستعدادات لكل من الرجل والمرأة، والتفاوت في الأحكام لا يعني التفاوت في الجوهر والذات».

أما الأدوار التي حددها الإسلام للمرأة فهي من أهم الأدوار على مسرح الحياة وأعظمها دور صناعة الإنسان وتربيته والاهتمام بصلاح أمره وإرشاده إلى خط الإيمان والتوحيد والخضوع لله سبحانه وتعالى، وذلك لا يمكن أن يتم دون أن يهتم الإسلام منذ بداية الدعوة بتربية المرأة ورفع كرامتها، وتأمين حقوقها الإنسانية لتسير في ركب الحياة إلى جانب شريكها في الإنسانية «الرجل» ليسيرا في وحدة إنسانية لا متناهية تسير في وحدة الكون وانسجامه، وقد خلقه الله مخلوقاً واحداً مشبعاً بالروح والجمال والكمال، منظماً متزناً سائراً نحو الأهداف، قائماً على أساس الحق والعدل، متناسقاً متجاوباً في أجزائه بعضها مع بعض ومع الخالق. **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾**[1].

---

(١) سورة الحج/ الآية ١٨.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[١]. تسبيح الكائنات وتمجيد الله تصور منعكس للكمال الإلهي على الكون كله، وعلى الإنسان بالذات من خلال تهذيب النفس الإنسانية والتحرك للوصول إلى الله سبحانه وتعالى وإلى فهم الحياة وإدراك أسرارها من خلال هذه الحركة واتباع درب الشريعة الإسلامية، «لأن أكثر ما يهذب الذات هي القيم التي تقهر الفرد طوعاً من أجل تربية «الأنا» وتوجيهها في الجماعة والمجتمع»، بحيث ينمو كل فرد إلى طاقة أبدية في سبيل تحرير وتغيير المجتمع.

وقد اعتبر الإمام الصّدر أن الإسلام دعا المرأة إلى تحمل دورها في الحياة في أن رسم لها الدور وطريق سيرها فيه في حركة دائمة وسعي دائم وتغيير مستمر نحو الأفضل، وبالتالي رفض لها الإسلام الوقوف والجمود والتراجع «لأن الإنسان متحركاً نحو الكمال، دافعه وجوده، وعنصر الخير والشر في نفسه وفي الخارج»[٢].

لذلك فإننا نجد أن الدين شرح المفهوم الأساسي لوجود المرأة ودورها في الحياة وحقها في أن تحيا حياة كريمة خالية من التعقيدات والاستغلال، وذلك نجده في المبادئ والتعاليم الدينية التي أمنت حقوق الإنسان كل إنسان، فكان الإسلام الخيار الوحيد لتغيير الواقع المتخلف، ولأجل اكتشاف حقيقة الموقف الإسلامي تجاه المرأة جعل الإمام الصّدر

---

(١) سورة الإسراء/ الآية ٤٤.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١، ص ٣٨١.

في الآيات القرآنية أساساً للبحث عن المرأة وإطاراً لمعرفة التعاليم الحقيقية ـ لا الخارجية ـ بالنسبة إلى المرأة، وذلك ليمكنه من فصل العادات عن الأحكام، ومعرفة الأحكام الثابتة وتمييزها عن الآراء المرحلية.

الفصل الرابع

المرأة الرسالية
كما قدمها الإمام الصّدر

تمهيد

أولاً: فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج

ثانياً: زينب الحوراء عليها السلام الرائدة

تمهيد:

قدَّم الإمام الصّدر في «رؤيته الفكرية حول المرأة في الإسلام» رؤية واضحة وشرحاً وافياً عن أدوار المرأة في الحياة، وأن الإسلام رفع بها إلى مصاف الرجل، بل في بعض المجالات هي أرقى وأرفع منه. وأن الإسلام كان ثورة إجتماعية في كل مفاهيمه وآرائه ونظرياته. كان تغييراً في المبادئ والقيم المتوارثة، كان تغييراً في الواقع المتخلف الذي كان يحكم البشرية. فأصبحت المرأة صانعة المستقبل، وصانعة الأبطال والقادة، صانعة الرجال والنساء، وتربعت على رفيع قُمة العظمة والجلال، وأصبحت المرأة المؤمنة الواعية لرسالتها في الوجود كالشمس الساطعة على البشرية قاطبة، وأصبحت قدوة ونموذجاً لحاملي رايات الحق ونماذج طيبة للإنسانية جمعاء. وقد شرح الإمام الصّدر أن رسول الله ﷺ بذل جهداً متناهياً في رفع مستوى المرأة التي كانت تعيش في عصره، والتي كانت تحمل تبعات إضطهاد الماضي الطويل وعقده. وفي تحسين نظرة الناس إليها. فقد اعتبر رسول البشرية «أن خير الأولاد البنات»، وأن «أحسن الناس أحسنهم لزوجته»، و«أن المرأة محببة عنده من الدنيا كالصلاة»، و«أن النساء أمانته في أمته»[1]. وأن المرأة لها في الوجود دورٌ عظيم الشأن الذي كونت

---

(١) كتاني، سليمان، مقدمة كتاب «فاطمة الزهراء وتر في غمد»، تقدمة الإمام الصّدر ط٢، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة٢٠٠٧، ص٢٥.

تكويناً كاملاً للقيام به. إذ هي منبت الورى أجمعين من ضعيف ومسكين وغني وجاهل، وعالم وملك. . . إلخ، هي خلقت لوقاية النوع البشري من الفناء والإضمحلال. وهي التي بدأت تهدي إلى الدنيا الذرية البشرية الكافية لبقاء العمران. وأن المرأة يمكن لها أن تكون قدوة للعالمين وآية للنساء وللرجال.

من هنا انتصر الإسلام للمرأة قولاً وعملاً، وبدأت معالم الانتصار تتجلى في شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة، إنها ابنة رسول الله ﷺ التي بها بدأ التغيير، وكانت الكوثر التي أهداها الله لرسوله الكريم، ومنها بدأت حكاية تكريم المرأة، تكريم الأنثى، وبقيت الإنسان النموذج الذي قدمه الإسلام نموذجاً للمرأة المسلمة التي أرادها الله أن تكون قدوة للمجتمعات في كيفية احترام المرأة وإعطائها دورها في الحياة. ففي هذا الفصل محاولة لاستقراء رؤية الإمام الصّدر تجاه سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكيف قدمها نموذجاً للإنسانية، وكيف أدت رسالتها في الحياة. ومن ثم ابنتها زينب عليها السلام فكانت خير خلف لخير سلف، فمع الإمام الصّدر يمكن السير في رحاب الزهراء عليها السلام وابنتها السيدة زينب عليها السلام، ويمكن من خلال البحث بين كلماته الاطلالة على موجز من حياة الصديقة الطاهرة، المرأة التي غيرّت من خلال وجودها مفاهيم كثيرة، والتي ستبقى دروساً وعبراً للأجيال عبر التاريخ. من هي فاطمة الزهراء عليها السلام؟، حياتها، نشأتها، رسالتها، وقوفها مع أبيها، صمودها إلى جانب زوجها ومعاناتها، ومن ثم نتنقل إلى زينب عليها السلام ثورة الكلمة في عاشوراء، للإطلالة على دور الرسالة الإسلامية في تكريم المرأة واحترام كفاياتها وإعطائها فرصها في الحياة.

أولاً ـ فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج:

اتخذ الإمام الصّدر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة للمرأة المسلمة التي أرادها الله ـ سبحانه وتعالى ـ، معتبراً أن فاطمة عليها السلام السيدة الجليلة التي مثلت بحياتها الإسلام في الجانب الآخر، مثلت دور المرأة، ومشاركة المرأة، وتفكير المرأة في حياة الأمة، مثلت حقيقة الإسلام الذي حرّر الإنسان من القيود جميعها التي أثقلت عقله ومسحت إنسانيته، وأعاد بتعاليمه وشرائعه وسننه إلى العقل الإنساني كرامته المهدورة في معظم الحضارات والثقافات السابقة على الإسلام.

فكانت فاطمة الزهراء عليها السلام بوجودها وشخصها وعملها وفكرها ومواقعها حركة تغييرية في المفاهيم كافة، السائدة في العصور المتخلفة حول ماهية المرأة وحقيقة وجودها، فكانت المرآة لإنسانية المرأة ولأهمية دورها في الحياة.

فاطمة قدوة للرجال والنساء في سيرتها العطرة التي اعتبرها رسول الله صلى الله عليه وآله قطعة منه وريحانته من الدنيا، وأنها منه، من آذاها فقد آذاه، ومن أغضبها فقد أغضبه. هي سيدة جليلة اكتسبت احترام النبي صلى الله عليه وآله وإكرامه فكان يزورها قبل كل أحدٍ ويودعها بعد كل أحدٍ، ولم تصل «فاطمة عليها السلام» إلى هذه المرتبة الشامخة لأنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وليس لانتسابها إليه، بل وصلت من خلال سعيها وجهدها وعملها وعلمها وأدبها وثقافتها ووعيها.

فهي التي دعاها أبوها لأن تعمل لكي تُحصل رضا الله سبحانه وتعالى، قائلاً لها: «يا فاطمة اعملي لنفسك فإني لا أغني عنك من الله شيئاً». كاشفاً عما أفرزته ترسبات الماضي في حركة الفكر الإنساني والتي

كانت موجودة عند بعض الأمم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكانت السبب الرئيسي في تقسيم المجتمعات. لذلك كانت دعوة النبي «محمد ﷺ» «لفاطمة عليها السلام» أن تعمل لنفسها إعلاناً عن خطأ الفكرة التي كانت سائدة وأنها تتنافى مع التوحيد الحقيقي ولا تغني عن عمل الإنسان.

أراد الإمام الصّدر من خلال حديثه على فاطمة الزهراء عليها السلام، أن يزيل الوشاح عن تلك القُمة الشامخة التي تمثلها امرأة «تأكيداً لمساواتها ودورها وتأثيرها في حياة الأمم. ففاطمة وأبوها، وبعلها وبنوها، هؤلاء هم الذين وضعوا أسس المسؤولية، وأكدوا بسلوكهم أنهم لا يعتمدون على انتسابهم، ولا تراثهم، ولا على مكاسب الآخرين في حياتهم، ولا على الأمجاد التي اكتسبتها الأجيال من قبلهم. هؤلاء بدأوا من الصفر وتحملوا المسؤوليات، وهكذا وضعوا أمامنا رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، أسس المسؤولية وطريق التحرك والعمل في هذه الحياة»[1].

لقد علّمت «فاطمة عليها السلام» الأجيال المتلاحقة أن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال، ولا صلاة تصلى، ولا صياماً، ولا مظهراً، بل الإيمان الحقيقي هو وقفة الإنسان في ساعات الحرج، في ساعات المصالح المتضاربة، في ساعات المحن والكوارث، سيرتها دروس الإنسانية، بأن الإنسان المؤمن إذا كان ذا تربية صالحة لا يحتاج في الساعات الحرجة والصعبة، أو في ساعات المنفعة أن يقول له أحد كيف يجب أن يكون، ولا إلى من يرشده إلى طريق الخلاص بل هو عند الشدائد يتصرف بمقتضى ضميره وبمقتضى وعيه وإيمانه، لأن الإيمان يعرف عند الهزات،

---

(١) «المؤمنون ومسؤوليتهم» خطبة الجمعة، الإمام موسى الصّدر، مسجد صور الجديد، سنة١٩٧٣، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل؛ م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج٣، ص٢٤٣.

وعند المصائب وعند المتاعب، وعند الغضب وعند النصر. فالسيدة فاطمة عليها السلام كانت في كل وقت «كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف» لأن إيمانها ارتباط متين بالله رب العالمين، وصلتها قوية مع خالقها تمنعها من الاهتزاز والضعف تساعدها على تحمل مسؤولياتها بوعي وإيمان راسخ في قلبها تتصرف على ضوء وجوده العميق، وكانت عند المصيبة من الصابرين عملاً بالآية الكريمة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[1]

كانت «فاطمة» أمام المحن التي مرت عليها وأمام الظروف الصعبة التي عاشتها محافظة على اتزانها واعتدالها وكانت صابرة ومحتسبة، وكانت في الحالات كلّها تحافظ على الغاية ولا تتيه في مشاكل الطريق أو في صعوباتها أو في مغرياتها[2].

أ. من سيرة السيدة الزهراء عليها السلام:

كانت ولادة السيدة «فاطمة الزهراء عليها السلام» بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات. وهي آخر أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زوجته السيدة خديجة عليها السلام، ولدت في مكة، في بيت الوحي والجهاد، وفي أجواء الصبر والصمود وتحمل المشاق، وترعرعت في غمار العواطف الصادقة والحب الطاهر المتبادل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين خديجة التي لم ينس النبي عواطفها وإخلاصها طوال حياته.

(١) سورة البقرة/ الآيتان ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٢) م.س.، خطبة الجمعة، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

وكانت «فاطمة ﷺ» تنمو في بيت الوحي، يزقها أبوها الرسول ﷺ العلوم الإلهية، ويفيض عليها المعارف الربانية، ويعلمها أرقى علوم الإيمان وأجمل حقائق الإسلام، ويربيها أفضل تربية وأحسنها، إذ وجد عندها كامل الإستعداد لقبول العلوم ووعيها وقدرتها لنيل صفات الكمال.

أمضت حياتها ممزوجة بالمكاره ومشفوعة بالآلام والمآسي منذ صغرها، وقد عايشت أباها في المحن التي ألمت به من آل قريش وأيقظت فيها روح الجهاد والاستقامة والمثابرة، والتحقت مهاجرة إلى المدينة.

تزوجت من ابن عمها «علي بن أبي طالب ﷺ». وكانت سنواتها القليلة التي عاشتها معه بمثابة عنوان الحياة المثالية، وقد أنجبت «الحسن» و«الحسين» و«زينب» و«أم كلثوم»، و«محسن» الذي أجهضته بعد وفاة أبيها في أحداث مؤلمة تعرضت إليها وزوجها الإمام «علي ﷺ».

توفيت بعد أبيها ﷺ بأشهر قليلة، ودفنت في مكان مجهول بناءً على وصيتها ورغبتها. أما عمرها فبلغ ثماني عشرة سنة وأشهر عدة، وهو عمر قصير، ولكنه مثال كامل شامل لحياة المرأة التي يريدها الله ويسعى إلى تحقيقها دين الله.

إن التعاليم الدينية تحتاج إلى نماذج من البشر يجسدونها، ويحققون تنفيذها تحقيقاً كاملاً لكي يخرجوها عن الفرضية المثالية، ولكي لا يكون للناس على الله حجة، لذا حينما أراد رسول الله ﷺ أن يباهل - والمباهلة إبتهال إلى الله -، لكشف الحقيقة بعد عدم اقتناع الخصم بالحجة، وقد كانت الوسيلة الناجعة الأخيرة في دعوة الأنبياء، وفي نصرة الله للدين الحق، وأمّر بذلك بموجب الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن

بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] . فأصبح رسول الله ﷺ في مقام عرض الأبناء والنساء والأنفس الذين يمثلون رجال الإسلام ونساءه وأبناءه، عند ذلك اختار «علياً» و«فاطمة» و«الحسنين» معلناً بذلك إيمانه بالحق وبتمثيل هؤلاء لدينه تمثيلاً كاملاً[2] .

موجز من تاريخ «فاطمة الزهراء عليها السلام» عرضه الإمام الصدر لادراك كنه وحقيقة الإنسان المسلم الذي تشكل في جلوة فاطمة المنعكسة على فكر وقلب الإنسان المتمثل بـ «فاطمة» المرأة الوديع. «من يتحدث على «فاطمة» ويعرف «فاطمة» ويطلع على سيرتها وفصول حياتها، يستطيع أن يصل إلى تربية المرأة الفاطمية والرجل الفاطمي»[3]، هي «فاطمة عليها السلام» الدليل الواضح على حقيقة الإسلام، وعلى جوهره، وعلى قيمه، لوحات رائعة في حياة «فاطمة الزهراء عليها السلام» سوف تعجب وتجتذب أرواح الناس الحائرة التي ضاقت بالأبحاث والآراء، والتجارب عن فاطمة هي التي في الحديث عنها يرسم الإنسان الطريق للوصول إلى الشمس ونبع الحياة، ويجتذب أرواح الناس الحائرة عن طريق الوصول إلى عقدة العقد في المجتمع القديم والحديث، والإعجاب والاجتذاب في سيرة الطاهرة «فاطمة الزهراء عليها السلام»، يؤديان إلى البحث والتفتيش عن المدخل إلى هذه البيوت التي أذن الله أن تُرفع.

---

(١) سورة آل عمران/الآية٦١.
(٢) م.س.، من مقدمة كتاب «فاطمة الزهراء وتر في غمد»، ص١٧.
(٣) م.ن.، ص١٩.

هكذا قدمها الإمام الصّدر منارة للقلوب التائهة والعقول الحائرة في فهم شخصية أوقدت الشعلة الأولى الهادئة والهادفة في إحياء ثورة الحق ودفع الظلم وتصحيح المسار، هي فاطمة كما فهمها «موسى الصّدر» معتبراً إياها قدوة للأجيال ومدرسة للنساء، هي التي دخلت إلى التاريخ متشحة برباط له هالة قدسية، رباط اتشحت به سيدة نساء العالمين يلفّه إزار النبوة، وإزار الأمومة، وإزار الإمامة.

فقد أخذت عن أبيها رسول الله ﷺ، عبء مسؤولية الأجيال التي انحصر فيها إرث النبوة بكل ما ترتبط به صفات النبوة، وبكل ما حققته النبوة، وبكل ما ترمي إليه أشواق النبوة. فكان زواجها من الإمام علي عليه السلام تحقيقاً للمخطط العظيم، وتنزيهاً لقدسية الكلمة. إذ قال فيه الرسول الأكرم ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى». فزواجها استكمال لمتانة ما أنيط بها، وما كان «الحسن» و«الحسين» و«زينب» غير نتاج هذا الرباط الذي اكتملت به المشيئة.

أ. فاطمة عليها السلام الكوثر:

ان سورة الكوثر التي أوصى الله بها رسوله الكريم «محمد ﷺ»، هي لإيضاح خطأ وزيف المنطق الجاهلي الذي كان يعتبر أن الولد الذكر هو دون الأنثى استمرار لشخصية والده وبقاء لمجده وذكره، بعد أن فقد رسول الله ﷺ آخر أبنائه الثلاثة، وبقي بلا عقب حسب المنطق الجاهلي. بدأ الشامتون المنافقون يفرحون وينتظرون موت رسالة «محمد ﷺ»، مع موته. ولكن الله سبحانه وتعالى أوضح خطأهم وزيف منطقهم وأعلن: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ

﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1]. فالرسالة باقية والإسلام خالد، ومجد «محمد» مقترن بمجد الله، وذكره خالد إلى الأبد، وذريته هم حفظة الرسالة وأعلام الهداية، والشامت المنافق هو الأبتر. وقد شرح الإمام الصّدر ان «فاطمة» هي تجسيد للكوثر، فذرية الرسول ﷺ منها، وأبناؤها هم الأئمة المعصومون ثاني الثقلين اللذين تركهما النبي «محمد ﷺ» في أمته، وجعلهم لا يفترقون عن الثقل الأول، القرآن الكريم، و«الثقلان هذان، الكتاب والعترة استمرار لوجود «محمد» ورسالته ووسيلة لسلامة سير الأمة في الخط الصحيح دون الانحراف والضلال، وهذا الشأن الفاطمي العظيم ورد على لسان رسول الله ﷺ في أماكن مختلفة فقد قال: **«ذريتي من نسل «علي» و«فاطمة»»**، وقال: **«الحسن والحسين أبنائي إمامان»**، وقال: **«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**[2].

٢. فاطمة الزهراء عليها السلام أم أبيها:

فقد قال فيها رسول الله: **«إن الله ليغضب لغضب «فاطمة عليها السلام» ويرضى لرضاها، «فاطمة» بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبها فقد أحبني». «فاطمة» قلبي وروحي التي بين جنبي، فاطمة سيدة نساء العالمين**[3].

هذه الشهادات وأمثالها التي تواترت في كتب الحديث والسيرة عن رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يتأثر بنسب أو سبب ولا تأخذه في الله لومة لائم.

---

(١) سورة الكوثر/ الآيتان١ ـ ٣.
(٢) حديث شريف، رسول الله محمد ﷺ.
(٣) م.س.، «فاطمة وتر في غمد»، ص١٨.

مواقف من نبي الإسلام الذي دأب في دعوته، وكان للناس فيه أسوّة حسنة. فأصبحت خفقات قلبه ونظرات عينه ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره أحكام الله ومصابيح الهداية وسبل النجاة. أوسمة من خاتم الرسل في تاريخ «فاطمة الزهراء عليها السلام»، تزداد تألقاً، كلما مرَّ الزمان، وكلما تطورت المجتمعات، وكلما لاحظنا المبدأ الأساسي في الإسلام في كلامه لها: «يا «فاطمة» إعملي لنفسك فإني لا أغني عنك من الله شيئاً».

«فاطمة عليها السلام» الزهراء هذه مثال المرأة التي يريدها الله، قطعة من الإسلام المجسد في «محمد»، وقدوة في حياتها للمرأة المسلمة وللإنسان المؤمن في كل زمان ومكان، إنّ لمعرفة «فاطمة الزهراء» فصل من كتاب الرسالة الإلهية، ودراسة حياتها محاولة لفقه الإسلام وذخيرة قيّمه للإنسان المعاصر.

«فاطمة الزهراء عليها السلام» سيدة نساء العالمين، بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعة من الإسلام، هي مجاهدة، وهي شهيدة في سبيل الحق، وقد بلغت هذا الشأن ليس لأنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، بل لأنها عملت وجاهدت وتحملت في سبيل الحق ما تحملت. وقد عملت بقول أبيها وإرشاده صلى الله عليه وآله: «يا «فاطمة»! إعملي لنفسك، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً»، وعملت عليها السلام، وجاهدت وبلغت ما بلغت من علو الشأن والتكريم، لأجل عملها، وسعيها. وهذا هو منطق الحق، ومنطق الإسلام، ومنطق القرآن الكريم حيث يقول الباري عز وجل: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[1].

---

(١) سورة النجم/ الآية٣٩.

لذا «إن كل انتساب، وكل ارتباط، وكل شيء لا يعود إلى عمل الإنسان فهو باطل. لا امتياز ولا تمييز بين البشر كلكم لآدم، وآدم من تراب»[١]، وقد قال تعالى في آياته: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

لقد أبطل الرسول ﷺ مقولة أن الكرامات تصان بالألقاب والاجتماعات، وأن الجذور تحفظ بالوعود والكلمات، مؤكداً أن الإنسان لا يمكن أن يحفظ كراماته، ولا حرمه ولا عرضه، ولا مقدساته الدينية، إلا بالعمل وفي النهاية بالشهادة. وهكذا كانت «فاطمة عليها السلام» مصداق كلمة حق أرادها الرسول ﷺ أسوة حسنة في العالمين. وهي الفتاة التي شاركت في جهاد أبيها، فكانت تسعى مخلصة لسد الفراغ العاطفي الذي كان يعيشه الرسول ﷺ بعد فقد أبويه في أول حياته، وفقد زوجته العطوف، وقد نجحت في محاولتها رعاية الرسول ﷺ بعطف الأم، ما ساعده على تحمل الأعباء الرسالية الكبرى، حتى نقل عنه تكراراً وعن لسانه: «فاطمة أم أبيها». فكان يعاملها معاملة الأم فيقبل يدها، ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة أو حين انطلاقه في أسفاره ورحلاته ليتزوّد عاطفة من هذا النبع الصافي. وكان يتجسد إحساس النبي بالأبوة في صلاته مع «فاطمة»، وحينما أمر الناس بأن يخاطبوا «محمداً» برسول الله ونفذت «فاطمة» هذا الأمر منعها من ذلك وطلب منها مخاطبته: «يا أبه». وفي سيرة الرسول ﷺ تُلاحظ كثرة دخوله عليها في حالات تعبه وآلامه، أو

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج٤، ص٢٧٩؛ مهرجان صور ٥/ ٥/ ١٩٧٤ بمناسبة وفاة السيدة فاطمة عليها السلام، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

(٢) سورة الحجرات/ الآية١٣.

حينما يُجرح في الحروب أو حال جوعه أو فقره، ثم تقابله «فاطمة» الأم فترعاه وتحتضنه وتضمد جروحه وتخفف آلامه، وتقابله «فاطمة» البنت فتخدمه وتطيعه وتهيء له ما يحتاج إليه وهكذا نجد دورها العظيم في حياة رسول الله ﷺ أبيها[1].

٣. فاطمة عليها السلام زوج علي عليه السلام[2]:

إن الآثار والسير التي تنقل سيرة الزهراء عليها السلام وحياتها وزواجها تؤكد أنها بنت رسول الله ﷺ. ونظراً لما هي عليه من الكمال والمقام والجلال كانت موضع اهتمام وخطبة من الكثيرين من الصحابة، على اختلاف أفرادهم وأنواعهم وأشخاصهم، وكان كل فرد منهم يطمع بأن يكون له شرف الزواج من الزهراء عليها السلام، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن ليزوج ابنته «فاطمة عليها السلام» دون أن يستشيرها، وحينما كان يذكر لها خاطبها ويرى الكراهة في وجهها، فيعدل عن الأمر، ولم يفرض عليها أمراً لا تريده، إلى أن تقدم «علي بن أبي طالب عليه السلام» إبن عمها وربيب رسول الله ﷺ وأخوه وخليفته من بعده، تقدم لخطبتها، وكان رسول الله ﷺ يستند في زواج «فاطمة عليها السلام» إلى أسباب ظاهرة وغير ظاهرة، وكان يسأل الله سبحانه وتعالى أن يزوج ابنته من خير خلقه وأحبهم إليه، وعندما تقدم أمير المؤمنين علي عليه السلام فسألها رسول الله ﷺ فلم يرَ الكراهة في وجهها، فأبدى موافقته بناءً على رغبتها، وأتم الزواج وبارك لهما رسول الله ﷺ هذا الزواج قائلاً:

---

(١) م.س.، راجع «فاطمة الزهرا وتر في غمد»، ص٢٩.

(٢) راجع زواج الزهراء عليها السلام، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل؛ م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص١٨٤.

«اللهم إنهما أحب خلقك إليّ، فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم».

فكان زواجهما مدرسة للأجيال من خلال بساطة المهر والإحترام والحب والتفاهم التي سادت علاقتهما وكان المهر عبارة عن درع أمير المؤمنين عليه السلام الذي باعه وصرفت قيمته لتجهيز المنزل برضى وقناعة منها، رغم أن هناك الكثيرات من النساء في المدينة، اجتمعن بها وحاولن إثناءها عن القبول «بعلي عليه السلام» زوجاً لها، وطلبن منها أن ترفض لأن «علياً» فقيراً، ولأنه منشغل بالجهاد، ولا يملك بيتاً، فهو رجل حرب، يُخاف عليه من الموت، كما وأنه رجل عنيد وصلب وشديد، لا يصلح لأن يكون زوجاً، ولكن «الزهراء عليها السلام» كانت أرفع من أن تتأثر بهذه الكلمات، فوافقت، وتم الزواج. وارتبطت حياة «فاطمة عليها السلام» بحياة «علي عليه السلام» برباط يتقاسم عليه كل زوجين أحكام المصير إن كان نعيماً أو بؤساً، فشاركته حياته برضى تام، رضى بفقر، وصبراً على تعب، واستسلاماً بإيمان، ورضوخاً بقناعة، فتحملت مسؤولية واجبات البيت. وكان الإمام «علي عليه السلام» يشعر بتعبها وثقل الأعباء التي أنهكت قواها، فكان يكنس البيت في بعض الأوقات، ويحلب العنز، ويحطب ويستقي مكرساً بذلك حقيقة الأدوار بين الرجل والمرأة، فللرجل ما هو خارج البيت وللمرأة ما دونه.

إلا أن الزهراء أحسنت دورها وقامت بمهامها من تربية الأطفال وأعباء المنزل وتدبير أمورها حتى أعياها التعب، وحين أغناها الله بفضله وتحسن وضع الأمة، أرسل لها رسول الله صلى الله عليه وآله بخادمة تساعدها وتخفف أعباءها. ولكن كيف تعاملت الزهراء عليها السلام مع خادمتها؟! يقول الإمام

الصّدر: «كانت «فاطمة عليها السلام» تقسم الأعمال، لم تكن الخادمة تقوم بالعمل وحدها، فيوم للخادمة ويوم «لفاطمة»»، وكانت عليها السلام تقوم بعمل البيت كاملاً من دون نقص، وتطيع زوجها، وتتابع تعلمها وتقدمها وعبادتها وسموها، وتقوم بواجباتها الحياتية كافة. وقد أنهت «فاطمة عليها السلام» حياتها ملخصة مسؤولياتها الزوجية في جملة تخاطب بها «علياً» معتذرة مودعة «يا ابن العم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتك». ثم تودع الحياة مطمئنة حين تسمع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام يقول لها: «معاذ الله أنتِ أعلم بالله، وأبر وأتقى وأكرم، وأشد خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي، قد عزَّ عليَّ مفارقتك»[1].

هذه الصورة التي قدمتها «فاطمة عليها السلام» أراد بها الإمام الصّدر دروساً وعبراً لكل رجل وامرأة عن كيفية مشاركتهما الحياة، وطريقة التعامل بين الزوجين اقتداء بمعلمة الأجيال التي كانت كل مرحلة من حياتها وكل خطوة مدرسة وعنواناً للأجيال عبر العصور، وعن طريق السكن والمودة والرحمة، التي يجب على الزوجين أن يسلكاه ليصلا إلى بناء الأسرة الصالحة، وتربية الإنسان المؤمن، كما أراد الله سبحانه وتعالى.

٤ . فاطمة عليها السلام في المحراب:

تحدث الإمام الصّدر على عبادة فاطمة عليها السلام، فهي في سجود دائم وحياتها كلها في المحراب، إنها في البيت تعبد الله في حسن التبعل، وفي تربية أولادها إذ «إن مسجد المرأة بيتها». وهي في قيامها بالخدمات العامة

---

(١) م.س.، زواج فاطمة عليها السلام، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل؛ م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص١٨٤.

كانت تطيع الله وتعبده في خلقه الذين كلهم عياله وأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله. وفي مواساتها للفقراء والمعذبين، كانت تقوم بعبادة الله بنفسها وبأهل بيتها، حيث إنهم كانوا حسب ما وصفهم القرآن الكريم ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1]. حين كانوا ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]. والغاية على لسانهم وفي قلوبهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُوراً﴾[3]. هي في كل ذلك صفحة من حياتها وركعة من صلاتها، كما وكانت تمضي ليلة الجمعة في محرابها راكعة ساجدة حتى الصباح تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم بأسمائهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها ويقول الإمام الحسين بن علي سلام الله عليهما: «رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء»[4].

أما في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك لا تنام الليل وتحرض جميع من في بيتها على إحياء الليل بالعبادة والدعاء، حتى تورمت قدميها لكثرة وقوفها بين يدي ربها خاشعة ومتهجدة، تقدم أروع صورة للمرأة العابدة الخاشعة المطمئنة لرحمة الله.

---

(١) سورة الإنسان/ الآية ٨.
(٢) سورة الحشر/ الآية ٩.
(٣) سورة الإنسان/ الآية ٩.
(٤) م.س.، «فاطمة وتر في غمد»، ص٣٠.

٥. فاطمة عليها السلام والعلم:

فاطمة عليها السلام دليل العلم والمعرفة، فهي لا تكتفي بما هيأ لها بيت الوحي من المعارف والثقافات على كثرتها، ولا تقتصر على الاستشارة العلمية التي كانت تهيئ لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كل جانب، فكانت تكدح في طلب العلم ولا توفر جهداً في سبيل كسب هذا الشرف. ففي لقاءاتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله أبيها، ومع الإمام علي عليه السلام زوجها وباب مدينة العلم، تحاول امتصاص العلوم والمعارف بكل وسيلة وبمختلف الأسباب والطرق. وكانت ترسل ولديها «الحسن» و«الحسين» عليهما السلام إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وآله منذ طفولتهما، ومن ثم تحاول استنطاقهما بعد العودة إليها عما يجري من سؤال وجواب ووحي هناك، وقد قدمت الزهراء عليها السلام جهداً متواصلاً في طلب العلم رغم الأوقات والطاقات التي كانت تبذلها في سبيل أداء واجباتها البيتية، ومسؤولياتها العامة، هذا الجهد جعلها من كبريات رواة الحديث، وحملة السُّنة المطهرة، وقد أورثت أبناءها الأئمة المعصومين عليهم السلام كتاباً كبيراً لها، يُعرف باسم مصحف «فاطمة عليها السلام»، ينقلون عنه كثيراً ويتحدثون عليه باعتزاز(١).

ب. جهاد فاطمة:

قدمت الزهراء عليها السلام نماذج صادقة عن جهادها في بيت أبيها، وفي بيتها، وفي مواقفها تجاه الأحداث العامة، وحتى في وصيتها، حيث جعلت من سرير دفنها وإخفاء قبرها سندين لاعتراضها على الوضع العام.

(١) م.س.، مقدمة «فاطمة الزهراء وتر في غمد»، ص٣٢.

كما انها شاركت في مقدمة النساء المسلمات في الحروب التي خاضها المسلمون دفاعاً عن عقيدتهم، وصيانة كرامتهم وحريتهم، وقامت بدورها، الدور الذي كان على المرأة المجاهدة في ذلك العصر من تحضير وسائل الحياة كافة في الحرب إلى جانب تمريض الجرحى وتضميد جراحهم[١].

و«لفاطمة عليها السلام» دور بارز وشاق في نصرة الحق، والدفاع عن وصية الرسول ﷺ، حينما كانت تقوم بزيارات سرية إلى أصحاب الرسول ﷺ تشجعهم على الوقوف بجانب «علي بن ابي طالب عليه السلام»، وقد أرّخ المؤرخون أنها وقفت بشكل لا مثيل له إلى جانب زوجها «علي عليه السلام» في أحرج أيام حياته، للتأكيد على أن الجبهة الداخلية في حياة «علي» صامدة لا تشعر بالضعف ولكنها كانت تترك تقدير الظروف وانتخاب المواقف لقائدها وزوجها الإمام «علي عليه السلام» يقرر ويصمم ويأمر فيطاع.

كما أن سيرتها تفصح عن مدى تقدير «فاطمة» للجهاد والشهادة وتعبر بوضوح عن حياتها العملية التي تبدأ بالجهاد وتستند عليه وعلى التضحية إلى درجة الاستشهاد.

ج. خطبة فاطمة عليها السلام:

ألقت السيدة «الزهراء عليها السلام» خطبة شهيرة بعد وفاة رسول الله ﷺ وبحضور كبار أصحابه في المسجد وهذه الخطبة قال عنها الإمام الصّدر «بأنها تقدم صورة رائعة عن عمق تفكيرها الإسلامي، واتساع ثقافتها، وقوة

(١) م.س.، مقدمة «فاطمة الزهراء وتر في غمد»، ص٤٣.

منطقها، ورفعة أدبها، بالإضافة إلى أن الخطبة في حد ذاتها صوت الحق، والجهر به، وهذا جهاد أكبر»[1]

خطبة «فاطمة عليها السلام»، هي مطالبة وإصرار واحتجاج شديد على اغتصاب إرثها «فدك»[2]، هذه المطالبة لم تكن لأمر مادي، بل احتجاج بصورة علنية على سياسة العزل والإفقار التي استعملت تجاه زوجها، وخليفة رسول الله، وولي أمر المسلمين «علي بن أبي طالب عليه السلام»، وسجلت من خلالها إدانة أمام الرأي العام والتاريخ صيانة للحق الصريح حتى لو كان الانحراف صادراً عن كبير المسؤولين في الدولة[3].

كما أنها تضمّن شرحاً للدين يمكن للإنسان الاستفادة منها في شرح أسباب الواجبات والأحكام ونتائجها. وقد أعطى الإمام الصدر مثالاً على ذلك في شرحه لما جاء فيها: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك»، معتبراً أن هذه الكلمة المختصرة، البسيطة فيها من العمق والمعاني الكثير الكثير، أن الإنسان لكي يعمل في حياته، يكون طاقة كبرى، يجب أن يكون متجهاً نحو اتجاه واحد، مندفعاً بدافع واحد، يجب أن يكون بفعل الإيمان متجهاً بكل طاقاته نحو رضى الله، وخدمة الله في خلقه، ويكون بذلك قد أعطى في حياته الشيء الكثير، إلى جانب ذلك يمكن الأخذ منها مفهوم العبادات، ونتائجها. فالصلاة التي فرضت على المؤمنين، فرضت لكي يتعودوا، ويتدربوا، ويفهموا عبادة الله، وأن كل عبادة وكل واجب له

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١، ص٤٤٥.

(٢) راجع «فدك في التاريخ»، الشهيد محمد باقر الصّدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ط.، د.ت.

(٣) م.س.، موسوعة الإمام الصّدر، ج١، ص٤٤٩.

أسباب ونتائج، هذه الخطبة التي أطلقتها «فاطمة» في المسجد، وبمحضر من المصلين، كانت شهادة حق، تريد بها استرجاع الحق، بإعلاء صوت الحق. كانت تقول لهم هذه الصلاة والعبادات التي فرضت عليكم يجب أن لا تتحول إلى طقوس وعبادات وشكليات، بل هذه العبادات لكي تنهاكم عن الفحشاء والمنكر، وأن لا تنكروا الحق وتغتصبوه. إنكم لا تدركون نص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا الخطاب الحازم الذي أرادت من خلاله تصويب أمر الأمة ومنع الانحراف حجة عليهم، أنه كيف يصلون ويغتصبون الحق. «فاطمة عليها السلام» تنظر إلى الأمة وترى أنهم يصلون ولكن لم يسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله في «علي بن أبي طالب عليه السلام»؟! ألم يسمعوا أن الشيطان هو الساكت عن الحق؟!.

ويكمل الإمام الصّدر ان «فاطمة» تريد أن تعدل، وتقول: يا جماعة، صحيح أن الله أمر بالصلاة ولكن أمر بها لا حاجة منه إليها بل تربية لكم، وتقوية لوضعكم، وأنتم لا تستفيدون، سكتّم أمام الحق المضطهد خوفاً وطمعاً!!»[1]. لذا أرادت «فاطمة عليها السلام» أن تكون الخطبة موجهة إلى الإنسان في كل عصر وفي كل زمان، إنك أيها الإنسان لا تعبد الله، ولا تصلي، وتترك الحق يضيع، والكرامة تهدر، عليك من خلال عبادتك أن تشعر أنك متصل بملك الملوك، ورب الأرباب، وخالق السماوات والأرض، عليك ان لا تخاف، عليك أن تنتبه أنك مع الله، عليك أن تشعر بقوة جديدة، وراحة جديدة، وسيطرة جديدة، وفي الوقت نفسه عليك أن تشعر بالتواضع وعدم الغرور، لا القوة والغرور، ولا التواضع والذل والاستكانة، بل أن تشعر بالقوة والتواضع في الوقت نفسه.

(١) م.س.، فاطمة والصلاة، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص ١٩٢.

فغايتها أن يتتبه المسلمون إلى أنهم عندما يكونون مع الله، عندما يعبدون الله، يمتلكون القوة والمهابة والكرامة، لكن في الوقت نفسه عليهم أن يعيشوا التواضع والشعور بالعبودية. ومن هذه العبودية لله، يستمدون السيادة والمجد، «لأن عبادة الله، الذي يجمع صفات الكمال وعبادته تقربنا إليه، وعبادته علمنا وعدلنا وفضلنا وسمونا مع كل صلاة، فاطمة تريد أن تقول أن العبادة بمفهومها الحقيقي هي فبركة لصناعة الإنسان الكامل، فهل هي كذلك بالنسبة إلينا؟!»[1].

حاولت الزهراء عليها السلام أن تذكر الناس بالقرآن الكريم أنه بقيه استخلفها الله عليهم، وان الثقل الثاني، والذين هم العترة الطاهرة، هم أهل البيت، هم أولو الأمر الذين أوجب الله إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أولي الأمر منكم»، فتركت بذلك الأثر الكبير، وكانت نتيجة فعل كلمتها ثورة ما زال صداها إلى اليوم مؤكدة من خلالها أن وصية النبي صلى الله عليه وآله لم تُحصر في أذن «علي عليه السلام» وحده، ولم تستمر في خاطرها وحدها، إنها انتقلت إلى الرأي العام، وبقيت خطبتها شاهدة على الثورة التي اندفعت بها إلى الأمام تصون بها رسالة الإسلام عن الإنحراف، ومنها يتعلم الإنسان كيفية السير والسلوك للوصول إلى مرضاة الخالق عز وجل، منها يفهم الإنسان معنى التوحيد، لأنها هي التي قدمت إلى الأجيال مثالاً لأبهى صور العمل والشهادة، مثال الشقاء في سبيل الله، مثال التحرر من كل ظلم وعبودية، وكيفية أن يكون الإنسان حراً داعي صدق ووفاء وعبوديته خالصة لله سبحانه وتعالى[2].

---

(١) م.س.، فاطمة والصلاة، موسوعة الإمام الصّدر، ج١١، ص ١٩٢.
(٢) م.ن.، ج٤، ص ٢٨٠.

انطلاقاً من سيرتها العطرة قدم الإمام الصدر «فاطمة الزهراء ﷺ» دليلاً واضحاً على أن الرسالة الإسلامية لا يوجد فيها منطق الجاهلية، فإن للإنسان ما سعى، دون اعتبار لجنس أو عرق أو لون، دون اعتبار الذكورة أو الأنوثة، دون اعتبار الألقاب والوراثة. العمل وحده لله هو قيمة الإنسان الكامل خليفة الله على أرضه، ولم ينته النموذج عند الإمام الصّدر، عند الزهراء فمن حضن «فاطمة ﷺ» نشأت سيدة الإعلام، سيدة الحقيقة ورفض الظلم «زينب ﷺ» وحفيدة خديجة زوج الرسول ﷺ، هي «زينب» التي تأدبت بأدب أمها «فاطمة ﷺ»، فكانت الابنة التي قامت بدور مصيري في إنجاح معركة أخيها «الحسين ﷺ»، سيد الشهداء، لإعادة روح الإسلام إلى الأمة، وللقضاء على الظلم والاستعباد والانحراف، ومواقف «زينب ﷺ» وخطبها وشعاراتها وجهادها وعلمها صورة حية عن أمها الزهراء ﷺ، الكوثر العظيم الذي أعطاه الله القدير لنبيه خاتم الأنبياء والمرسلين «محمد ﷺ».

ثانياً ـ زينب الحوراء الرائدة:

أ. من سيرة زينب ﷺ:

«زينب ﷺ» ابنة أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب ﷺ» وابنة «فاطمة الزهراء ﷺ» سيدة نساء العالمين، وثالث إخوتها بعد «الحسن» و«الحسين» ﷺ. وحين وفاة جدها رسول الله ﷺ كان عمرها خمس سنوات، والمشهور أنها ولدت في الخامس من جمادى الأول عام ستة للهجرة في المدينة المنورة. وبولادة هذه الزهرة من آل «طه» قرّت عينا والديها وأفاضت على بيت النبوة والولاية والعصمة جمالاً وورونقاً وبهاءً.

وكان مقام «زينب عليها السلام» من العلو والرفعة بحيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله نبئ بتسميتها من قبل الله عز وجل، كما كانت فخراً لأبيها «علي» وأهل بيته عليهم السلام، هي ابنة فاطمة عليها السلام التي محت وأزالت كل شائبة وغبار صنعته أيدي أعداء الله وأعداء رسوله ووليه، فكانت بعلمها وعملها وسيرتها زينة وفخراً لأبيها، هي «زينب عليها السلام» التي حوت على صفات الكمال والجمال كافة، وباسمها الملكوتي حازت على مقام معنوي عالٍ.

هي «زينب عليها السلام» الأنثى الإنسان، التي كانت في وقارها وعظمة شخصيتها كجدتها «خديجة عليها السلام»، وفي حيائها وعفتها كأمها الزهراء عليها السلام، وفي بلاغتها وفصاحتها كأبيها «علي عليه السلام»، وفي حلمها وصبرها كأخيها «الحسن عليه السلام»، وفي شجاعتها ورباطة جأشها كأخيها «الحسين عليه السلام»، فكانت منذ طفولتها تتعلم في بيت الطهر والإيمان، كيف تتسلح بالإيمان والرضى بقضاء الله المحتوم، وأعدت لذلك كامل عدتها من صبر وشجاعة وشهامة، سيرة حياتها المشرقة تدل على أنها كانت منذ صغرها كل ذرة من ذرات وجودها المقدس تنطق بالوحدانية لله تعالى[1]. وكيف لا تكون على هذا المستوى الرفيع من العرفان والمعرفة واليقين بذات الله سبحانه وتعالى، وقد أحيطت بأنوار الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام، وفي كنف ورعاية جدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيها أمير المؤمنين سيد الموحدين عليه السلام، وفي حجر والدتها الصديقة الطاهرة «فاطمة الزهراء عليها السلام»، وفي جوار أخويها الإمامين السبطين «الحسن» و«الحسين» عليهما السلام.

(١) «زينب الكبرى عليها السلام بطلة الحرية»، أبو القاسم الديباجي، مؤسسة البلاغ للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ص٧.

١. زواج زينب عليها السلام:

حينما بلغت السيدة زينب عليها السلام سن البلوغ والزواج تقدم لخطبتها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل، لم تبدِ الموافقة لأبيها على أي من هؤلاء الخُطاب، ولكن عندما تقدم ابن عمها «عبدالله بن جعفر الطيار»، وجد عندها الإمام «علي عليه السلام»، الرضى والقبول، وتم الزواج على بركة الله ودعاء أمير المؤمنين عليه السلام لهما بالتوفيق والبركة، وكان «لعبدالله بن جعفر الطيار» زوج السيدة «زينب عليها السلام» مكانة خاصة وشخصية مميزة بين أطفال وشباب المدينة، كما حظيٌ بعناية عناية رسول الله صلى الله عليه وآله بعد استشهاد والده هو وأخويه، يعتبر عبدالله من شيعة أهل البيت المخلصين، له مواقف كثيرة وشجاعة في دفاعه عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن أحقية خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد وافق على مرافقة زوجته «زينب عليها السلام» أخاها «الحسين عليه السلام» في رحلته إلى الكوفة، وأمر ابنيه «عوناً» و«محمداً» بلزوم خالهما والمسير معه والجهاد دونه، فكانا من الشهداء بين يدي أبي عبدالله الحسين عليه السلام في واقعة الطف في كربلاء[1].

٢. أولاد زينب عليها السلام:

ذُكِر أنه كان للسيدة زينب عليها السلام أربعة بنين وابنة واحدة هم: علي، عون الأكبر، محمد، عباس وأم كلثوم، فمارست دور الأم المثالية في تربية أولادها، تربية صالحة قائمة على أسس تربوية وأخلاقية متينة. و«زينب عليها السلام» كأمها «فاطمة الزهراء عليها السلام»، أولت هذا الأمر اهتماماً

(١) زينب الكبرى عليها السلام، عن أعيان الشيعة، ج٤، ص١٢٤.

كبيراً، وأنشأت أولادها ليكونوا نماذج طيبة في الإيمان والتضحية والفداء وذوي نفوس عالية المهام، حتى نال بعضهم الشهادة بين يدي الإمام «الحسين عليه السلام»[1].

٣. علم زينب عليها السلام:

تاريخ وسيرة زينب عليها السلام، تدل على مراتبها الخاصة في العلوم الدينية، وقد وصلت إلى مرحلة أصبح وجودها يفيض علماً وكمالاً، ذلك العلم الذي وصفه القرآن الكريم بالعلم الكوني الذي يختص بأوليائه حيث يقول: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[2]، برز علمها منذ نعومة أظفارها وكانت في السادسة من عمرها حين حفظت الخطبة الغراء التي خطبتها أمها «فاطمة الزهراء عليها السلام» في مسجد النبي صلى الله عليه وآله مطالبة بحقها وحق الرسالة الإسلامية في ولاية أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب عليه السلام»، فكانت مرجعاً لكثير من الرواة في نقل هذه الخطبة عبر الأجيال المتتالية، وكما روت عن أمها الزهراء عليها السلام، فقد روت أيضاً عن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وعن أخويها الحسنين عليهما السلام[3].

وقد ضربت زينب عليها السلام في خطبتها في الكوفة والشام أروع معاني البلاغة والفصاحة والبيان والاستدلال بالآيات المباركة من القرآن الكريم. حتى قال لها الإمام «علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام»: «يا عمة، أنتِ بحمد الله عالمة غير معلَّمة وفهمة غير مفهَّمة». وأرخ «الزينب عليها السلام» أنها

---

(١) م.س.، زينب عليها السلام بطلة الحرية، ص١٥.
(٢) سورة الكهف/ الآية٦٥.
(٣) م.س.، زينب الكبرى، ص٣٥.

عقدت مجالس لتدريس النساء، بعد مطالبة نساء الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام أن تدرسهن «زينب عليها السلام» لما وجدوا عندها من كمالات علمية وعملية كأمها الزهراء عليها السلام في تفسير القرآن وإدراكها جوهره وعلومه، وقد بلغت عليها السلام مبلغاً عظيماً في التقوى والفضل وطاعة الله عز وجل، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وجسدت أسمى وأبلغ آيات الطاعة والزهد والسخاء والصبر ورباطة الجأش عند المصائب والبلايا يوم عاشوراء، عندما جاهدت بنفسها بين يدي «الحسين عليه السلام» وامتثلت لأمره طائعة، فكانت مثالاً للمرأة المسلمة المؤمنة المجاهدة في سبيل الله.

ب. جهاد زينب كما قدمه الإمام الصّدر:

أخذ الإمام الصّدر من سيرتها العطرة ومواقفها العظيمة الجليلة نموذجاً للمرأة المسلمة، تأكيداً منه أن الإسلام احترم جهاد المرأة وحركتها الرسالية، ولم يمنعها من أن تقف مع الحق وتدافع عنه، وتكون جديرة بأن تصل إلى أن تؤدي دور خلافة الله في أرضه، وان المرأة يمكن لها أن تصل إلى درجة التكامل مع الحقيقة الإنسانية.

معتبراً أن «دور «زينب عليها السلام» البطولي يجعل الإنسان ـ كل إنسان ـ يحترم ويعظم هذه المرأة التي يعجز عن مماثلتها كبار الرجال وعظماء الأبطال، وأن يقف المجتمع أمام هذه التجربة الرائعة والدرس المعبر والموجه، بأنه كما يمكن للرجل أن يكون «الحسين عليه السلام»، فالمرأة المسلمة يمكن لها أن تكون «زينب عليها السلام»، وإذا كان «الحسين عليه السلام» نموذجاً للأبطال وغاية لسير الرجال، فـ«زينب عليها السلام» أيضاً هي نموذج

للنساء، وكما الرجل المسلم يتمكن من أن يكون بطلاً ومجاهداً، المرأة المسلمة أيضاً تتمكن أن تكون بطلة ومجاهدة، ولكن كل ما في الأمر أن هذا وذاك بحاجة إلى الإيمان وإلى القوة التي كانت عند «الحسين عليه السلام»، وعند «زينب عليها السلام»، وبحاجة إلى أن يشعروا بأنهم بقرب الله حتى لا يخافوا ولا يحزنوا»[1]. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

وانطلاقاً من واقعة كربلاء دعا الإمام الصدر الإنسان المؤمن أن يقف أمام هذه الواقعة، والإنتباه إلى كل كلمة من كلمات «الحسين عليه السلام»، فهو حينما خرج وقال: «لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ما استطعت، أريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وهو بهذه الكلمات اختصر مهمته، وغاية خروجه، واستشهاده وفي هذه الكلمات اتضحت الحقيقة والغاية النبيلة لمهمة «الحسين عليه السلام»، فهي حركة الإصلاح التي أرادها بالكلمة الطيبة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، هي ثورة الحق التي بدأها حتى نال الشهادة، وأتمت المسار والطريق، وسارت على دربه أخته الحوراء «زينب» دون أن تحيد عنه حاملة إرث جدها وأمها وأبيها وأخويها، إرث الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يثنها عن ذلك أنها امرأة، بل كان جلّ أمرها تحقيق أهداف «الحسين عليه السلام»، والوصول إلى رضى الله سبحانه وتعالى، ونصرة الحق والوقوف معه.

---

(١) محاضرة الدور الزينبي، محفوظات حركة أمل، تسجيل صوتي؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص٢١٧.

(٢) سورة يونس/ الآية ٦٢.

اعتبر الإمام الصدر أن «زينب عليها السلام» بعملها جسدت ماهية المرأة المسلمة الكاملة، وأرخت بعلمها وثقافتها وعبادتها وجهادها، تاريخاً جديداً مختلفاً للمرأة عما كان سائداً في عصور الجهل والانحطاط، وقد رسمت كأمها الزهراء عليها السلام طريق النجاة والخلاص، ومن سيرتهما العطرة تعلمت النسوة، وكنّ أعلاماً ومنارة للعالم الإسلامي وللبشرية جمعاء، فعلى دربهما سارت نساء الأمة الإسلامية وسجلن لأنفسهن موقعاً مشرفاً في تاريخ الإنسانية.

فزينب عليها السلام قبلت المهمة والدور الذي أراده الله لها، الدور الذي صرح عنه سيد الشهداء الإمام «الحسين عليه السلام»، حين سئل عن اصطحابه النساء حين قال: «شاء الله أن يراهنّ سبايا». فهي مشيئة الله التي كانت في جهاد «زينب عليها السلام» في سبي «زينب عليها السلام»، والنسوة اللواتي قُمنّ بالدور المطلوب منهن.

وهذا الدور الذي حملته «زينب عليها السلام» ورفيقات الدرب هو أسمى الأدوار بعد شهادة «الحسين» وأهل بيته وأصحابه، هو دور كشف النقاب عن هذه الواقعة الغريبة في تاريخ الإسلام، هن أردن أن تكون رسالتهن كشف النقاب عن هذه الواقعة أمام العالم كله، فصارت «زينب عليها السلام» القدوة والقائدة الرائدة، ومشينا وراءها. هي مهدت ووجهت ودعت النسوة أن يرفعن صوت الحق في وجه السلطان الجائر مهما علا شأنه ومهما ملك من قوة. هذه الدعوة التي وجهتها «زينب عليها السلام»، وحملت رايتها قامت بها راضية مرضية، قانعة بمشيئة الله، هي أدت بذلك الدور الإعلامي الكبير في إخبار العالم الإسلامي كله عن النوايا الحقيقية لبني أمية، هي التي كشفت وساهمت في كشف قناع الزيف والخداع الذي أرتداه بني

أمية، والذي أرادوا به طمس حقيقة واقعة كربلاء ومأساة كربلاء، وحقيقة ثورة «الحسين عليه السلام»[1].

١ . الدور الزينبي خلال واقعة كربلاء:

لقد اعتبر الإمام الصدر أن المصاب بعد الوقوع أكثر تأثيراً من إحساس الإنسان بالمصيبة قبل وقوعها، ثم إن نتائج المعركة والتضحية تبدو عادة بعد انتهاء المعركة، فذكر ان الإمام «الحسين عليه السلام» استشهد يوم عاشوراء، واستشهد معه من الرجال والشباب وقسم من الأطفال الصغار، ولم يبق حسب ما أوردت التواريخ في الخيام وبين أهل بيت «الحسين عليه السلام» أحد إلا شخصان، الشخص الأول هو «علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام» العليل، وكان يخيل إلى الناس أنه في حالة الاحتضار، ولهذا تم تركه اعتماداً على أنه لن يلبث أياماً إلا ويموت من دون حاجة إلى القتل. وشاب ثانٍ نجا من المعركة بأعجوبة وهو «الحسن» المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام الذي وجد بين أجساد الشهداء والأموات حياً، فتم علاجه وبقي في الخيام وبين الأسرى، وما عدا هذين الشابين لم يبق باقية لأهل بيت «الحسين عليه السلام» سوى النساء الثاكلات على أولادهن وأزواجهن وإخوانهن. وهنا بدأ دور «زينب عليها السلام» التي كان على عاتقها أن تقوم بالدور الرئيسي في إنجاز مهمة «الحسين عليه السلام»، «زينب عليها السلام» التي عليها أن تؤدي أدواراً صعبة لا يمكن لإنسان أن يتحمل مشاقها. فهي في عاشوراء أصيبت بما أصيب به الإمام «الحسين عليه السلام» من مصائب وأحزان: ثم إنها أصيبت باستشهاد أخيها «الحسين عليه السلام» وأهل بيته

(١) م.س.، الدور الزينبي، ص٢١٩.

وأصحابه ومن ضمنهم أولادها الذين كانوا برفقة «الحسين عليه السلام»، ومع كل هذه المصائب والأحزان كانت على «زينب عليها السلام» مهمات جمة. وهذا الأمر قد مهدً له الإمام الحسين عليه السلام قبل استشهاده بتحضير «زينب عليها السلام» بالذات وبقية النسوة بشكل عام، حضرهنَّ لمجابهة الأحزان والمصائب كي لا يظهر عليهن أبداً أثر من آثار العجز والضعف، الندب والنحيب والنداء بالويل والثبور[١].

فكان دور «زينب عليها السلام» أن تكمل ما بدأه الإمام «الحسين عليه السلام»، وكيف هو أثر الإيمان، وما معنى العز والجهاد. فكانت كأخيها «الحسين» تقف موقف القوة واللامبالاة بالموت والجرح والعطش، هذه المواقف بحد ذاتها بارزة عند «زينب عليها السلام» والنساء، وذلك في شؤون هذه الأيام ومصائبها كلها، وكانت واضحة عندما أخرجت النساء سبايا ومرّ بهن أمام أجساد الشهداء، كي يندبن ويبكين ويحزنّ، أرادوا بهذا الأمر التشفي وإظهار العجز الذي لحق بهن، كل هذا و«زينب عليها السلام» في المقدمة والنسوة يسرن خلفها، والأعداء ينظرون إلى «زينب عليها السلام» ما هو فعلها أمام الشهداء، فقد وصلت إلى جسد سيد الشهداء الإمام «الحسين عليه السلام» المقطع، المغطى بالسهام والسيوف والرماح والحجارة، جاءت وقفت عنده ونفضت الحجارة، وأزاحت الرماح والسيوف، ثم رفعت جسده الطاهر بكلتا يديها وقالت: «**اللهم تقبل منا هذا القربان**». هذا الموقف العظيم «لزينب عليها السلام» جسدت من خلاله أسمى معاني البطولة، فالحسين عليه السلام هو كل شيء بالنسبة إليها. وأمام هول ما رأت، وعظيم ما حصل، تراها أمام هذا الموقف تقوم بما يعجز عنه الرجال والأبطال

(١) م.س.، الدور الزينبي، ص٢٢١.

والجبال، أما هي فأبداً لم تعجز ولم تهن ولم تضعف وما يؤكد ذلك قولها: «اللهم تقبل منا هذا القربان». أرادت «زينب عليها السلام» أن تعلن للعالم، وللتاريخ، وللأجيال، أن موقفنا هذا كان بملء إرادتنا، لم يفرض علينا أحد، نحن قدمنا «الحسين عليه السلام» ومن معه قرباناً لأجل دين الله، ونطلب من الله أن يتقبل هذا الدور، وغير ذلك ليس مهماً أبداً.

هذا الموقف منها تجاه سيد الشهداء وأخيها، كان الخط الذي رسمته لباقي النسوة، لكي يعرفن تكليفهن تجاه شهدائهن، فهي قدوة لهن، وهي مرجع، فقد قدمت رسالة من خلال ما قامت به مشيرة إلى أنه ليس أوان النحيب والبكاء وإظهار العجز أبداً، «فالحسين عليه السلام» ومن معه لن يرضوا بأن نكون ناحبات باكيات منهكات وجزعات، بل هم يريدون منا أن نكون كما نحن الآن أهل صلابة وعزيمة حسينية، هذه رسالة أرادتها زينب عليها السلام أن تكون خالدة تجسد فيها أسمى معاني القوة والصلابة والإيمان، هي رسالة للعالم كله، إعلام للأجيال، بأننا جئنا هنا وكنا نعرف ماذا سيجري علينا، أردناها ومشيناها وسعينا إلى هذه الموقف بكل ارتياح، ونحن نطلب من الله أن يتقبل منا جهادنا في سبيله. وإذا أرادت المعركة المزيد من هذه الضحايا فنحن مستعدون أن نقدم[1]، هذا الموقف الذي وقفته أرادته مدرسة تعلم الأجيال والمجتمعات كيف يكون طريق العزّ والكرامة الذي بدأه الإمام الحسين عليه السلام، وهي أكملت المسير وأتمت مهمته في إبراز المعركة بمظهرها الحقيقي، مظهر الكرامة والعز والعنفوان، مظهر الإيمان كله في وجه الشرك كله.

وقد كان هذا الشرح الذي أفاض به الإمام الصّدر تعبيراً عن رأيه

---

(١) م.س.، الدور الزينبي، ص.ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

الواضح والصريح برفض ما يُقرأ وما ينقل وما يكتب من مظاهر العجز والويل والندب والنحيب عند الإمام «الحسين عليه السلام»، أو عند آل «الحسين عليه السلام»، أو عند نساء «الحسين عليه السلام»، وتأكيداً منه أن الإمام الحسين أبداً لم يظهر عليه أي أثر من آثار الضعف، لا عليه ولا على جماعته ولا على نسائه، وهذه المهمة أداها أمام أصحابه بقوة وعزم وإيمان، وأدت «زينب عليها السلام» دورها ومهمتها كما أرادها أخوها أن تكون أمام نسائه وأمام العالم أجمع قائدة وقدوة تملك قوته وعزمه وإيمانه.

٢. زينب عليها السلام الصوت الإعلامي في معركة كربلاء:

مواقف زينب عليها السلام جليلة وعظيمة، وقد أرادها الإمام الصّدر دروساً وعبراً لكل امرأة عبر التاريخ ولكل إنسان رجلاً كان أم امرأة، إن لا يهن ولا يحزن وأن يقتدي «بزينب عليها السلام» أمام المصائب والأهوال التي احتسبت وتوكلت على الله سبحانه وتعالى في مصائبها وأحزانها، فقدمت نموذجاً لا مثيل له عن إرادتها ومواقفها أمام نساء «الحسين عليه السلام»، وبين أيدي الجلادين والقتلة الأعداء الذين أرادوا أن يظهروهن بمظهر الضعف والوهن، ولكنها قلبت الأمور، وكرّست الحق، وأحبطت مؤامراتهم، فها هي «زينب عليها السلام» أمامها دور آخر عجز عنه حتى الرجال في ذلك الوقت الذين وقفوا موقف المتفرج على ما حصل لأهل بيت النبوة، وشاركوا في سكوتهم وخوفهم في قتل الحسين عليه السلام، أمامها دور كبير بإيقاظ الناس، ومنهم النسوة اللواتي شاركن في قتل «الحسين عليه السلام» واللواتي كانت مشاركتهن لا تقل عن شراكة الرجل، وقد اعتبر الإمام الصدر ان المرأة الأم والأخت، أو الزوجة، التي كانت في الكوفة، أو في الطريق، ووجدت أو سمعت أن «الحسين عليه السلام» خرج، ثم فتحت الباب وقالت

لابنها أو لأخيها أو لزوجها، ادخل إلى البيت حتى لا تقع في الفتنة ـ فالفتنة آتية عليك أن تحذر ـ هذه المرأة شريكة في قتل «الحسين عليه السلام»، أمام هؤلاء جميعاً رجالاً ونساءً، أدت «زينب» دوراً مهماً من أهم الأدوار في حياتها الجليلة والعظيمة، هذا الدور هو الكشف والقضاء على مؤامرة بني أمية، لأنهم أرادوا أمام هؤلاء الناس إخفاء حقيقة ما جرى، وأن ما حصل هو وأد للفتنة، كانوا يريدون أن يقتلوا «الحسين عليه السلام» دون أن يفهم أحد، أرادوا أن يطمسوا الحقيقة في رمال الصحراء، فهم أوقفوه في وسط الصحراء، وأبعدوه عن الكوفة، وعن جميع عواصم المسلمين حتى يقتل ولا يعرف أحد، هذه كانت خطتهم ولهذا قتلوا الرجال جميعاً، وقالوا عندما وجدوا «علياً بن الحسين عليه السلام» وكان حينها مريضاً: «اقتلوا هذا ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقية». تلك كانت محاولاتهم وكانوا يقولون أنه إذا مات في الصحراء والرمال، تأتي العواصف وتجرف الرمال وتغطي هذه الأجساد ولا يعرف أحد، ثم يزينون الأمور عند الشعب وعند الناس وعند الأمة، ويقولون قتلنا الخوارج(*).

لهذا إن الدعاية، واستعمال الإخفاء وإبعاد المعركة عن العواصم كانت نقاطاً أساسية لإخفاء قتل «الحسين عليه السلام» والانتهاء من كل شيء، ولكن من الذي أحبط تلك المؤامرات؟! من الذي أفشل مخطط بني أمية؟! يقول الإمام الصّدر أن هذه المؤامرات والمخططات التي أرادها بنو أمية لطمس الحقيقة وتزييف الواقع تصدت لها «زينب عليها السلام»، تلك المرأة المؤمنة، الشجاعة، الواثقة من رسالتها، المؤمنة بالقضية، تصدت

(*) الخوارج، كان لهم أسوأ الأثر في نفوس الناس، وفي نفوس الشعب، باعتبار أنهم وسيلة للفوضى وتمزيق الأمة وخلق الفتن بين الناس.

لمؤامرتهم وأدت الأمانة بإيمان وإخلاص، رفعت الصوت الإعلامي الذي فيه من بلاغة القول وفصاحة اللسان كوالدها أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب عليه السلام»، فهي بعد وقوع الواقعة نقلت الواقعة حرفياً إلى الناس، وفي أوساط العواصم الإسلامية في الكوفة، وفي الطريق، وفي الشام، وفي كل مكان، ترفع صوت «علي عليه السلام» والدها، وأهل الكوفة يعرفون «علياً» وصوت «علي»، صوت الحق الذي كانوا يأنسون به، وعندما يسألون من هذه؟! أجابوهم «خارجية»، وعندما يسألونها كانت تفرغ رسالتها وتتكلم فيهم. عندما عرفوا وانتبهوا أن أولادهم بعثوهم حتى ينتصروا وينصروا دين الله هكذا قالوا لهم، هكذا أخبروهم!! فإذا بهم قد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته!! عندها بانت الحقيقة فهدأت الأنفاس، وهدأت الأجراس، وبدأ الناس بالبكاء والنحيب، وانكشفت العملية أمام جميع أهل الكوفة بأن القضية هي قضية قتل «الحسين عليه السلام» وما جرى، وكيف جرى، وتفاصيل الاعتداء، وتفاصيل الوضع، تبينت للناس بشكل واضح وصريح، وهكذا بقيت «زينب عليها السلام» تتنقل من بلد إلى بلد، فطريق الأسرى كانت عامرة بالناس، وفي كل بلد يدخلونها، المشهد نفسه يتكرر، «زينب عليها السلام» تتكلم والناس يجتمعون ويسألون، ماذا حصل؟! من أنتم؟؟ وكيف صار الأمر؟.

واستمرت هذه العملية من الإنتشار إلى حين وصل موكب السبي والأسر إلى الشام، وهناك كانت وقفة «زينب عليها السلام» التاريخية، هناك كانت خطبة المرأة الحسينية الزينبية التي كشفت كل شيء وبينت كل شيء، واستطاعت في وقفتها هذه وكشفها للأمور تبيان زيف دعواهم التي ترأسها «يزيد» وفي قصره، قلبت «زينب عليها السلام» الأمور، وكانت مدرسة الحق أمام السلطان الجائر.

٣ ـ السيدة زينب عليها السلام أمام يزيد الطاغية:

لقد اعتنى الإمام الصّدر إظهار مدى قدرة هذه السيدة الجليلة على إنجاز مهمة «الحسين»، على إتمام دوره، فهي كانت تنطلق وتحرك الناس، كانت تعكس العملية والقضية على الناس، واستطاعت خلال فترة وجيزة أن تكشف الحقيقة حتى أصبح العالم الإسلامي كله، أبناء الأمة كافة يعرفون أنهم مسؤولون عن تقصيرهم في نصرة الحق، في نصرة الإسلام، وأنهم مشاركون في قتل الإمام «الحسين عليه السلام»[(١)].

زينب، المرأة، القدوة، القائدة، أدت دور المحافظة على الكرامة، وعلى العز المتين بعد استشهاد «الحسين عليه السلام»، ومن ثم أنجزت مهمته فراحت تبلغ المأساة والمعركة التي حاول بنو أمية أن يجعلوها في الصحراء، فتنقلها إلى أوساط العالم الإسلامي. وفي قلب المصائب وقفت وقفة عز قلَّ نظيرها، وقفت أمام «يزيد» الطاغية، وفي قصره، وأمام حاشيته، دون أن تشعر بالمصائب، ودون أن يظهر عليها تعب الطريق، ومشقة الطريق، ودون خوف من الجيش المراقب، ولا من حكامهم وكبارهم وصغارهم، وكذلك دون الاعتناء بكل هذه المسائل النفسية والمسائل الجسدية، رغم مشقة السفر التي واجهتها في رحلة السبي في الصحراء وعلى الجمال، وما لها من آثار تنهك الجسم وتتلف القوى، ومع ذلك كانت «زينب عليها السلام» في المواقف كلها التي وقفتها تحسبها جالسة في البيت، تدرس وتراقب كل كلمة تلقيها، فلا تجد في الخطب كافة التي توجهت بها إلى جموع الناس كلمة بكاء ولا ويل ولا ثبور، ولا كلمة خارجة عن الاعتدال أبداً، تجدها رغم كل ذلك تبدأ كل خطبة

---

(١) م.س.، الدور الزينبي، ص٢٢٢.

بالحمد لله، والشكر لله، والثناء على الله، والمدح والصلاة على رسول الله ﷺ، وعلى آل بيته، بكل منطق وهدوء، ومن ثم تبدأ بإيضاح وشرح القضية بشكل موجز وقيم، وتحرك الناس وتجعلهم يندمون ويبكون ويندبون ويتأثرون مما جرى.

في مجلس «يزيد بن معاوية» ذاك الطاغية الذي خالف كل دين وشرع وإنسانية وشرف، كانت «زينب عليها السلام» قد بلغت القُمة في الحديث، فلم تبال أمام الملك الطاغية المنتصر المغرور وهي متعبة هشة الثياب، مسبية تحمل في ثناياها مأساتها وجزعها على أخيها ومن معه، قلب مجروح وعين دامعة تخفيها بين جنبات روحها، وجسد منهك، الآن لا وقت للأحزان، الآن دورها الأسمى، دورها الجهادي وإن لم يكن بالسلاح، بل بالكلمة، مأساة «زينب عليها السلام» ومن معها ـ رغم المصاب ـ تركتها جانباً، والآن عليها أن تقف وقفة عز أمام صفحات التاريخ التي لا ترحم الضعفاء، بالرغم من المصاب وبالرغم من وسائل القوة جميعها التي يمتلكها يزيد، كانت قوية وصلبة وثابتة وحازمة، عزم «زينب عليها السلام» يفتقده يزيد، فهي متسلحة بسلاح لا يمكن «ليزيد» أن يملكه، سلاحها إيمانها بالله القدير، إيمانها بصدق دعوتها، وعدم إيمان «يزيد» هو الذي أضعفه أمامها وأبطل دعوته وأدحض مؤامرته. وأن المراقب لكلمات «زينب عليها السلام»، وكلمات «يزيد»، يجد أن زينب هي في أعلى عليين، تتكلم مع شخص في أسفل السافلين، هي تتكلم بأدب وبقوة وبحزم، والمراقب لخطبتها يندهش ولا يجد سبيلاً إلا أن يحترم ويكرم ويقف متواضعاً أمام هذه القوة[1].

---

(١) م.س.، الدور الزينبي، ص٢٢٤.

لقد اختصرت المعركة!! كيف حدثت؟! وكيف يقبل الله بأن يقتل «الحسين عليه السلام» وينتصر يزيد؟! هي بآية واحدة اختصرت كل ما في الأذهان والنفوس، بآية واحدة: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

وقد ارادت «زينب عليها السلام» من ذلك أن تقول «يا يزيد إن انتصارك انتصار مؤقت، انتصار حتى تنكشف أمام الناس، أعطاك الله المال وأملى لك، وأعطاك فرصة حتى تبين ما في قلبك وما في نيتك، حتى لا يكون لك عذر، ولا للناس حجة، ولا لأحد بحث على ما تقوّم به الله من عذابك، ومن خزيك في الدنيا والآخرة».

وفي قولها عليها السلام: «ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك». قال الإمام الصّدر «إن «زينب عليها السلام» قصدت بقولها: «أنه يا يزيد مخاطبتك ليست شيئاً طبيعياً بالنسبة إليّ، وإنما الدواهي والمصائب الكبرى تجعلني أتحدث معك، المصائب فرضت علي أن أقف أمامك وأتحدث معك، لكن هذا لا يمنع من أن أستحقر قدرك، وأستكبر تقريعك، وأستكثر توبيخك، وأنا لا أعتبرك أهلاً للكلام، ولست أهلاً للمخاطبة»، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوهه أكباد الأولياء ونبت لحمه من دماء الشهداء، قال الإمام الصّدر «كبيرة «زينب عليها السلام» أمام «يزيد»، فهي تقول له أنت الذي تجرأت على أذية آل محمد صلى الله عليه وآله، فلا يرتجى الخير منك، هذا واقعك، هذه طبيعتك، أنت ابن من نبت لحمها من دم الشهداء، ولفظ فاها أكباد الأولياء»[2]. وقد حملت خطبتها ومواقفها معاني وعبراً لا

(١) سورة آل عمران/ الآية ١٧٨.
(٢) م.س.، الدور الزينبي، ص٢٢٤.

تسعها الكلمات ولا تفي بشرحها. فقد أخرست كل من في المجلس، وطأطأت أمامها رؤوس رجال ونساء، فكانت المرأة الإنسان، المرأة المسلمة التي اختزنت تعاليم جدها رسول الله ﷺ، وأبيها «علي بن أبي طالب عليه السلام»، وأمها «فاطمة الزهراء عليها السلام»، وأخوتها عليهم السلام، وقد أرَّخ لها المؤرخون مواقف ما زالت الأبحاث تدرس مواقفها وأدوارها، وتعلم الأجيال نساءً ورجالاً وكباراً وصغاراً. كيف عليه أن يكون عند المواقف الصعبة والمصائب الكبرى وان يكن موقف العز والكرامة والكبرياء، وأن يتسلح بالإيمان والثقة بالله، وأن يسلم أمره إلى الله سبحانه وتعالى، ويخلص له العبودية.

هكذا يريد الإسلام نساءً من نوع «زينب عليها السلام»، عند الشدائد والمواقف لا نساءً ناحبات باكيات يقبعن في البيوت خوفاً ورعباً أمام السلاطين الجائرة، يريد الإسلام نساءً يبتعدن عن ظلم الناس في حياتهن وأعراضهن ودينهن، وأن لا يشتركن في السكوت عن الحق، وأن لا يشتركن في قتل «الحسين عليه السلام» ويمنعن رجالهن وشبابهن من الجهاد والوقوف مع الحق ضد الباطل مهما كان قوياً، هذا هو منطق «زينب عليها السلام»، دروس وعبر في الجهاد والتضحيات التي أنارت بها الدروب المظلمة والحياة الصعبة بقلبٍ مؤمن، وعقلٍ واعٍ ومدرك لدوره في الحياة.

وإن ما يمكن استنتاجه من خلال ما أورده الإمام الصّدر بشأن المرأة النموذج التي قدمت أروع وأعظم صور التضحية، والفداء في سبيل إعلاء صوت الحق، هي فاطمة الزهراء عليها السلام، التي تكامل دورها مع دور الرجل الذي حمل راية الحق، فهي معه وحدة في العمل وفي النهج، فهذا

التاريخ يشهد منذ أن تكلمت «فاطمة ﷺ» تكونت نواة المعارضة، تبعتها نسوة، خطبت أمامهن وأمام رجال كثر وأمام الخليفة وفي المسجد مطالبة بتركيز الخلافة على محورها الصادق. كان خطاب «فاطمة ﷺ» لأبعد من جدران المسجد، كان إنذاراً بثورة، تبعه خطاب «زينب ﷺ» إبنتها التي تعلمت منها درب الجهاد والنضال فخطابها كخطاب أمها ثورة تحمل بين أحرفها ألماً في النفس أدركنا أسبابه، وعانتا أثقاله.

«فاطمة ﷺ» التي عاشت أباها في كل قضية، وتزوجت علياً في تجسيده لتلك القضية. وكل شيء في وجودها كان يزيد من التمسك بها، فتمسكت المعارضة بها، وتبنت حزنها الساحات العامة، والتفت حولها نسوة الأنصار، وكانت مطالبتها «بفدك» بمثابة جمع الوقود، وفي موتها ودفنها كالأمل بالإنبعاث.

وعلى خطاها سارت «زينب ﷺ»، وعاشت قضية أمها، وأبيها، وجدها، وأخويها، صارت مع التاريخ إطلالة شوق. وكلما جار عليها الإضطهاد زاد بروز اسمها تألقاً، «فاطمة ﷺ»، و«زينب ﷺ»...، نموذجاً للمرأة التي قلبت الموازين وأشعلت بذور ثورة الحق التي لمعت عبر الأجيال، نساء كثر لحقن بفاطمة ﷺ وزينب ﷺ، وكن أعلاماً للنساء(*)، يضيء تاريخ المرأة في الإسلام كلما حاولوا أن يطفئوا وجه المرأة المناضلة المسلمة المؤمنة بالتوحيد نجد «فاطمة ﷺ» في تاريخ كل امرأة تطالب بحق، ونجد «زينب ﷺ» مع كل إمرأة تريد أن تكون صوت الحق الذي يخبو، خلالهما نجد أن المرأة المسلمة كانت تقوم بكل

(*) راجع أعيان النساء عبر العصور المختلفة، محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م؛ جمال المرأة وجلالها، الشيخ جوادي الأملي، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣م.

الأدوار، دور الإبنة، والأم، والزوجة، والأخت، نجدها في كل حين تمثل نصف المجتمع، فالمرأة في الإسلام أضاءت صفحات التاريخ، ولكن بداية الانحراف بدأت حين سلبوا «فاطمة» «فدك»، وبدأ طريق نضال المرأة التي لم يعد هناك اعتراف بها ولا بوجودها ولا بدورها في الحياة، وعادت حكاية المرأة تطفو من جديد، المرأة سلبت من جديد هويتها كإنسان، وبقيت تائهة في كتب التاريخ والنسيان، من هنا من وجود «فاطمة عليها السلام»، التي كانت العنوان في حركة الإمام والتي أراد من خلالها الإصلاح والسير على خطى أجداده أهل بيت النبوة، التغيير لما تعرضت له المرأة باسم الدين والإسلام.

الفصل الخامس

رؤية الإمام الصدر للمرأة في القرن العشرين

تمهيد

أولاً: قراءاته للحضارة الغربية وانعكاسها على الإنسان

ثانياً: واقع المرأة في زمن الإمام الصدر

ثالثاً: رؤيته لانعكاس واقع المرأة على الأسرة

رابعاً: مفهوم تطوير التشريع عند الإمام الصدر

خامساً: المناحي العملية عند الإمام الصدر لتفعيل دور المرأة

تمهيد:

قدّم الإمام الصدر الأبعاد الثقافية التي كرسها الإسلام في المجتمعات الإسلامية متناولاً الأهداف الأساسية للرسالة الإسلامية تجاه البشرية جمعاء، والتي أرسى قواعدها رسول الرحمة النبي «محمد ﷺ»، فقدم الدين منزهاً خالص التوحيد متضمناً أيديولوجية تغييرية في المفاهيم والعادات القبلية التي كانت سائدة، مخلفاً حضارة جديدة متكاملة ذات مبادئ اجتماعية واقتصادية اتصفت بالشمولية والسعة في معانيها التي تخدم الإنسان في الدارين: الدنيا والآخرة.

لقد ساهمت الرسالة المحمدية في تماسك الأفراد في المجتمع الإسلامي كوحدة متماسكة متجانسة في ما بينها، فقدموا للعالم أروع الصور والمعاني في الرقي والتقدم، وأصبحوا بذلك رواد فكر ومعرفة للعالم أجمع. هذا إضافة إلى تأكيد الإسلام لموقع المرأة في تركيبة المجتمع الإسلامي فكانت شريكاً أساسياً إلى جانب الرجل في المجالات كافة. ولكن بعد وفاة رسول الله «محمد ﷺ»، وما حصل من انحرافات وانشقاقات أدت إلى إضعاف المسلمين وحصول اصطفافات مذهبية جعلتهم يشعرون بإحباط ووهن، فانكفأوا عن أداء دورهم في قيادة الحركة الفكرية، مما أدى إلى تزعزع الأنظمة الاجتماعية. فكانت العصور

المتلاحقة عصور الانكفاء والتأخر عن السير في ركب التقدم والتطور، وساهم ذلك في دخول العديد من الالتباسات على المجتمع الإسلامي الأمر الذي أثر على المفهوم العقائدي الذي أراده الإسلام للإنسانية.

وإثر موجة التداخلات الحضارية التي تبلورت بشكل أساس مع البناء الحضاري الغربي الذي بدأ يتسع شيئاً فشيئاً داخل البيئة الإسلامية في التاريخ المعاصر مع تسارع أيديولوجي متلاحق ومتقابل في كل الإتجاهات، الأمر الذي ساهم في نشوء تطور سريع في طرح مشكلات الإنسان الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من وجهة نظر الغرب بهدف تغيير البنية العقائدية في الأمة العربية والإسلامية بناءً على خلفية إستعمارية سعياً إلى السيطرة على مقومات تقدمها واستمرارها وتفتيت جذورها الأصيلة.

أمام هذا الغزو الغربي كان تأخر المسلمين وجهلهم عاملاً سلبياً في صدّ هذه المؤامرة التي ساهمت في نشوء تردد واهتزاز، وعدم ثقة وضياع طال الأفراد والمجتمعات فضاع الإنسان المسلم. وقد اعتبر الإمام الصدر «أن المجتمع الإسلامي سُلِبَ من الإنسان المسلم، فبقي مدة يمشي بقوة الاستمرار ثم سقط في صحارى التاريخ والقرون وانهار»[(١)].

ولهذا أوجز الإمام الصدر أن المسلمين تكاسلوا وتأخروا عن الإقبال على العلم وانكفأوا عن خوضهم الأجواء العلمية، وابتعدوا عن العمل الدائم والعمل بوصية رسول العالمين «محمد ﷺ» حينما قال: «لو أن عبداً مؤمناً قامت قيامته وبيده غرسة لغرسها قبل أن يموت»، هذا التكاسل

(١) محاضرة «أسباب تأخر المسلمين، وكيفية معالجته»، محفوظات حركة أمل، تسجيل صوتي، ١٧/ ١١/١٩٧٠.

حوّل الإسلام من طاقة حركة وحياة إلى مجتمع كسول ومتهاون ومتراخٍ ومتخلٍ عن صفات أخلاقية كثيرة منها الصدق والإخلاص وغيرهما.

هذا من جانب، أما والجانب الآخر من المشكلة ـ والذي اعتبره الإمام الصدر لا يقل أهمية عن الجانب الأول ويعتبر من العوامل الأساسية التي ساهمت في تأخر المسلمين ـ فهو «المرأة».

المرأة التي حرمت من أبسط حقوقها وسلبت منها حريتها، وتم تقييدها بقيود متخلفة ورجعية أعادتها إلى العصور القديمة وإلى النظرة الدونية ذاتها التي كانت تحيط بها، مما حوّل المرأة التي هي نصف المجتمع في ظل الإسلام إلى إمرأة نكرة. وقد تحدث الإمام الصدر عن ذلك قائلاً: «بأن المرأة التي هي نصف المجتمع، ـ المجتمع الذي يعمل فيه الرجل والمرأة، والمجتمع الذي يعمل فيه الرجل وحسب، نجد بطبيعة الحال إن إنتاج الأول أقوى وأهم من إنتاج الثاني، فالمرأة في صدر الإسلام كانت تعمل على الرغم من ضيق مجالات الحياة ـ، تحولت إلى عنصر معطّل في حياة المسلمين، في المجتمع الإسلامي، بطبيعة الحال حذفنا دفعة واحدة من حساب البناء نصف العوامل البناءة»[1]، مما يعني أن المرأة التي كانت عنصراً عاملاً في المجتمع أهملت وجُهلت، وأصبحت غير مؤهلة لتحمل مسؤوليات الحياة إلى جانب الرجل.

وقد اعتبر الإمام الصدر أن الحداثة وشعاراتها التي حملت موضوع «المرأة» ورفعته شعاراً في سبيل تحررها ومساواتها مع الرجل بأفكار علمانية تسلخ المرأة من معتقداتها الدينية، فأصبحت المرأة بذلك بين فكي

(١) م.س.، محاضرة «أسباب تأخر المسلمين، وكيفية معالجته».

الحداثة والتقليد الموروث، تنتظر مصيرها الذي يقرره عنها الرجل من جديد راسماً لها خط السير الذي يريده ويفضله ويرضي غروره وسطوته.

أمام هذا الواقع والمعاناة التي تعيشها المرأة، توجه الإمام الصدر من أجل تصويب قضية المرأة وتصحيح المفهوم الخاطئ شارحاً مسائل مختلفة للمساهمة في استنهاضها وإشراكها في عملية بناء المجتمعات الصالحة التي توصل الإنسان إلى كمالاته الإنسانية وإلى السعادة في الدارين كما أراد الخالق، مكملاً بذلك المسيرة الإصلاحية التي أرادها للإنسان، كل إنسان.

لذا، فإن هذا الفصل يتضمن رؤية الإمام الصدر للمرأة في القرن العشرين والطرق التي سلكها في سبيل تحقيق رؤاه الإصلاحية للمرأة العربية والإسلامية في كل مكان وزمان.

أولاً ـ قراءاته للحضارة الغربية وانعكاسها على الإنسان:

توجه الإمام الصدر إلى دراسة مشكلة الإنسان في القرن العشرين، معتبراً أن الحضارة الغربية بدأت بعد انتهاء القرون الوسطى على أساس عدم الاعتراف بتأثير ما وراء الطبيعة، ومع التنكر لله تعالى، ومع عزله عن التاثير بعد الاعتراف بوجوده. وقد بدأت الحضارة تنمو من دون أن تكون لها قاعدة وإطار أخلاقي ومعنوي مما جعلها تظهر بطريقة فوضوية، وتتحرك من دون لجام كالفرس الشارد، معتبراً «أن الحضارة بدأت تتحرك في كل جهة بصورة مرعبة، وبطريقة أدق بصورة غير منسجمة مع مختلف الجوانب الوجودية للإنسان»[1]، الأمر الذي جعل الحضارة المادية تسيطر

(١) حوار صحفي «الإنفلات ظاهرة عاصرنا الحاضر، وثمرة الحضارة الغربية»، جريدة صوت الخليج الكويتي» ١٩٧٠؛ م.س.، موسوعة الإمام، ج٢، ص٤٥٠.

على الإنسان من استثمار واحتكار وطغيان واستعمار وكسب الأسواق والحروب وغير ذلك، فتحولت «الأنانية» إلى قوة كبيرة كرست التمييز العنصري واحتقار الشعوب والنازية والكراهيات والصراع بين الطبقات والفئات. فأدت إلى حدوث انفجارات اجتماعية وثورات أنتجت انحرافاً في مختلف الشؤون الإنسانية. وذلك في خضم الأنانيات الضيقة والواسعة التي أوجدت الصعوبات والمحن والويلات للإنسان كل إنسان.

وقد وجد الإمام الصدر أن المسلمين واجهوا مشاكل عديدة: دينية واجتماعية، خاصة في هذا الزمن الذي بدأ بالإنسلاخ عن المعتقدات الدينية والالتصاق أكثر فأكثر بأشياء الحياة وادياتها دون العودة إلى الروحانيات التي وُجدت لتجد في كل شخص إنساناً منظماً واعياً في علاقاته في أي مجتمع وجد فيه معتبراً أن هذا التحول في مقاييس الأمة في هذا العصر سببه الاستعمار الفكري، وهو الأخطر من أي استعمار آخر، لأنه يعتمد على الجذور العقائدية، رافضاً تقاعس المسلمين عن صدّ هذا الاستعمار وتبنيهم لبعض الآراء الاستعمارية باعتبار تطورها وتقدمها، مما اعتبره الإمام الصدر خدمة للمستعمر قائلاً: «عندما يفكر الإنسان المسلم بتفكير المستعمر، فهو يحافظ على مصالح المستعمر دون أن تكون هناك حاجة لأن يبذل المستعمر مالاً أو سلاحاً أو جيشاً في سبيل سيطرته»[1]، داعياً إلى تطوير سلوك الإنسان المسلم بمقدار ما يمكّنه من فهم الأحكام وكيفية التعامل مع الناس، ـ أي أن يمارس الأحكام بالشكل المتطور ـ، ولا يعرض طاقاته للاصطدام من أجل مسائل ليست في جوهر واقع الإسلام، بحيث لا تفقد الأحكام قدسيتها. وبالتالي عليه الاستفادة منها

(١) حوار صحفي، «مشاكل المسلمين وحل مشكلة التبغ في الجنوب» جريدة الحياة ١٩/٣/١٩٧٣.

كي يتمكن من اجتذاب الآخرين وإعطاء صورة متطورة عن الدين. وعلى الإنسان المسلم أن يؤمن بأنه لا سعادة للفرد وللمجتمع إلا باتباع الأحكام الإسلامية وسلوك طريقه ليصل إلى إسعاد نفسه والعالم وإنقاذ الناس.

أما الحضارة الغربية فاعتبرها الإمام الصدر فاشلة بما تحمله من صعوبات وتناقضات، ولا يمكنها بذلك تأمين السعادة والاستقرار للبشرية. فهذا السيل العارم من التيارات الفكرية وطرق الحياة المادية والمعنوية، مختلفة عما ترتبط به الحياة من عادات وثقافات شرقية، مما يوجب عدم التوقف عندها والتحديق بها دون معرفة، وعلى العالم الشرقي إن أرادوا مواكبة التطور الذي يحياه الغرب أن يعرف ما يلائم مجتمعه ويلائم قواعده الثقافية وعقيدته الدينية[١].

وقد اعتبر الإمام الصدر أن حركة الإصلاح في المؤسسات الدينية في العالم العربي ضرورية من النواحي كافة، لأنه لا يتم تطوير المجتمعات نحو الأفضل إلا بمثل هذه الحركات. مؤكداً أن الدين لم يقف يوماً في وجه التفكير البشري والإنتاجه الثقافي والحضاري. علماً أن الشرق كان يعطي للعالم بسخاء في ظل السلطة الدينية، وبدافع من الدين، ولكن عندما ضعف الدافع هذا في أواخر القرن الرابع الهجري، وتجمد في شكل صور ومؤسسات ومظاهر، عندها عُقِمَ الشرق وأصبح يأخذ ولا يعطي، وصار عرضة للغزو الأجنبي الذي أدى إلى الاستعمار الفكري. وراح يتحرك بدافع ثقافته وعقيدته المستعارتين، ولم يلتحق بالنهوض الحضاري الذي أراده الإسلام لإسعاد الإنسان والوصول إلى مبتغاه في الدارين الدنيا

(١) م.س. حوار صحفي «الإنفلات ظاهرة عصرنا الحاضر......».

والآخرة، بل كان الإنسان العربي يدور في فلك المستعمر الغربي الذي أراد تأمين مصالحه الاستعمارية وتسويق أفكاره وتكريسها(١).

وقد أسف الإمام الصدر للدور الذي لعبه علماء الدين في الشرق العربي عبر تخليهم عن دورهم القيادي في تربية الإنسان المعاصر، وتحولهم عن الأهداف والمبادئ الأساسية الأصيلة التي تترجم المضمون الحقيقي لوجودهم» ألا وهي خدمة الأمة.

ثانياً ـ واقع «المرأة» في زمن الإمام الصدر:

بدأ تفاقم تخلف وجهل المرأة العربية إثر تداخل التقاليد والعادات في ذهنية المسلمين، والذي تحول إلى مجتمع ذكوري لا يعترف بحق مشاركة المرأة، وهذا ما أدى إلى حرمان الفتيات القراءة والكتابة، فظهر نظام «الحريم» الذي أدى إلى إنزال المرأة منزلة أداة اللهو والترفيه. ففرض عليها الخدر والعزل، وحجبت عن أداء دورها كما أراده الإسلام، . وفي النصف الأول من القرن العشرين شهدت البلدان العربية والإسلامية نهضة فكرية وثقافية تميزت بأن لغة الحوار والاعتراف بحق الاختلاف كان أمراً بديهياً، ونشأت تيارات أدبية وفكرية متعايشة بروح من التنافس الإيجابي دون أن يلغي أحدها الآخر أو يجد ما يعيقه في سبيل تطوره وعزته. وكانت المرأة العربية جزءاً هاماً من تلك النهضة الثقافية واحتلت المرتبة الأولى في اجتماعات أصحاب الشأن دعاة الحرية والكرامة، وقد ظهرت على صفحات المجلات مقالات جمة بأقلام رجال ونساء ناقشوا من خلالها حقوق المرأة المسلمة، وانتقدوا الفرق القائم بين النص الإسلامي

---

(١) حوار صحفي «طموحي لا يتم عبر النيابة ولا الرئاسة»، مجلة كل شيء البيروتية، ١٦/٤/١٩٧٣.

والتطبيق العملي البعيد عن روح الشريعة السمحة. وبوادر هذه النهضة بدأت تظهر في الوطن العربي منذ عام ١٩١٤م، منطلقة من رفض الواقع المعاش للمرأة وتغيير نظرة المجتمع إليها وتحسين واقعها وتمكينها من تحصيل حقوقها وحريتها وحقها في التحصيل العلمي. وهذه الدعوات واجهت المرأة المسلمة ليس من المنظور الديني بل من منظور علماني اجتماعي قومي. حملت شعارات ومرادفات أطلقتها الحضارة الغربية تدعو إلى التغيير والحداثة وتحرير المرأة من الدين لأنه سبب قيدها وتخلفها.

وقد شُكِّلت الجمعيات النسائية التي تطالب للمرأة بالمركز الذي سلب منها منذ دهور، فعقدت المؤتمرات والمحاضرات التي حملت شعارات التحرر، والمساواة، والنهضة[١] على أساس مبدأ «رفض الحجاب الإسلامي» لكي تصنع الحرية والمساواة. شعارات ظاهرها يعطي الأمل للمرأة، ولكن في المضمون هو تسويق للمستعمر الغربي للسيطرة والهيمنة على مقومات المجتمع العربي المرتكز على دعامة الأسرة وارتباط أفراد المجتمع.

وقد لاقت أصداء هذه الأصوات تجاوباً عند معظم شعوب البلدان العربية، وذلك نتيجة تردي وضع المرأة والحرمان الذي تعيشه، فكانت الأرض خصبة والنمو سريعاً، فضاعت المرأة ولم تعرف هويتها الحقيقية. وساهم في ذلك تقاعس رجالات الدين وحَمَلَةُ الرسالة من القيام بواجبهم، وتحول البعض منهم إلى الاهتمام بمصالحه المادية متخلياً عن دوره الأساسي في دراسة حاجة الإنسان في الظروف المتطورة.

(١) قبيسي، بشرى، «المرأة في التاريخ والمجتمع»، دار أمواج للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٩، ص.ص١٠٨ ـ ١٠٩.

غير أن التاريخ الإسلامي أرَّخ أن العالم العربي والإسلامي شهد حركات إصلاحية تركت آثاراً مهمة في أوساط الناس من فهم وشرح للعقيدة الدينية والنصوص والتعاليم بوجهها الحقيقي، وكان لديهم حركات إصلاحية نهضوية ساهمت في تصويب مسار الأمة. ولكن يمكن القول أنه لم يتم إدراك خطورة واقع «المرأة» المتدني والآثار المترتبة على تعطيل دورها في المجتمع، فبقيت بعيدة عن مواطن الإصلاح والتغيير والتطوير في ذهنية رجالات الإصلاح. غير أن هناك حركة نهضوية أطلقها المصلح الكبير السيد «محسن الأمين»، الذي تميز عن أقرانه من علماء الدين، وذلك بتنظيمه حملة على الأمية، فأسس نوادي ومدارس لتوعية الجيل الصاعد ولم يحصر اهتمامه بالصبيان فقط، بل تحول إلى الاهتمام بأمور البنات وتحسين أوضاعهم، وتغيير النظرة السائدة آنذاك في المجتمعات العربية بأن تعليم البنات مفسدة الأخلاق. فأسس مدرسة للبنات، وكانت تُعد أول مدرسة تهتم بتعليمهن وتثقيفهن وقد سماها «مدرسة اليوسفية للبنات» وذلك عام ١٩٢١م، وكانت الدروس في اليوسفية دينية ومدنية. ويضاف إليها الخياطة وغيرها من الأعمال المنزلية تؤهلهن لأن يصبحن زوجات صالحات. وقد واجه السيد «محسن الأمين» صعوبات جمّة من أجل تكريس فكرته وإيصالها إلى الناس[١]. فلم يكتب لهذه التجربة أن تعمم وتنقذ المرأة المسلمة الملتزمة، بل كان الطوق يزداد إحكاماً خوفاً من مفسدتها إذا تعلمت أو نالت معرفة ووعياً ونضوجاً، لذا بقيت مغيّبة عن اهتمامات رجالات الدين. إلى أن كانت حركة الإمام الصدر في العقد

(١) راجع برقان، صابرين، «حركة الإصلاح الشيعي...» ترجمة الأمين، هيثم، دار النهار للنشر، ط١، بيروت، لبنان، سنة٢٠٠٣، ص٢٢٦.

السادس من القرن العشرين، والتي اتصفت بالفهم الموضوعي الشامل المتحرك على قاعدة الفكر والعمل وعدم فصلهما خلال مقاومته لأوجه الحرمان الذي كان يرزح تحت أعبائها الإنسان المسلم المسلوب أبسط حقوقه الإنسانية. وقد وجد أن «آراء الكتاب وعلماء النفس، والمادية المتحكمة في كل شيء وفي المرأة بالذات قد أظلمت الدروب وأغرقتها في الأهواء فضاع الصواب وعمّت الحيرة، وانهارت إنسانية المرأة تحت وطأة التجارب القديمة والحديثة»[١].

معتبراً أن المرأة العربية لم تكن وحدها في دائرة النسيان والضياع، بل المرأة في العالم كله وقعت من جديد تحت سلطة الرجل. فالمجتمعات التي تميزت بوجود الأسرة البطريركية التي حفظت مكانة للذكر فيما المرأة داخل الأسرة مخلوق ضعيف، محاط بمنظومة من العادات والقيم التي تجعلها أسيرة المنزل، وموضعاً للإنجاب والنسل، وخادمة تطيع أوامر الرجل في كل ما يتصل بالحياة الزوجية وتفاصيل الحياة اليومية. وقد شهد تاريخ الغرب خصامات ونزاعات ومبادرات بشأن ما يسمى تحرير المرأة وتحقيق المساواة، قادتها نساء بهدف أن يصلن إلى التحرير الإنساني المتطابق مع الهوية الإنسانية، وإلى حماية أنفسهن من أشكال العنف كافة، وما زالت نساء العالم حتى اليوم يعانين من الاضطهاد والظلم والعنف وعدم الاعتراف بهن، وقد أجبرت النساء على الصمت منذ وقت طويل[٢].

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج٥، ص٤٣٦.

(٢) راجع حليمي، جزيل، «النساء نصف العالم نصف الحكم»، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ص٢١.

وقد اعتبر الإمام الصدر أن معاناة المرأة العربية لم تكن لأسباب الدين وتعاليمه، بل بدأت «حينما اختلطت عبر العصور العادات والتقاليد بالتعاليم الإسلامية الصحيحة فخيل للباحث أنها جميعها من الإسلام، مما جعل آراء المستشرقين ـ حتى أصحاب النوايا الحسنة منهم ـ وبعض ما كتبه الكتّاب المسلمين يتأثرون بما وصل إليهم فتبنوا آراء بعيدة عن الحقيقة»[١]، بأن الإسلام قد ظلم المرأة وأهانها وعزلها وسلبها حقوقها وحريتها.

لذا وانطلاقاً من هذا الواقع تحدث الإمام الصدر أن هذا الادعاء يرفضه الإسلام جملةً وتفصيلاً، معتبراً أن الإسلام كرّم المرأة ولكن المسلمين أهانوها. وأن الادعاء الذي حملته الحضارة الغربية باسم الحداثة والتطور هو قناع زيف وتلاعب بحقيقة وجود المرأة وتفريغ لإرادتها، وهذه دعوات باطلة أرادوا من خلالها حجب حقيقة المرأة بشعارات جوفاء دعتها إلى أن تخرج إلى الحياة بطريقة مختلفة عما أراده الإسلام لها.

معتبراً أنهم أرادوا لها أن تخرج بجانب واحد وعطلوا الجوانب الأخرى من وجودها، أرادوا الجانب الأنثوي الإغرائي الذي تمثله، وحجبوا المرأة الإنسان ذات الكفاءات المتعددة والمختلفة، بحيث لم تعد المجتمعات تبدي اهتمامها بالإنسان العالم أو العالمة[*]. فأخضعوا بذلك

---

(١) م.س، من مقدمة كتاب «فاطمة الزهراء وتر في غمد»، ص٢٠.

(*) لقد تحدث الإمام الصدر على عالمة جليلة من كبار العلماء في العالم وهي من أصل لبناني واسمها «د. سلوى نصار»، وكانت عالمة في الذرّة، وقدمت أبحاثاً مهمة تفيد العلم والعالم، هذه العالمة لا أحد يعرفها، ولا وسيلة إعلامية تتحدث أو تنقل أخبارها، وذلك لأنها كانت في السبعين من العمر، وهي ليست المرأة المثيرة التي تجتذب نحوها دور الأزياء والموضة.....، راجع «محاضرة المرأة في الإسلام» م.س.، ص٣٧٤.

المرأة للحضارة الحديثة التي غزت البيوتات العربية واهتز لها كيان الأسرة، وجعلت من المرأة مجرد وسيلة إعلامية، فأصبحت بذلك تلهث وراء الدعايات والضيافات والموضة. وقد اعتبر الإمام الصدر ما يحدث هو «تنكر لإنسانية المرأة، فهم لا يريدون منها إلاّ أن تظهر بمظهر الأنثى لا أم ولا زوجة ولا عالمة ولا ماهرة ولا طبيبة ولا فنانة لأن الفن ـ حسب رؤيتهم ـ يوجب على الفنانة أن تظهر في الأفلام بأقل ما يمكن من اللباس، وبأكثر ما يمكن من الإثارة حتى تنال إعجابهم وتصل إلى الشهرة»[1]. فتحولت المرأة إلى لوحة فنية إثارة وإغراء، متنكرين لكفاءاتها فهي ليست غاية وعنصراً بناءً في المجتمع، بل هي إنسان في خدمة الرجل ومصالحه الذي فرض عليها أن تكون أنثى عندما تخرج إلى العمل، وإلى سائر الحقول. وأن تكون قيمتها بمقدار جمالها الأنثوي، لا بمقدار الوعي الذي تملكه ولا يريدون منها الذكاء والكفاءة والدقة والعلم، ولا المهارات التي تتقنها فقط الإثارة والجمال هو قيمتها في الوجود.

وقد اعتبر الإمام الصدر أن المؤامرة موجهة ضد المرأة «فهذا يعتبر متاجرة بجسد المرأة واستغلالاً لها ولوجودها ولإنسانيتها، ومن يقول عنها شيئاً بلسانه فهو يكذبه بعمله. يقولون المرأة حرّة، ولكن وضعوا عليها ألف قيد وقيد، فهم يفرضون عليها عدم الحرية ويتنكرون لشخصيتها وواقعها»[2]، وهذا تضليل لعمرها وحصره بعمر الجمال متسائلاً عن الوقت الذي تحتاجه للمحافظة والبقاء على جمالها، وعن عدد سنوات الجمال إن كثُرت أو قلّت. ولكن قبل هذه المدة أو بعدها من هي؟! هي

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١، ص٣٦٢.
(٢) م.ن.، ج١، ص٣٦٣.

لا شيء، هي في القمة والشهرة والتكريم بمقدار جمالها، ولكن عندما تفقد مقومات وجودها عندهم تعود إلى دائرة النسيان، وتكون قد أضاعت عمرها وهي تحافظ على الجمال كي لا يذبل، وتكون بذلك قد ابتعدت عن وجودها ودورها ومسؤولياتها فضاعت وضاعت الأسرة، وانهار كيان المجتمع ومقوماته.

هذه الصورة المؤلمة والمتردية التي انعكست على وجود المرأة، مما جعلها مكبلة بطوق التقاليد القبلية والتيارات الأجنبية حائرة مترددة فلا هي كالغربية اشتركت مع الرجل في المجالات التوجيهية المختلفة، ولا هي شرقية أخذت مكانها الخاص في مجالس التوجيه، أو المساجد، أو حتى حفظت مملكة البيت[1].

وأمام هذا الواقع المرير والمعاناة التي تعيشها المرأة، توجه الإمام الصدر بخطاب صادق متسلحاً بإيمانه بأن المرأة العربية ما زالت تحتفظ بشرقيتها التي تجسد القيم والإخلاص، فكانت دعوته لها ـ مبتعداً عن التعقيد وبلغة الإسلام الصحيح وبعمق وبدراية ـ أن تنهض وتنفض عنها غبار السنين وأن لا تقبل ما يراد لها، بل أن تبحث وتفتش عما تريده هي، عن رسالتها وعن إيمانها وعن طريق الخلاص الذي سخره الله تعالى للإنسان لكي يسير على هداه ليصل إلى كمالاته الإنسانية، متوسماً فيها أن تتحلى بالصفات والأخلاق الراقية، وأن تبتعد عن المادية والشوائب التي تلوث روحها وفكرها التي تبعدها عن الحقيقة.

خطابه هذا كان خطاباً مغايراً عن خطاب العصر، معتمداً على القرآن

(١) م.س.، جمال الدين، نجيب، «الشيعة على المفترق أو موسى الصدر»، ص١٥٣.

وآياته البينات وعلى سنة رسول الله وآل بيته فهو بمثابة حجة ودليل على ما يقول، إذ يدعو المرأة أن تعمل على رفع مستوى الوعي لديها، وأن تحقق النصر على ذاتها أولاً وعلى المجتمع المحيط بها ثانياً، فتكون بذلك تجتاز أصعب مرحلة في حياتها بأن تكتب مستقبلها وتاريخها بأقلام واعية ومثقفة وبناءة.

كما خاطب الإمام الصدر المجتمعات طالباً مساعدة المرأة، وذلك عبر تأمين المناخ الملائم لتربيتها، والعمل على إيجاد الفرص الملائمة لنمو كفاياتها لجعلها تحقق النصر في معارك الحياة جميعها معتبراً أنه: «لكي تحقق المرأة النصر عليها أولاً أن تتخطى معركة التخلف، وعليها أن تتحمل واجباتها الاجتماعية، والوطنية والعائلية، والإنسانية، وأن تعرف أن الإنسان الحي هو من يعطي ويتلقى، والإنسان الذي يأخذ ولا يعطي شيئاً هو إنسان ميت حي»[(١)].

لذلك، على المرأة أن تنطلق لتأخذ حقها ولا تنتظر أن يعطى لها، وأن تقف أمام التيارات الزاحفة المرعِبة، فتواجهها بالتوجيه والتعلم والوعي والصبر والتمسك برسالتها الإسلامية في المحافظة على الإنسان السوي القادر على تغيير الواقع المتخلف، وأن تعرف دينها معرفة صحيحة بأنه أراد الخير لها ولأفراد المجتمع كافة، مصرحاً بأن «الدين ليس هو حجر عثرة، وإنما يوصي بدفع الحجر ليقي المرأة العثار وليضع قضيتها في الإطار الصحيح، فهو يقي المرأة وقضيتها هذا التمييع المفتعل الذي أرادوه لها، ورضيته هي لنفسها، عن قصد أو انسياق وراء دعوات باطلة تنكشف

---

(١) م.س.، محاضرة «المرأة العربية ومعركة التحرير» م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج٢، ص٣٨٢.

عن حقيقة زيفها، وذلك بقدر ضئيل من مواجهة صحيحة وتأمل شريف»[1].

كما وعليها أن تقوم بواجباتها ومهامها التي رضيتها هي لنفسها، من مشاركتها بتربية الأولاد، ومن التعاون مع الزوج في عمله، ومن كونها نصف المجتمع» وهي مهمات كبيرة تحتاج إلى توجيه كامل وإدراك لحقيقة دورها، وهذا هو الجهاد الذي اعتبره الإمام الصدر أنه لا يمكن أن يحصل مع عدم الإيمان، ولا إيمان مع عدم التوجيه والمعرفة الدينية. لذلك إن انصراف المرأة إلى بناء إنسانيتها، وأنوثتها لزوجها هو السبيل الوحيد الذي يوفر للمجتمع نصف طاقته المهدورة بين اللهو والميوعة، أو الجنوح والجهل. معتبراً أنه لا شيء غير التوجيه الديني يعيد إليها إنسانها المضيَّع. وعليها أن تخوض الصراع من أجل تصحيح وضعها بالتعاون مع الرجل، هذا التعاون وهذا الصراع يجب أن يأخذ مكانه في جهادها الدائم للعمل الهادئ، بعيداً عن التطرف وعن تأثير الدعوات المثيرة[2].

أ. مفهوم الإمام الصدر لشعارات التحرر والمساواة:

رفض الإمام الصدر خطاب التمييز الذي اتسمت به الحضارة الغربية معتبراً أنه لا يوجد في الإسلام أي تعريف للمرأة سوى تعريف واحد، أنها إنسان دون تمييز يتعلق بالجنس أو العمر أو الدين. وأن مسألة المرأة نوقشت منذ أمد بعيد وانقسم إزاءها الناس بين مؤيد ومناهض، فهناك من يعتبرها عامل فوضى ومحدثاً للظلام والجهل، بينما في المفهوم الإسلامي

(١) م.س.، «الشيعة على المفترق»، ص ١٥٣.
(٢) م.س.، راجع، حوار صحفي «كفوا عن استغلال الدين»؛ موسوعة الإمام الصدر، ص ٣٣٤.

هي مساوية للرجل، وكذلك هما معاً يستفيدان من الخدمات العائلية والاجتماعية، وعليهما معاً واجبات التزما بها في سبيل العائلة والمجتمع. فإذا كان المقصود بالدعوة إلى الحرية أن تتحرر المرأة من واجباتها والتزاماتها، فهذه حرية غير مسؤولة، لأنه على الإنسان أن يميز بين التحرر وبين التهرب من المسؤوليات، فكيف يحق له أن يتحرر من واجبات ألزم بها نفسه؟!. معتبراً أن الحرية المسؤولة تجعل من نمو قدرات الإنسان كلها ممكنة، وإذا كانت ملتزمة فكل شيء يمكن تحقيقه. وهذا ينطبق على الفرد وعلى الجميع رجالاً ونساء، مؤكداً أن التحرر الكبير هو التحرر الذي بموجبه يتحرر الرجل والمرأة من ذاتهما. فالإنسان كائن حي لا يعيش منفرداً في الكون، إنه جزء لا يتجزأ من المجتمع، وهو مرتبط به كارتباطه بالطعام وبالشراب وبالثقافة وبالحضارة، وحتى بالهواء الذي يتنشقه، وإن حدود وجود الإنسان ليس مرتبطاً بنفسه وبوجوده، بل يتعدى حدود شخصيته. لذا عليه أن يعرف أنه ليس وحيداً في معترك الحياة ولا يستطيع أن يفعل ما يريد. ولكي يكون التحرر ممكناً على الإنسان أن يتحرر من أنانيته والتي هي في المصطلح الإسلامي «الجهاد الأكبر» جهاد النفس الذي هو بمفهومه الإسلامي عبادة خالصة لله، والتخلص من «الأنا» يجعل التحرر ممكناً[(١)]. مطالباً المرأة أن تعي مفهوم حريتها الذي هو المعنى الحقيقي للتحرر من أي سلطة أو ضغط خارجي، هو قيامها بالتزاماتها الذاتية وتعهداتها السابقة، وتكون بذلك قد وصلت إلى الحرية المسؤولة والملتزمة بحدود الشريعة والمبادئ الإسلامية. تحررت من السيطرة المحكمة عليها باسم الحضارة الحديثة، التي ادعت تحريرها، ولكنها

(١) م.س.، حوار صحفي «المرأة العربية ومعركة التحرير»، جريدة الحياة البيروتية، ٢٨/ ٤/ ١٩٧٠.

عملياً قيدتها بمختلف وسائل الإعلام والتجارة والأزياء والحفلات، وسيطرت عليها بمختلف الوسائل والطرق وأبعدتها عن أصالتها الموجودة في قيمها الجوهرية وعن تحمل مسؤولياتها الذاتية التي عليها أن تؤديها.

أما المساواة التي أرهقوا المرأة في مناداتهم لها بأن تعمل من وحي هذا الشعار الذي أطلقته أبواق الغرب منادية بضرورة المطالبة بمساواتها مع الرجل، هذه المساواة التي يريدونها، رفضها الإمام الصدر لأن الإسلام ساوى بين الناس، فالمرأة والرجل موضوع عناية العقيدة والشريعة وقد أكد رسول الله ﷺ المساواة بين الناس «الناس سواسية كأسنان المشط» وغيرها من المواضيع التي أكدت على حقوق المرأة في المجالات كافة. ولكن ما تريده الحضارة الغربية أو دعاة المساواة أن تكون المرأة كالرجل في الأحكام وهذا ما يرفضه الإسلام، انه لا يمكن أن يكون هناك مساواة تامة في الأحكام بين الرجل والمرأة. فالنفقة تجب على الرجل ولا تجب على المرأة، ولذلك كان الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، ولباس المرأة والشهادة وغيرها يؤكد على أن هناك فروقاً واضحة بين الرجل والمرأة، ولكن هذه الفروق لا تقلل من إنسانيتها ولا ترفع من كرامة الرجل أمام الله تعالى، كلاهما متساويان ولهما حقوق وواجبات أقرها الإسلام في مواضيع عدة.

أما من حيث إشراك المرأة في الأعمال، فالإسلام لم يمنع المرأة من العمل بتاتاً، وإن كان يفضل لها ولا يفرض عليها أن تقوم بدور صناعة الإنسان في البيت، فالإسلام لا يفرض على المرأة الزواج، ولكن إذا استلمت المرأة شؤون الأمومة يعني إذا تزوجت فعليها أن تتقن عملها ودورها في أن تهتم بصناعة الطفل، صناعة الإنسان، صناعة المواطن

الصالح، وذلك لكي تتفرغ للقيام بالتربية الكاملة رفع الإسلام عنها واجبات المعيشة ووضعها على عاتق الزوج[١].

ب. رأي الإمام الصدر بشعار «السفور» حرية للمرأة:

لقد أحدث شعار المطالبة بالسفور للمرأة جدلاً واسعاً في أوساط الأمة العربية، وقد وجد صدى لصوته في أماكن كثيرة، فتهافتت النسوة ثائرة على الدين الذي ألزمها بالحجاب. فكانت الجمعيات العلمانية المطالبة بالتجديد والحرية والسفور توقد هذه الثورة، مما أدخل المرأة الحضارة الحديثة من باب السفور، فاندحر الحجاب تدريجياً في بعض الدول العربية، وفي دول أخرى ازداد القيد عليها وفرض عليها الخدر والعزل والنقاب خوفاً من هذه الثورة. بحيث أصبحت المرأة الملتزمة بحجابها وخدرها سجينة أهواء الرجال وآرائهم. فلم يعد من الممكن أن يعرف ما أراده الدين من المرأة وما أرادوه هم واختلطت على المرأة الأمور فضاعت وتاهت بين ما أرادوه لها.

وكان من أهم قادة التحرير الذي شن هجوماً عنيفاً على الحجاب «قاسم أمين» عبر كتابه «تحرير المرأة» عام ١٨٩٩م، والذي أثار ضجة واسعة لما ورد فيه من مطالبة بحقوق المرأة وواجباتها ودعوتها إلى التخلي عن الحجاب لكي تصل إلى أهدافها[٢]. ولم يقتصر الأمر على هذا، بل كان هناك مجموعات أخرى تهتم بوضع المرأة، فكتبت مقالات ومطالعات

---

(١) حوار صحفي «الإسلام أكرم المرأة والمسلمون أهانوها» للإمام الصدر، مجلة الحسناء البيروتية، ٥/ ١٩٠٩/٣.

(٢) انظر، قيسي، بشرى، المرأة في التاريخ والمجتمع، أمواج للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، سنة١٩٩٥م، ص١٠٨.

تصدرت عناوين الكتب والمجلات النسائية والجرائد جميعها مطالبة المرأة بخلع الحجاب لتنال حريتها، ومما جاء في بعضها «يجب إطلاق المرأة وتحريرها، وإيقاظ ضميرها الذي خدَّره الخدر، وأنامه ذلّ النقاب والحجاب، وجعل ذل الضمير المستيقظ الحي متولياً بنفسه محاسبة صاحبته على جميع أعمالها ومراقبة حركاتها وسكناتها فهو أعظم سلطاناً وأقوى يداً من سيدي الرجل....»[1].

ولسان حال الجميع الحجاب مقيدٌ للمرأة وحرمان من حقوقها، فأصبح الحجاب سوطاً بيد الجلادين يزداد ضغطاً على المرأة المرهقة بين داعٍ لها للسفور لتزداد جمالاً وتتألق في عالم الشهرة والحرية، وآخر خائفاً عليها ومحافظاً على عفتها وكرامتها بسجنها لتعود المؤودة إلى الأذهان، وتصبح من جديد رهينة سجالاتهم وحروبهم. وهذا ما اعتبره الإمام الصدر خديعة من الحضارة الحديثة، وظلماً وإهانة من القيمين على الإسلام، معتبراً أن الحضارة هذه تريد إيهام المرأة أنها أمنّت لها الحرية الصحيحة، ولكنها قيدتها عملياً بمختلف وسائل الإعلام التجارية والأزياء والحفلات، قيدتها بجميع الوسائل وركزت على الجانب الأنثوي فيها، وهذا ما رفضه الإمام الصدر مخاطباً النساء كل النساء قائلاً: «أريد أن أتكلم معكن بلغة المنطق، وبلغة العلم الذي تمثلونه، وبلغة الواقع الذي عبرتم عنه بالعبرة، حقيقة المرأة جسم وروح، حقيقة المرأة إحساس وعقل وقلب، كما الرجل، ما الفرق بينها وبينه؟! إذا كانت هي أنثى، فهو ذكر، فهل هناك تركيز على ذكورة الرجل ـ المرأة جسم وعقل وقلب ـ كل خطة وكل رسالة

---

(١) زين الدين، نظيرة، السفور والحجاب، مطابع قزما،سنة١٩٢٨م؛ مراجعة د. شعبان، بثينة، دار المدى للثقافة والنشر، ط٢، سنة١٩٩٨م، ص١٢٠.

اليوم، ولكنه ليس سجناً لحريتها وهتكاً لكرامتها. والحجاب الذي أراده الإسلام بمفهومه الحقيقي وليس بممارسة المسلمين وسلوكهم تجاه المرأة وعزلها عن حياتها العامة. معتبراً «أن الحجاب الشرعي كما نص عليه القرآن الكريم لا تطرف فيه ولا غشاوة على الأعين منه، إنه يطلب عدم إبداء مواضع الزينة فقط: الشعر والعنق والصدر أما الوجه فلا»[١].

مما يدل على أن الإسلام لو أراد عزل المرأة لكان فرض عليها أن تبقى من دون حجاب حبيسة المنزل، فالحجاب وسيلة لخروج المرأة إلى معترك الحياة. وأكد الإمام على ذلك عندما صرَّح بقوله: «إن زوجتي محجبة حجاب المسلمين، ومع ذلك لا أشعر أنها تقصر في واجباتها كإنسانة في مجتمعها وتجاهه، ولي أخت في صور تدير أقوى مؤسسات إنسانية في لبنان الجنوبي وهي محجبة... ولن أكرر، الحجاب الشرعي الذي أمر به الدين أقل قساوة من حجابنا المألوف»[٢].

ج. نظرته إلى «وأد البنات» في القرن العشرين:

وجد الإمام الصدر أن الجاهلية أرست قواعدها من جديد بحق المرأة، وهضمت حقوقها ومارست شتى أنواع الاضطهاد بحق الأنثى ولكن باسم الشريعة والدين. فقد عادت إلى الدول العربية قضية «وأد البنات» ولكن هذه المرة فوق الأرض، فقد تم دفنها وحبسها بين جدران يابسة جامدة لا حياة فيها، وذلك بسلاح القوامية للرجال وسلطة الأبوة لوصايته على البنت في زواجها، فإن لم يكن الأب فالأخ أو الأقربون من

(١) م.س.، حوار صحفي، «الإسلام كرّم المرأة والمسلمون أهانوها».
(٢) م.ن.

الأعمام والأخوال، ولم يسمح لها بالخروج من المنزل إلا بإذن زوجها أو ولي أمرها، حتى أصبحت سجينة وحبيسة، ولا حول ولا قوة لها إلا الله. هذه الأمور وغيرها اعتبرها الإمام الصدر دفناً للبنت وسلباً لحقوقها، وقد عبّر عن ذلك بـ «العزل» معتبراً انه «إذا جاءها خاطب، والخاطب صالح وكفء، والأبِ يرفض لأسباب غير واضحة وتعنتاً، حينها يسقط حق الأب، أي أن حق الأب مؤقت، حق استشاري لأن العنصر الأساس في الزواج، البنت أولاً، والأب ثانياً، هذا الرفض الذي في غير محله يسقط. وهنا تفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾[1]. الذين يتركون البنات في البيت، ويمتنعون عن تزويجهن فهم يطبقون عليهن الآية الكريمة، وتكون البنت كأنها دفنت في البيت[2]، لذا أكد الإمام الصدر أن الإسلام لم يضع وصياً على المرأة سوى أبيها حتى تبلغ رشدها، وهي بذلك تتساوى بأخيها الذكر، وللأب حق استشاري مقدس في زواج ابنته الأول[3]. ولكن بعد الوقوف على رأيها والنظر إلى مصلحتها وليس في سجنها وإخضاعها لسلطته كما يشاء.

ثالثاً ـ انعكاس واقع المرأة على الأسرة:

إن التغيرات التي حدثت عبر القرون أثرت على واقع الأسر في المجتمعات الإسلامية، فجعلها ترزح تحت وطأة التمييز المقترن بتفضيل الزوج، وتمجيد الذكر مقابل المكانة الدونية للمرأة، وهذا التقليد كان

---

(١) سورة التكاثر/ الآية ٨.

(٢) م.س.، محاضرة «زواج الزهراء» محفوظات حركة أمل؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١١، ص ١٨٤.

(٣) م.س.، حوار صحفي، «الإسلام كرّم المرأة والمسلمون أهانوها».

وقد اعتبر أن العلاج يكون نتيجة دراسة وتخطيط ودقة باعتماد خطوط عريضة بهدف إصلاح الأسرة وذلك:

أولاً: اعتماد التوجيه الفكري المرتكز على العقيدة والشريعة الإسلامية وتوضيح المفهوم الحقيقي لدور الإنسان وأهميته في الحياة.

ثانياً: دعوة المرأة مباشرة ودون وسيط ـ الرجل ـ للوقوف أمام مسؤولياتها وتحمل موجباتها الاجتماعية عبر إعداد الندوات والدورات المخصصة لها لمساعدتها على تخطي التخلف الذي ألزموها به عقوداً ودهوراً طويلة.

ثالثاً: مساعدتها على الخروج إلى الحياة عبر تأمين الأجواء المناسبة لاحتوائها عنصراً بناءً في الحياة الاجتماعية، وليس مصدراً للفساد والغواية.

كما واستخدم الإمام الصدر في توصيفه لعلاقة المرأة بأسرتها مفردات التشاور والتعاون والتفاهم، فهو يرى فيها السيدة والمديرة والواعية والمسؤولة والمزينة بالمعرفة بالأخلاق وبالإيمان، منطلقاً من إيمانه بأن للمرأة دور مهم في بناء الأسرة، وأهميتها من أهمية الأسرة التي هي الحجر الأساس في البناء الاجتماعي، وضرورية لاستمرار الحياة وحفظ النوع البشري. معتبراً أن الأسرة خلية حية وديناميكية تقتضي المتابعة الدائمة بسبب التغير الذي أحدثته في المناحي الاقتصادية التي اعتمدت على الأسرة في تكوين الوحدة الاقتصادية الأساسية للإنتاج والاستهلاك. كما وأنها مسرح العلاقات العاطفية والملاذ الآمن والميدان الأول للتعليم والتربية من حيث تأمين اتصال الأطفال بالمجتمع ودمجهم به. وبما أن وظيفة الرجل التقليدية تقتضي العمل خارج المنزل وتأمين

الدخل للأسرة فإنه يستوجب ذلك ان تكون المرأة اللاعب الأساسي داخلها كزوجة وكأم وكمربية. . وبما أن للأسرة دور محوري في المجتمع فللمرأة دور محوري أيضاً[١].

رابعاً ـ مفهوم تطوير التشريع عند الإمام الصدر:

تحدث الإمام الصدر على أن الإسلام قادر على قوة خلق حضارة جديدة متكاملة ذات مبادئ اجتماعية واقتصادية، تعبر عن نهضة ثقافية شاملة تمكنه من مخاطبة الجيل المثقف ودعوته إلى التعرف الكامل على عقائده الدينية والتمسك المنطقي النيّر بحدوده وبمبادئه، كما ويمكن رؤية التشريع الإسلامي قلباً مفتوحاً يتمكن من الاحتفاظ بتوجيه وتلبية الإنسان الحديث إلى آخر الشوط، وذلك في حقول العقود والمعاملات والعبادات، مما يعني أن الشريعة توافق وتؤيد وتدافع عن أي عقد قديم أو حديث، إلاّ إذا خالف القواعد الثابتة للشريعة العامة[٢]، عقود الزواج، البيع، أو أي عقد ممكن. وثبات هذا الأصل في قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾**[٣].

لذا، فالإسلام دين التنوع والتطور، ويتجلى بشكله بتعاليمه وبمبادئه التي تحاكي الإنسان عبر العصور والأزمان. والذي لم يكتفِ في تعاليمه بالعقائد والتوجيه الخلقي بل قدم نظاماً عاماً يشمل صلات الفرد بالآخرين

---

(١) حوار مكتوب «رؤية الإمام الصدر للمرأة» مقابلة مع السيدة الصدر ـ رباب، محورها موضوع البحث، بيروت، لبنان، شباط ٢٠٠٩م.

(٢) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١، ص١٥٨.

(٣) سورة المائدة/ الآية ١.

معلقاً أن هذه الآية «تؤكد عدم إمكانية العدالة في الشعور، وفي الحب، فالقرآن الكريم يؤكد أنه من الصعب أن يتمكن الإنسان أن يحب شخصين أو زوجتين حباً مستوياً بطبيعة الحال، ولكن التساوي في الحب ليس شرطاً في تعدد الزواج، الشرط هو العدالة في السلوك في العِشْرة، أو كما سميناه في الطعام والكساء والمسكن وفي رعاية شؤون الزوجتين، ولكن مع مرور الزمن، وبفعل التطور، فإن حاجيات المرأة وشؤونها أخذت بالازدياد، لذا صار من الصعب أن يقوم زوج واحد بشؤون زوجتين إثنتين، وعلى الصعد كافة. لذلك فإن مفهوم التطور يجعل الحكم في بعض الظروف صعباً، كما هي الحال[1].

هذه المسائل التي أوردها الإمام الصدر خلال بحثه والتي اعتنت بتوضيح رؤيته لجواز التعدد، والشروط في العقد، والإيفاء بالعهد وتمكين المرأة من تقرير مصيرها في موضوع الطلاق أو عدمه، جعل المشاركين يعقبون بآراء مختلفة بين الدعم والرفض والاستفسار.

وقد اهتم الإمام الصدر بشرح رؤيته أن طبيعة الشريعة الإسلامية هي خالقة التاريخ وصانعة التطور، والشريعة الإسلامية بإمكانها أن تساعد على صيانة الإنسان في المجتمع وعلى تطويره تطويراً مستمراً حياً، كما ويكفل إسعاده والمجتمع الإنساني بصورة دائمة دون أي ركود أو وقوف، وليس هناك أي شيء يمنع من ذلك. بناءً على ما تقدم يمكن القول أن الإمام الصدر لم يجد إطلاقاً في الدعوة بالتعدد والسماح مشروط بالعدل، معتبراً أن السماح بالتعدد هو في حالة اجتماعية معينة لكثرة الأيتام فيه، فاضطر

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ص٢٧٦.

الإسلام حفظاً لحقوقهن وصيانة لكرامتهن أن يسمح بالتعدد، وقد أرجع الأمر للحاكم الشرعي أن يحددها ويمنع التعدد في غيرها. كما وأن بمقدور المرأة وضع قيود وشروط في عقد الزواج تتناسب مع أوضاعها في مسألة التعدد والعدالة وفق مفهوم متطور حسب تطور حقوق المرأة وحاجاتها ومستوى وعيها. وهذا الأمر يسهل على الحاكم أن يحدد مفهوم العدالة ويطور حكم السماح على ضوء المراحل الاجتماعية والظروف المتنوعة.

وإلى جانب ذلك قدم الإمام الصدر إيضاحات تعنى بمسائل المرأة اهتم الإعلام بإبرازها ونشرها عبر مقابلات ولقاءات معه، معالجاً من خلالها مسائل تهم المرأة ومشكلاتها مصوباً بذلك الجدل القائم ووضعه في مساره الصحيح منها.

ب. مسألة استغلال «الجنس»:

وجد الإمام الصدر أن موضوع «الجنس» طرح في المجتمع العربي والإسلامي بطريقة تم إيهام المجتمع أنه عقدة نقص في الذهنية الإسلامية مما جعل الإمام الصدر يوضح أن الجنس كان في حدوده مقدساً في الإسلام ونعمة من الله وسبباً للإنجاب والسكن والراحة في حياة الإنسان وفي منطق القرآن. معتبراً أن هذا الموضوع قد بالغت الحضارة المادية فيه واستعملت في خدمته جميع وسائل الإعلام والتجارب والأسباب السمعية والبصرية، واستغلته التجارة من خلال الأزياء والإعلانات والأفلام ووسائل الإجتذاب للبيع والنشر وغيره. حتى أصبح ينمو باستمرار على حساب كفاءات الإنسان الأخرى ومشاعره، وكانت ضحية هذا الاستغلال بشكل

وحسن اختيارها لفصول حياتها، وأن تعيش كما أراد الله لها أن تعيش إنساناً حياً، مفكر ذا استقلال، إلى جانب الرجل في مسيرة الحياة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع طريق الأولياء الصالحين.

كما أن دعوة الإمام الصدر هذه لا تقف عند حدود الكلمة، فقد كانت مسيرته الفكرية موائمة لحركته الإصلاحية باتجاه تفعيل دور المرأة وتمكينها مهارات للتغلب على صعاب الحياة في الظروف القاسية.

خامساً ـ نشاط الإمام الصدر العملي وتفعيل دور المرأة:

كان نشاط المرأة اللبنانية في بدايات القرن العشرين فعّالاً في الحقلين الاجتماعي والإنساني، وقد تأطر عملها من خلال جمعيات نسائية عديدة، ولكن هذا النشاط كان محدوداً لأسباب دينية واجتماعية تعيق تقدمها، مما جعل بعض المفكرين والمثقفين يطالبون بتحريرها واعتماد حقها بالتعليم كخطوة أولى في سبيل هذا التحرير.

وقد وجد الإمام الصدر أن ظروف لبنان المتعدد الطوائف ساهم في الإقبال على العمل بمقتضى هذه الدعوة نسبةً إلى المرأة في العالم العربي. ولكن واقع المرأة المسلمة في لبنان بشكل عام، وفي الطائفة الشيعية بشكل خاص تعاني من الحرمان أكثر من غيرها من الطوائف، وذلك للأسباب السياسية والاجتماعية والثقافية التي تنتهجها الدولة بحق مواطنيها الذي سبب تخلفاً وفقراً متفاوتاً بين طائفة وأخرى إلى جانب جهل الأهل لتعاليم دينهم ورفضهم خوض فتياتهم المجالات العلمية أو الحياة العملية.

ومن لبنان كانت أولى خطوات الإمام الصدر بتأسيس مؤسسات ومراكز اجتماعية هدفها تعليم وتدريب الفتيات شتى أنواع المهارات

والمهن ليستعن بها على الحياة كي يلتحقن بركب التطور والتقدم متحلين بالإيمان وسلوك درب الشريعة. وقد اعتبر الإمام الصدر أن لبنان بصيغته التعددية يمثل بيت الأسرة البشرية ومنطلقاً نحو العالم أجمع، وقد قال في هذا المجال «نحن في لبنان، في هذه الواحة الخضراء، في هذه القطعة التي تمثل بيت الأسرة البشرية، ونحن الآن من خلال تجاربنا التي تجاوز عمرها عمر الحضارات القائمة بأجمعها، نحن هنا ومن خلال وضعنا الخاص نتمكن بكل سهولة أن نعبر عن هذه الرسالة الإلهية»[1]، فرسالته هدفها الإنسان الذي اعتبره ذا بعدين، بعد نحو السماء وآخر نحو الأرض، وكانت حركته فكرية نهضوية تغييرية متسمة بالشمولية ترعى شؤون الإنسان كافة، منطلقاً من إيمانه بأن المرأة إنسان، ويجب الاهتمام بشؤونها وصلاح أمرها فكانت دعوته لها أن تتجه نحو العلم والمعرفة من خلال سعيها الدؤوب لكي تكون إنساناً منتجاً في المجتمع. وقد واجه الإمام الصدر صعوبات جمّة في سبيل تحقيق رؤاه وإعطاء كلامه محتوى، ولكنه لم يهن ولم يترك وسيلة إلا وحاول خوضها في سبيل تحقيق أمانيه لرفع معاناة المرأة. وقد صرّح بذلك قائلاً: «أولاً على صعيد التوعية لا أترك باباً إلا وأطرقه، ثم على الصعيد القانوني سوف أشترك مع لجنة مختصة في قانون للأحوال الشخصية يؤمن للمرأة مكانتها الحقيقية ويوفر لها إمكانية التحرك على الصعيد الوطني والقومي بالإضافة إلى واجبها الخاص، وأيضاً، وهناك محاولات لنقابة المحامين لوضع قانون يستند إلى الفقه الإسلامي مع الاجتهادات الحديثة، ونحن لسنا وحدنا في ميدان إيجاد الحلول للمأزق الذي وضع فيه المسلمون المرأة»[2]، معتبراً أن

---

(١) م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج١، ص١٢٠.

(٢) م.س.، حوار صحفي «الإسلام كرّم المرأة والمسلمون أهانوها».

د. المرأة ضمن اهتمامات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى[1]:

أسس الإمام الصدر «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» عام ١٩٦٩م، للاهتمام بشؤون الطائفة الشيعية، أسوةً بالطوائف الأخرى التي لها مجالس ترعى شؤونها الدينية والاجتماعية، إسهاماً في رفع مستوى الوعي والثقافة والحس الاجتماعي للمواطن، والعمل على رفع مستوى أبناء المذهب الشيعي، وذلك بإقامة مختلف النشاطات، ابتداءً من مكافحة الأمية ومروراً بتأسيس المستشفيات والمؤسسات الاجتماعية وتأييدها إلى صيانة حقوق أبناء المذهب، إلى الوظائف والتكافؤ في الحقوق والواجبات، وقد أكدّ الإمام الصدر على ضرورة اهتمام المجلس بصورة خاصة بحقل المرأة المسلمة، والعمل على تهيئتها الكاملة لمواجهة معركة الحياة الصعبة في إطار من التعاليم الإسلامية وذلك بتأسيس الحركات النسائية ومؤسساتها وتنشيطها، ضمن الأدوار الرئيسية للمجلس التي تنطلق من الإنسان والعمل على ترسيخ المفاهيم الإسلامية المرتكزة على الأمور الآتية:

١. التأكيد على أن الإسلام يرفض الرهبانية ويدعو إلى فتح الباب أمام الإنسان ليبتغي في ما أتاه الدار الآخرة، وأن يعبد الله في عمله وعشيرته الخاصة، وتفسير الإسلام للزهد بألا يملكه شيء، وبأنه لا يمكن للدعوة أن تنجح وهي تتجاهل وضع الإنسان الحياتي.

٢. يجب التأكيد على النواحي الحضارية في الإسلام إلى جانب التعاليم الفقهية والأخلاقية.

---

(١) من حوار صحفي، «الشيعة والسنة وتحرير فلسطين»، القاهرة ١٩٧٠م؛ مجلة «روز اليوسف» المصرية سنة ١٩٧٠م؛ م.س.، موسوعة الإمام الصدر، ج٢، ص٤٣٥.

٣. يجب الانتباه إلى مشاكل الشباب والشابات صانعي المستقبل، وضرورة عرض الإسلام لهم كمنهج لبناء مجتمع أفضل يتصف بالكفاية والعدل والنمو الشامل.

٤. عدم تجاهل وضع المرأة والدعوة إلى الاهتمام بها وإعطائها دورها ولا بد التقليل من التحفظات ومن الاحتياط في ممارستها شؤون الدعوة الإسلامية.

٥. رفع التكليف بين الداعي إلى الإسلام وبين الناس حتى يتمكنوا من طرح كل سؤال.

هـ. إشراك المرأة في الحقل الإنتاجي:

من محاولات الإمام الصدر إلى تفعيل دور المرأة وإشراكها في عملية البناء في المجتمع، يكمن في إبراز قوتها وثقتها بنفسها وذكائها من خلال تنمية الجانب المهني ومساعدتها على إتقان مهنة، وذلك حين تساعدها في معركة الحياة وتأميناً لمعيشتها في الأيام الصعبة التي ربما تواجهها في حياتها، فكانت صناعة السجاد وحياكته والتي تطلب دقة وذكاء وفناً من اختصاص المرأة، التي اعتبرها الإمام الصدر أنها قد برعت وأبدعت وأثبتت جدارتها أكثر من الرجل في هذه المهنة قائلاً: «أن تجاربنا أثبتت أن صناعة السجاد العجمي تحتاج إلى نفس طويل، وإلى جلد، وهذا ما لا يتوفر عند الشبان الذين تعاملنا معهم»[1]، إلى جانب ذلك وجد

(١) احتفال بالإعلان عن بدء صناعة السجاد في مؤسسة صور، جريدة صوت العروبة، ١٩٧٢م؛ م.س.، راجع موسوعة الإمام الصدر، ج٣، ص١٤١.

ب. تكريس باب المرأة في المجلة.

ج. تأمين نشرات عن وضع وإنجازات المرأة في العالم العربي والخارجي مع تحليل موضوعي لها.

٢. من الناحية الاجتماعية:

أ. إقامة معاهد في جميع المناطق لتعليم مكافحة الأمية.

ب. إعداد دورات للفتيات حول الحياة الزوجية والتدبير المنزلي وتربية الأطفال والتثقيف الصحي.

ج. إنشاء صندوق لتقبل شكاوى الفتيات.

٣. من الناحية العسكرية:

أ. دورات إسعافات أولية كاملة للفتيات في كل الأقاليم مع تأمين صف للإسعافات الأولية للمتدربات والاستعانة بمراكز الدفاع المدني في المحافظات.

ب. إقامة دورات تدريبية لمحو أمية السلاح على أن تكون للنساء فقط.

هذا جانب من التوصيات، وقد تخلل المؤتمر توصيات للحركة ودورها في خدمة قضية المرأة:

١. المطالبة بفتح مدارس رسمية للفتيات لكل مراحل التعليم مع تشجيع دخول الجامعات.

٢. توضيح نظرة الإسلام إلى المرأة عن طريق الاشتراك في المؤتمرات أو المهرجانات الخاصة بها.

٣. تخصيص منح للفتيات الملتزمات المتفوقات في التعليم الثانوي.

٤. تأمين وسيلة الكسب المناسبة للفتيات الملتزمات المتحجبات.

٥. العمل على إنشاء دار اليتيمة.

٦. إقامة نادٍ رياضي للسيدات مرفق بحديقة للأطفال.

هذه التوصيات وغيرها اهتم الإمام الصدر بتأمين الوسائل وإتاحة السبل أمام اللجنة المكلفة لكي تقوم بدورها، طالباً من الكوادر المساعدة والدعم والإيمان بمقدرة النساء على تحقيق أهدافها والعمل على تطبيق التوصيات، معتبراً أن مكافحة الأمية تبدأ من خلال أن يؤمن الرجال قبل النساء بكفاءة ومقدرة المرأة على إدارة شؤونها وذلك من خلال تقديم المساعدة بالطريقة الصحيحة وعلى أسس سليمة، والعمل على تأمين الأجواء المناسبة لتعزيز دورها وتنمية مهاراتها، معتبراً أن «الأمية ليس بتعلم القراءة والكتابة فقط، بل الأمية عندما يجهل المرء كيف يعيش ويعمل ويكسب. فاليوم الإنسان الذي يريد العيش في وطن، ليس فقط بحاجة إلى أن يعرف «الألف باء»، بل عليه أن يتعرف على آلية التوظيف أيضاً. . . مما يعني أن محاولة محو الأمية في الحياة من الثقافة والمهنة أيضاً»[١].

انطلاقاً مما تقدم نجد أن الإمام الصدر توجه في عمله التغييري تجاه المرأة من المعنى الإنساني الذي آمن به، رافضاً المنطق الذكوري والعقلية التي اتسمت بها المجتمعات[*]، مطالبة المرأة بأن تلتزم البيت وعدم

(١) م.س.، المؤتمر التأسيسي الأول لحركة المحرومين ـ أمل ـ.

(*) نقلاً عن السيد «صدر الدين الصدر» نجل الإمام الصدر، وذلك في مقابلة خاصة تتمحور حول موضوع=

أول الخلق أضعف جسداً، ومنطق الجهل يقول الحق لمن غلب فسيطر الرجل مادياً ثم استغل وتطاول ظلمه وأحكم سيطرته عليها. وقد اعتبر الإمام الصدر أن هذا العمل الحاصل نتيجة إهمال وجهل، وإلى جانب ذلك فالمرأة تتحمل المسؤولية لأنها استسلمت ولم تلتفت إلى قضاياها عبر العصور وتركت للرجل حرية تقرير مصيرها.

٣. وعندما درس الإمام الصدر نظرة الإسلام إلى المرأة وجدها لا تخلو من بعض الصعوبات نتيجة اختلاط بعض العادات والمفاهيم عند الشعوب الإسلامية بالتعاليم الإسلامية الأصيلة مما جعل الباحث يخيل إليها أنها كلها من الإسلام، وإلى جانب أن ما بثه المستشرقون وبعض الكتّاب المسلمين حول المرأة جعل الموقف الإسلامي الحقيقي تجاهها غامضاً ومجهولاً، إلى أن هناك جهل وتجاهل للآثار الدينية الإسلامية التي تتحدث على وضع المرأة في مرحلة معينة من التاريخ، حيث ينظر إلى الموضوع القائم في زمان صدور الحكم، وهو ما يعرف بمصطلح الفقه والمنطق بالقضايا الخارجية وهناك قسم من الآثار تؤخذ كتعاليم أساسية خالدة تبحث عن الأحكام الثابتة للموضوع أينما وجدت، وفي كل زمان ومكان وهذا يعرف بالقضايا الحقيقية. لذلك شكك الإمام الصدر في كل ما قاله الرجل في المرأة عبر الأجيال لأنه لعب دور الخصم والحكم في آن، كما وشكك في تفسيرات المرأة لنفسها لأنها تنطلق من زاوية معينة تتحكم فيها العقدة المعاكسة، ولأجل اكتشاف حقيقة الموقف

الإسلامي تجاه المرأة اعتمد الآيات القرآنية أساساً للبحث عن المرأة. وعندها يمكنه فصل العادات عن الأحكام ومعرفة الأحكام الثابتة وتمييزها عن الآراء المرحلية. وقد وجد الإمام الصدر أن الإسلام في تشريعاته ومفاهيمه وتعاليمه وفي إحاطته وشموليته لكل مشاكل الإنسان وأنواع علاقاته وأشكالها قد وضع نظاماً عادلاً ليس فيه نقص أو فراغ فهو مؤهل لأن يكون دستوراً للإنسانية جمعاء ورائدها إلى نعيم الدنيا وجنتها. فالحياة في المفهوم الإسلامي أمانة أودعها الله البشر والناس في الإسلام «سواسية كأسنان المشط» لا فرق بينهم إلا بالتقوى، والرجال والنساء متساوون في الإنسانية، معتبراً أن المرأة قد فسرها الدين بأنها نفس الرجل فهما موجود واحد، ويشتركان في إنجاب الطفل وبقاء المجتمع وتكوينه، مؤكداً أن الوحدة الحقيقية لا تعني وحدة المهام التي تعتمد على كفاءات الرجل والمرأة والتفاوت في الأحكام لا يعني التفاوت في الجوهر والذات.

وقد ذكر أن الصورة المفضلة للمجتمع في الإسلام هي الأسرة، لهذا كانت التشريعات والأحكام لصيانتها من خلال القرآن وتفسيره تمكّن من معرفة أهمية هذا الموضوع، فالزواج مؤسسة ديمقراطية مصغرة يحق فيها للزوجين على السواء تحديد صلاحيتهما ضمن اتفاقية مسبقة. ولضمان أن لا تبلغ الديمقراطية طريقاً مسدوداً وجب إيجاد رئيس لهذا المجتمع الديمقراطي المصغر مصرحاً أن المجتمع في الإسلام مكوَّن من الأسر وليس من الأفراد.

كما وأكد الإمام الصدر أن الإسلام لم يضع وصياً على الفتاة

المرأة لحقوقها فنرى مشاهد مختلفة من الاعتداء على كرامة المرأة وحقوقها فالمشرع اليوم يدعم الرجل والحق معه دائماً على حساب المرأة، رغم ان الإمام منذ أكثر من أربعة عقود طالب المحاكم الشرعية ان تنظر بتطوير العقود مما يحافظ على كرامة المرأة، وهذا يدل على ان هناك جمود وتقليد في الحكم في حل مشاكل الطرفين، فالمرأة عليها ان تتنازل عن حقوقها لتأمن عليها العنف والسيطرة التي تمارس بحقها باسم القوامية وأحياناً ان تبذل ثمن باهظ عليها ان تتخلى عن أمومتها لتنال حريتها وحقها في الحياة فتصبح بذلك ضعيفة رهينة للظروف وتقع فريسة الفقر والحاجة دون حماية ورعاية من الشرع الذي سعى الإمام الصدر جاهداً لإصلاح وضع التشريع وذلك من أجل حمايتها والحؤول دون دفعها لكي تكون عالة على المجتمع. هذه الإشكاليات وغيرها التي تواجه المرأة اليوم نضعها أمام المهتمين والباحثين لدراسة واقع المرأة وسبل معالجتها من خلال قراءة رؤى ونهج رجالات الإصلاح الذين رعوا وضع المرأة ووضعوا خطط لمعالجتها، ويمكن القول «بأنه شهد تاريخ العالم رجال ثورة وقادة كثر ولكن المصلحين في العالم قلائل، والذين يملكون رؤية هم أقل، والذين لديهم مشروع مدوَّن هم الأقل، والأقل منهم الذين لديهم مشروع إصلاحي متكامل، والأقل الأقل هم الذين جربوا هذه الرؤية خلال حياتهم، ولكن الأقل هم الذين شاهدوا نتيجة هذه التجربة، والأقل منهم الذين شاهدوا نجاحاً لتجربتهم، ومن الطبيعي أن هذا العدد الأخير عندما يغادر المكان أن تبقى تجربته مستمرة وبالنجاح نفسه كقاعدة للمجتمع لكي يستند إليها»[1].

---

(١) م.س.، نقلاً عن نجل الإمام الصدر السيد صدر الدين الصدر.

وهكذا كان الإمام الصدر من القلائل جداً الذين بقيت حركتهم وتجربتهم مستمرة مما يدفعني في الختام لأقول تعالوا لنستفد من تجربة ونجاح رؤى الإمام الصدر الإصلاحية لعله لا يبقى هناك حرمان وقهر وظلم في حق أي إنسان.

والسؤال الذي يمكن أن يبقى في الأذهان هل نحتاج إلى «موسى صدرٍ» جديد لكي ننهض بالمرأة ونساعدها على تخطي الصعاب؟!

* * *

المشرعون ـ يفصلون التشريعات على مقاس طبيعتهم وحاجاتهم ومعرفتهم. ويستنتج الإمام الصدر أن الظلم لم يكن مباشراً بل هو نتيجة إهمال أو جهل، والإهمال قد يكون ذاتياً أي أن المرأة لم تلتفت إلى قضاياها عبر العصور كما كان يجب. وأضيف رأياً شخصياً لأقول بأن المرأة قد أدمنت القعود والاستكانة.

٣ ـ هل أنصفت الأديان المرأة؟

ـ نعم. وتحديداً الدين الإسلامي. ولو أجرينا تحليلاً مقارناً لوضع المرأة ما قبل الإسلام وما بعده، لأمكن ملاحظة المجالات والقضايا التي أدخلها الإسلام لمصلحة المرأة ولتحسين أوضاعها. المتصفح للآيات الكريمة سوف يلاحظ أن القرآن اعتمد خطاباً موحداً (يا أيها الناس مثلاً، دون تحديد للرجال أو للنساء)؛ وفي أماكن أخرى يتوجه إلى المؤمنين والمؤمنات أو إلى المسلمين والمسلمات والصالحين والصالحات، وذلك دون تفضيل لهؤلاء على أولئك. يقول الإمام الصدر (في الحقيقة، لو حاولنا تحرير المرأة تحريراً حقيقياً فإننا نجد في التعاليم الدينية ما يؤمن لها ذلك).

٤ ـ كيف تكوّنت النظرة الدونيّة تجاه المرأة في المجتمع العربي المعاصر؟

ـ هناك استمرارية للعادات الجاهلية القبلية في الكثير من مناحي الحياة والذهنيات. ومعلوم أن التغيير الثقافي يحتاج إلى الكثير من العمل الدؤوب ومن الوقت. ويمكن القول أنه باستثناء بعض المحاولات المنعزلة وبعض الفترات واللمحات المضيئة التي سعت إلى استنهاض المرأة وتحسين صورتها. . باستثناء ذلك، بقي الوضع على حاله عموماً سيما في

حالات وفترات التردي العام للأوضاع وعند انهماك المجتمع في الدفاع عن نفسه تجاه مخاطر خارجية (الحروب) أو لمواجهة تحديات كبرى (القحط، الكساد، الاحتراب الأهلي، وغيره). علينا أن نضيف هنا أن النمط المتسارع للحياة العصرية واستيراد بعض النماذج والعادات القادمة إلينا من الغرب فاقم من تردي أوضاع النساء بدل تحسينها. النظرة إلى المرأة كسلعة إضعاف ثقتها بنفسها وبقدراتها. يقول الإمام الصدر (لا أعتقد أن الحضارة الحديثة أمنت الحرية للمرأة، فهي أعلنت تحريرها لكنها قيدتها بمختلف وسائل الإعلام والتجارة والأزياء والحفلات...). جانب آخر هو ظاهر استجلاب العاملات في المنازل من ثقافات مغايرة، واللواتي لم يتم إعدادهن للعب أدوار المربية أو المدبّرة للمنزل في حين أن الكثير من الأمهات يستقلن من أدوارهن كأمهات وينتدبن العاملات للاهتمام بالأطفال وتربيتهم. وهناك نتيجتان سلبيتان لهذا المنحى: الأولى على الطفل نفسه والذي يستقي نظرته لشخصه وللحياة من مصدرين هما الأم والعاملة المختلفتين في كثير من الأمور. وهذا الأمر يؤدي إلى صراع وانفصام في نفسية الطفل. ويقع الضرر الثاني على الأم نفسها، لأنها تُهمِل ذاتها وتنصرف إلى اهتمامات الدردشة والتسلية وما شابه.

٥ ـ ما هي العوامل الآيلة إلى نهوض المرأة؟

ـ (علينا إعطاء المناخ الملائم لنمو كفاءات المرأة خدمة للمجتمع)، وهذا القول للإمام الصدر. مفردات هذا المناخ الملائم هي الإيمان كحصانة أكيدة، العلم والمعرفة، ثم التشريعات. يمكن تصنيف العوامل الآيلة إلى نهوض المرأة ضمن إطارين واسعين. الأول هو السعي إلى استنهاض المجتمع عموماً برجاله ونسائه عبر حملات التوعية وبث التغيير

السيدة حوراء الصدر

باعتقادي أننا حين نحاول أن نجيب على هذه الأسئلة علينا أولاً أن نضع أنفسنا في الجو الفكري للإمام الصدر. فكر أمة الإنسان عند الإمام الصدر هي أصل خاص ومهم نراه في كل كلماته وحركته وفكره وعمله. ينظر الإمام إلى كل أفراد المجتمع بالمنظار نفسه. فهم «إنسان» فرداً فرداً دون تمييز في الجنس أو الدين أو العرق أو حتى العمر فالرجل إنسان والمرأة إنسان والولد والطفل إنسان لهم كلهم حقوق متساوية وليس أحداً منهم (إنسان) أكثر من الآخر فللكل خط متساوٍ في الإنسانية.

بعد هذه المقدمة أعتقد أنني أجبت على معظم الأسئلة ولكن سأقول رأيي في كل منها إلا البعض لأنني لا أعرف الإجابة عليها.

١ ـ المرأة عند الإمام الصدر كما قلت (إنسانة) كالرجل لا يسبقها الرجل في هذه الإنسانية. للمرأة دور هام في المجتمع عليها أن تعترف به وتقوم به.

٢ ـ يقول الإمام أن المرأة ظُلمت عبر التاريخ وأن الرجل سيطر عليها إما عبر القوة أو عبر القوانين التي كان «الرجل» يسنّها عادة فسَنُّ القوانين كان يقوم به الرجال عادة.

٣ ـ الأديان تحترم المرأة وتعتبرها نفس الرجل فهي كالرجل لا تختلف عنه وكذلك الإسلام كرم المرأة ولكن المسلمين والمتدينين والمجتمع هو الذي لم يلتزم بتعاليم الأديان وتصرف تصرفاً غير صحيح.

٤ ـ لأن المرأة استسلمت للواقع وتقبلت القيود التي كبلها بها المجتمع أو «الرجل».

٥ ـ أن تتقبل دورها العائلي والاجتماعي والوطني و. . . وأن تقوم به. أعتقد أن الحرية هي عامل أساسي في هذا المضمار فإن لم يكن هناك حرية فالكفاءات لن تنمو ولن تستطيع المرأة أن تثبت جدارتها. كما أنه يجب أن تتاح الفرصة للمرأة أو أن تتيح المرأة الفرصة لنفسها وتقوم بدورها فمجال العمل هو الذي يكسبها تجربة، والتجربة تعطيها الفرص لبناء شخصيتها.

٧ ـ هناك أحكام هدفها حفظ العائلة أو الأسرة القوامية في حدود العائلة أو الأسرة وليست في حدود المجتمع.

٨ ـ هو يقول أن الحكم الشرعي في تعدد الزوجات هو من أجل القسط في اليتامى وهدفه إنصاف والعدالة في اليتامى وشرطه الأساسي العدالة في ما بين الزوجات التي هي مسألة صعبة وبل غير ممكنة في أكثر الأحيان.

٩ ـ دور المرأة في الأسرة أكبر من دور الرجل وأهم فتأثيرها على الأسرة أكثر من الرجل ولذلك فهو يعتقد أن المرأة على الرغم من أنها تشكل نصف الرجل من الناحية العددية في المجتمع ولكنها تشكل أكثر من النصف وحتى ثلاثة أرباع من ناحية التأثير على المجتمع. فهي التي تربي الأجيال الصاعدة المستقبلية.

١٠ ـ حجاب المرأة وسيلة لحفظها كإنسانة فهي بحجابها تثبت أنها «إنسانة» بكل معنى الكلمة وأنها لا تستخدم أنوثتها وإثارتها من أجل القيام بأعمالها. هي إنسانة تثبت نفسها بجدارتها وكفاءاتها وقدراتها وليس بأنوثتها.

١١ ـ على المرأة أن تقوم بدورها في الأسرة والمجتمع والوطن كيف يمكن أن نبني وطناً دون أن يكون «نصف» هذا الوطن أو المجتمع فعالاً وناشطاً.

١٣ ـ نستطيع من خلال محاضرات ومقابلات الإمام أن نستنتج أنه يؤكد على ضرورة التحصيل العلمي للمرأة، وأنه أحياناً يعتبره أكثر درجة من الأهمية بالنسبة لتحصيل الرجل العلمي.

١٤ ـ العمل السياسي هو جزء من العمل الاجتماعي الذي يؤكده الإمام الصدر عندما يقول أن على المرأة أن تقوم بدورها الاجتماعي والوطني. لقد مارس الإمام هذا الاعتقاد فكان للمرأة دورها في نشاطاته في حركة أمل وصف الكوادر والعمل الاجتماعي و...

١٥ ـ أعتقد أنني أجبت على هذا السؤال في المقدمة فالمرأة «إنسان» كالرجل وليس بينهم أي فرق من هذه الناحية.

هناك نقطة أحب أن أذكرها وهي أن المرأة في المجتمع يجب أن لا تقيد نفسها بالقيود التي أوجدها لها الرجل من ناحية. ولكن من ناحية أخرى يجب أن تنتبه أن التحرر ليس من كل شيء فهي بما أنها إنسان، تكون مسؤولة أيضاً وعليها أن تتحمل مسؤولية تصرفاتها وأعمالها وتأثير هذه الأعمال على المجتمع. فالإنسان ليس وحده، وكل عمل يقوم به يؤثر على مجتمعه وبيئته. وأيضاً المرأة يجب أن ترفض حصر دورها بالإثارة والأنثوية التي هي أيضاً تحد من دورها الهام.

السيدة مليحة الصدر شرف الدين

١ ـ من هي المرأة عند الإمام الصدر؟

ـ المرأة هي الشريك الفعّال للرجل في بناء المجتمع الصالح والسليم. مع أن عمري وقت ذاك لا يسمح أن أحلل ولكن من خلال الدور التي كانت تلعبه الوالدة (حماها الله) أستطيع أن أؤكد أن المرأة هي شريك فعلي (بدءاً بالقضايا الصغيرة كالسكن وأثاث المنزل ونوع الطعام وقبول الدعوات إلى القرارات المصيرية). وحتى كان هناك نوع من وضع الوالدة في صورة الوضع السياسي والاجتماعي في المنطقة وأهداف الخطوات التي كان يقوم بها. كانت القرارات تُتخذ في المنزل بالحوار والمشاورة. لم تكن في يوم من الأيام القرارات أُحادية من قبل الوالد (بمفرده). هذا الأسلوب لم يُستحسن من قبل بعض الأصدقاء الذين كانوا يظنون أن من المعيب من شخصية بأهمية الإمام الصدر بعد وصوله إلى المقام الذي وصل إليه أن يتشاور مع زوجته التي كان يسميها «وزارة الداخلية» في تلبية دعوة غذاء أو عشاء؟ كما أن الوالدة تقول أنه كان يحافظ على مشاعرها ويحترمها ويحبها، كما أنه كان يعود إليها عند اتخاذ القرارات ويتشاور معها.

٢ ـ هل اعتقد الإمام بمظلومية المرأة عبر التاريخ؟

ـ نعم لذلك كان يعمل على رفع هذا الظلم من خلال العمل على تغيير هذه العقلية ولكن التغيير حسب رأيي لا نستطيع أن نصل إليه بسرعة. يحتاج إلى تغيير المفاهيم والاعتقادات وهذا يأخذ وقت طويل ويحتاج إلى صبر. في مقابلة مع الشيخ حجتي ﷫ وهو من أصدقاء الإمام وهو متزوج من ابنة السيد رضا الصدر ﷫: سمّى الإمام موسى الصدر بالمصلح الذي يحس ويقدر الوضع، أي لا يقوم بالإصلاح حارقاً الأخضر واليابس.

٣ ـ هل أنصفت الأديان المرأة؟

ـ نعم ولكن حجبت هذه الحقوق لمصالح في التحكم والقدرة. فالمجتمعات كانت تقوم بسيطرة القوي على الضعيف وبطبيعة الحال المرأة بصفاتها الأنثوية هي من المجموعة التي من السهل جداً السيطرة عليها. لذلك ظُلمت في السابق ولا تزال تُظلم مع موجة الحرية التي يظن الغرب أنه حققها. ويمكننا العودة إلى كلام الإمام الصدر لمعرفة كيفية هذا الظلم.

٤ ـ لماذا برأي الإمام تكوّنت الرؤية الدونيّة نحو المرأة في المجتمع العربي المعاصر؟

ـ التقاليد والأنانية وحب السيطرة.

٥ ـ ما هي عوامل نهوض المرأة؟

ـ التعليم ـ وأن تُدرك أهمية ما تفعله وتقدره ولذلك رأيناه أسس مؤسسات بالإضافة إلى المحاضرات والندوات. وعمل بها بدءاً من بيته.

٦ ـ هل وضع الإسلام حلاً لتكامل وضع المرأة في المجتمع؟

ـ الإسلام وضع دوراً لكل فرد في المجتمع فللرجل دوره وللمرأة دورها. أدوارهم تتكامل.

٧ ـ ما رأيه بقوامية الرجل على المرأة؟

ـ بالاحترام وبالشورى تُقاد السفينة. كان يعتقد أن يجب أن يكون في البيت رأس لأن (كثرة الطباخين....) ولكن القيادة الحكيمة التي تكون بالتشاور وبالإنصاف وبالحب.

٨ ـ هل هو مع تعداد الزواج؟

ـ رأيي أنه يظن أنه آخر الحلول لمعالجة مشكلة اجتماعية إن وجدت ولكني لم أسمع منه عن هذا الموضوع.

٩ ـ دور المرأة في الأسرة؟

ـ دورها الأساس فهي ما تجعل العائلة تنمو في جو سليم وبذلك المجتمع السليم لأن المجتمع هو عبارة عن عائلات عديدة.

١٠ ـ كيف نظر إلى حجاب المرأة؟

ـ خيار ـ اقتناع ـ مدخل للتوجه إلى العمل، وبذلك حفظ دورها الأنثوي في المكان المناسب. ولكنه كان ينصح أختي وابنة عمتها أن يرتدين حجاباً أنيقاً وجميلاً، وأن يهتمّوا بترتيب مظهرهنَّ الخارجي.

١١ ـ ما هو رأي الإمام في عمل المرأة خارج إطار الأسرة؟

ـ ضرورة: لكن ليس على حساب بيتها.

١٢ ـ المرأة والقضاء، هل يحق لها تسلم مركز قيادة؟

ـ نعم، فدور المرأة في الحكم في البيت والأولاد والعائلة هي بالنهاية تصب في المجتمع لذلك حتماً إن كانت تملك الصفات أظن ذلك، كما أنه قال في إحدى الخطب أن السيدة زينب ﷺ بعد استشهاد سيد الشهداء ﷺ وقبل شفاء الإمام السجاد ﷺ كانت تقوم بدور الإمام والإمام هو دور أهم من القاضي.

١٣ ـ حق المرأة في التحصيل العلمي والتدرج.

ـ نعم، منذ القديم شجع فتيات العائلة على العلم ـ أسس مؤسسات خاصة بهن.

١٤ ـ العمل السياسي ودور المرأة.

ـ نعم، وشهدنا ذلك لأنه شجع كثيرات للوصول إلى مراكز حساسة كما أنه عمل على وصول إحدى الناشطات إلى مركز من الفئة الأولى.

١٥ هل هي إنسان لها حق في خلافة الله في الأرض؟

ـ نعم، ليس هناك فرق بين المرأة والرجل.

المصادر والمراجع

أولاً ـ الكتب:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق د. نزار رضا، ط١، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.

٣. إصدارات مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، طريق المطار.

٤. بنوت، جهاد، حركة أمل، قصة حركة إصلاحية في بلاد العرب، طذ، بيروت، المركز الثقافي اللبناني، ٢٠٠٨م، ص١٢١.

٥. جمال الدين، نجيب، الشيعة على المفترق أو موسى الصدر، د.ط.، د.ع.، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٦. «الحقيقة لن تغيب» إصدار مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، ط٦، بيروت، طريق المطار، ٢٠٠٠م.

٧. الحكيمي، محمد رضا، أعيان النساء عبر العصور المختلفة، ط١، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م.

٨. حلمي، جزيل، النساء نصف العالم نصف الحكم، عويدات للنشر والطباعة، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٩. الديباجي، أبو القاسم، زينب الكبرى ﷺ بطلة الحرية، ط١، بيروت، مؤسسة البلاغ للطباعة والتوزيع، ٢٠٠٣م.

١٠. زين الدين، نظيرة، السفور والحجاب، مراجعة وتقديم د. بثينة شعبان، دار المدة للثقافة والنشر، ط٢، سنة ١٩٩٨م.

١١. شرف الدين، حسين، منبر ومحراب، كلمات للإمام الصدر، ط١، دار الأرقم، ١٩٨١م.

١٢. الشهيد الصدر، محمد باقر، «فدك في التاريخ»، ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٣. ضاهر، يعقوب، مسيرة الإمام السيد موسى الصدر، ط١، بيروت، دار بلال، ٢٠٠٠م.

١٤. فضل الله، هادي، فكر الإمام موسى الصدر الإصلاحي، ط١، بيروت، دار الهادي، ١٩٩٩م.

١٥. قبيسي، بشرى، «المرأة في التاريخ والمجتمع»، دار أمواج للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

١٦. القفطي، جمال الدين، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع الحواشي إبراهيم شمس الدين، ط١، بيوت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

١٧. كتاني، سليمان، «فاطمة الزهراء وتر في غمد»، راجعه وقدم له الإمام السيد موسى الصدر، ط٢، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

١٨. كوربان هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة، حسن قبيسي، راجع وقدم له الإمام موسى الصدر، منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٦٦م.

١٩. محمد بن أبي يعقوب إسحاق، أبي الفرج، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه الدكترو يوسف الطويل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٢٠. محمد سلامة، عبد الحافظ، المرأة، ط١، عمان، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩١٤م.

٢١. الآملي الشيخ جوادي، جمال المرأة وجلالها، ط١، دار الهادي، ٢٠٠٣م.

٢٢. مؤتمر كلمة سواء، «بحثاً عن حق الإنسان»، المؤتمر الثامن، ط١، مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٣. المؤتمر الثاني لكلمة سواء، الأسرة واقع مرتجى، مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، ط١، بيروت، سنة ١٩٩٧م.

٢٤. الإمام موسى الصدر، الرجل، الموقف، القضية، ط١، بيروت، مكتب صادر، ١٩٩٣م.

٢٥. نعمة، ناصيف، قراءة في سيرة وفكر الإمام الصدر، ط١، بيروت، دار بلال، ١٩٨٨م.

٢٦. يرقان، صابرينا، «حركة الإصلاح الشيعي...»، ترجمة هيثم الأمين، دار النهار للنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

ثانياً ـ المجلات:

١. أمل ورسالة، العدد ٣، سنة أولى، ١٩/ ٨/ ١٩٧٧م.

٢. الحسناء البيروتية، .../ ٣/ ١٩٦٩.

٣. الحوادث، ٢٦/ ١٠/ ١٩٧٣م؛ ١٩٧٤م.

٤. «روز اليوسف» المصرية، سنة ١٩٧٠م.

٥. صوت العرب، ١٦/ ١١/ ١٩٧٣.

٦. العرفان، بيروت، ج٤، سنة١٩٦٦ و١٩٦٧م.

٧. كل شيء البيروتية، سنة١٩٦٧م، ١٦/ ٤/ ١٩٧٣.

ثالثاً ـ الجرائد:

١. الجريدة البيروتية، . . ./ ٧/ ١٩٦٧م.

٢. الحياة البيروتية، ٧/ ٤/ ١٩٦٤م؛ . ./ ٧/ ١٩٦٧؛ ٢٧/ ٤/ ١٩٧٠م.

٣. الشمس الليبية، سنة ٢٠٠٢م.

٤. صوت الخليج الكويتي، سنة ١٩٧٠م.

٥. صوت العروبة، سنة ١٩٧٢م.

٦. لسان الحال البيروتية، ٨/ ٤/ ١٩٦٧؛ ٢٤/ ١٢/ ١٩٧٠م.

٧. ملحق جريدة النهار، ١٩٦٩م، ٢٧/ ٤/ ١٩٦٩.

٨. النهار، ٧/ ٦/ ١٩٧٥م.

رابعاً ـ المحاضرات:

١. «الإسلام، الأصالة، الروحية، شؤون المجتمع المتطور»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٢. «الإسلام والتراث»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٣. «الإسلام وثقافة القرن العشرين»، الندوة اللبنانية، ١٩٦٥م.

٤. «الإسلام وكرامة الإنسان»، ١٩٦٧م، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٥. «أسباب تأخر المسلمين، وكيفية معالجته»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٦. «حركة المحرومين: الولادة، ظروف النشأة والأبعاد»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٧. خطبة الجمعة «المؤمنون ومسؤولياتهم»، صور، ١٩٧٣م، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٨. «الدور الزينبي (١)»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

٩. «الدور الزينبي (٢)»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

١٠. «رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية».

١١. «زواج الزهراء ﷺ»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

١٢. «سيرة الرسول ﷺ والأئمة ﷺ»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

١٣. «صور في حضارتنا»، ثانوية المقاصد للبنات صيدا ٧/ ١٢/ ١٩٦٢، «الدور الزينبي(١)»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

١٤. «العدالة في المسيحية والإسلام»، الندوة اللبنانية ٨/ ٥/ ١٩٦٦.

١٥. «فاطمة ﷺ والصلاة»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

١٦. «مبادئ الحضارة في فكر الإمام الصدر»، محمد علي مهتدي، محفوظات مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

١٧. «محمد رسول الله ﷺ محطم الأصنام»، صور، ١٩٦٠م.

١٨. «المرأة في المجتمع الإسلامي»، محفوظات مركز الإمام الصدر للدراسات.

١٩. «المرأة في الإسلام» محفوظات حركة أمل.

٢٠. «مرجع الشيعة الأول يحج إلى مكة» الندوة اللبنانية، ١٩٦٤م.

٢١. «وفاة السيدة الزهراء ﷺ»، تسجيل صوتي، محفوظات حركة أمل.

خامساً ـ مقابلات:

١. أحاديث شريفة/ الرسول محمد ﷺ.

٢. بث مباشر للتلفزيون الليبي، ٣١ آب ٢٠٠٢م.

٣. بث مباشر إذاعة الرسالة، مقابلة مع السيدة «رباب الصدر»، بيروت، ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩م.

٤. مع حرّم الإمام الصدر السيدة «أم صدري»، محورها موضوع البحث، ٣/ ٤/ ٢٠٠٩.

٥. مع كريمتي الإمام الصدر السيدتين «حوراء» و«مليحة الصدر»، محورها موضوع البحث، واستفيد من المعلومات لتأكيد مفاهيم البحث، وقد تم توثيقها في مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٨م.

٦. مع صهر الإمام الصدر السيد حسين شرف الدين، محورها موضوع البحث، محفوظات مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت ١٠/ ١١/ ٢٠٠٨.

٧. مع شقيقة الإمام الصدر السيدة «رباب الصدر شرف الدين»، محورها موضوع البحث، ثم توثيقها خطياً في أرشيف مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٨م.

٨. مع نجل الإمام الصدر السيد «صدر الدين الصدر»، محورها موضوع البحث، بيروت، ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٩م.

٩. مع ناشطة في الحقل الاجتماعي «ليلى الحسيني» ـ وكانت من الطالبات الأوَل اللواتي تدرّبْن على صناعة السجاد في زمن الإمام الصدر ـ، محور المقابلة موضوع البحث، بيروت، ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٩م.

١٠. مع السيدة «نعمت كنعان»، (مدير عام وزارة الشؤون الاجتماعية سابقاً، ١٩٩٢م ـ ٢٠٠٥م)، محورها موضوع البحث، ٢٠/ ٦/ ٢٠٠٨م.

الفهـرس

الإهداء ٥

شكر خاص ٧

آن أوان التغيير ـ بقلم: صدر الدين الصدر ٩

المقدمة ١٥

أهمية الموضوع ١٧

إشكالية الموضوع ١٨

دوافع اختيار الموضوع ١٩

منهج البحث ٢٠

الفصل الأول: لمحات من سيرة الإمام السيد موسى الصّدر ٢٣

أولاً ـ نسب الإمام الصّدر ٢٥

ثانياً ـ نشأته وعلومه ٢٧

ثالثاً ـ صفاته وشخصيّته ٢٨

رابعاً ـ قدومه إلى لبنان ٣٠

خامساً ـ كتاباته ٣١

سادساً ـ منجزاته ٣٥

سابعاً ـ إخفاؤه ٤١

الفصل الثاني: المرأة في السياق التاريخي قبل الإسلام ٤٩
تمهيد ٥١
أولاً ـ قراءة الإمام الصّدر للمرأة في التاريخ ٥٣
أ. المرأة عند الرومان ٥٥
ب. المرأة في بلاد فارس ٥٦
ج. المرأة في بلاد الصين والهند ٥٦
د. المرأة في المجتمع اليوناني ٥٧
هـ. المرأة في بلاد ما بين النهرين ٥٧
و. المرأة عند العرب في الجاهلية ٥٨
ثانياً ـ الفلاسفة والمرأة ٥٩
ثالثاً ـ المرأة في الشرائع السماوية ٦٢
الفصل الثالث: رؤية الإمام الصّدر حول المرأة في الإسلام ٦٧
تمهيد ٦٩
أولاً ـ الدين والمرأة ٧٦
أ. مفهوم الخليفة والمرأة ٨١
ب. المجتمع الإنساني والمرأة ٨٣
ج. مفهوم العبادة والمرأة ٨٥
ثانياً ـ ماهيّة المرأة ٨٧
أ. الأولاد ٨٨
ب. الأسرة ٨٩
ج. عمل المرأة المادي ٩٠
د. عمل المرأة في الحقل الإجتماعي ٩٠
هـ حق المرأة الاقتصادي ٩١
هـ دور المرأة في اختيار الزوج ٩٢

ز. التفاوت في الأحكام بين الرجل والمرأة ٩٣
ح. الفروق الجسدية ٩٥
ثالثاً ـ دور المرأة في الحياة ٩٦
أ. المرأة والزواج ٩٦
ب. قوامة الرجل ٩٧
ج. المرأة والأمومة ٩٩
د. المرأة والعلم ١٠٢
هـ. المرأة والحجاب ١٠٣
الفصل الرابع: المرأة الرسالية كما قدمها الإمام الصّدر ١١١
تمهيد ١١٣
أولاً ـ فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج ١١٥
أ. من سيرة السيدة الزهراء عليها السلام ١١٧
ب. جهاد فاطمة ١٢٨
ج. خطبة فاطمة عليها السلام ١٢٩
ثانياً ـ زينب الحوراء الرائدة ١٣٣
أ. من سيرة زينب عليها السلام ١٣٣
ب. جهاد زينب كما قدمه الإمام الصّدر ١٣٧
الفصل الخامس: رؤية الإمام الصدر للمرأة في القرن العشرين ١٥٣
تمهيد ١٥٥
أولاً ـ قراءاته للحضارة الغربية وانعكاسها على الإنسان ١٥٨
ثانياً ـ واقع «المرأة» في زمن الإمام الصدر ١٦١
أ. مفهوم الإمام الصدر لشعارات التحرر والمساواة ١٦٩
ب. رأي الإمام الصدر بشعار «السفور» حرية للمرأة ١٧٢
ج. نظرته إلى «وأد البنات» في القرن العشرين ١٧٦

ثالثاً ـ انعكاس واقع المرأة على الأسرة ١٧٧
رابعاً ـ مفهوم تطوير التشريع عند الإمام الصدر ١٨١
أ. مفهومه لتطوير عقود الزواج والطلاق ١٨٣
ب. مسألة استغلال «الجنس» ١٨٩
ج. مفهوم العرض عند الرجل العربي ١٩٠
د. مفهوم الزواج المؤقت أو زواج المتعة ١٩١
هـ. نظرته إلى الزواج المدني ١٩٢
خامساً ـ نشاط الإمام الصدر العملي وتفعيل دور المرأة ١٩٦
أ. إشراك المرأة في العمل الاجتماعي ٢٠٠
ب. تأسيس «بيت الفتاة» للفتيات ٢٠٢
ج. تأسيسه مدرسة التمريض للفتيات ٢٠٣
د. المرأة ضمن اهتمامات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ٢٠٤
هـ. إشراك المرأة في الحقل الإنتاجي ٢٠٥
و. دور المرأة في النضال وتحرير الأرض ٢٠٧
الخاتمة ٢١٧
الملاحق ٢٣١
السيدة رباب الصدر شرف الدين ٢٣٣
السيدة حوراء الصدر ٢٤٠
السيدة مليحة الصدر شرف الدين ٢٤٣
المصادر والمراجع ٢٤٧

... ومع ما لمسته من تراكم الجهود النبيلة في لفت النظر إلى هذا الجانب من شخصية الإمام، والتي كان هذا البحث - ثمرتها الطيبة التي أتت أُكلها - الذي أكدت عليه اللجنة المناقشة والباحثة على أن الإصلاح كانت خاصية امتاز بها الإمام كونه من "القلة النادرة" التي امتلكت المشروع الرؤيوي المتكامل لإصلاح المجتمع وحققت التغيير بالتجربة، فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم لكل مشارك في هذا العمل بالتقدير الرفيع والإعتزاز.

وأخص بالشكر الباحثة فاطمة صوان التي لم توفر جهداً إلا وبذلته كي يرى هذا المشروع النور وهو بأبهى حلة. فمبارك لها هذا القطاف الذي اختصّت به الإمام الصدر، وهي التي أناخت يراع الأنثى في محبرة مصلح امتشق الكلمة لاسترجاع عنصرها الإنساني الذي سُلِب منها، ولملمتْ حروف فاطمة ومريم من طيّات دفاتره ليرتسم في الأفق نور يسمو بالمرأة إلى المثال الذي يليق بها كإنسان.

صدر الدين موسى الصدر

2009
بيروت عاصمة عالمية للكتاب

القدس

دار الأمير للثقافة والعلوم
www.daralameer.com

ISBN 978-9953-494-47-0
9789953494470